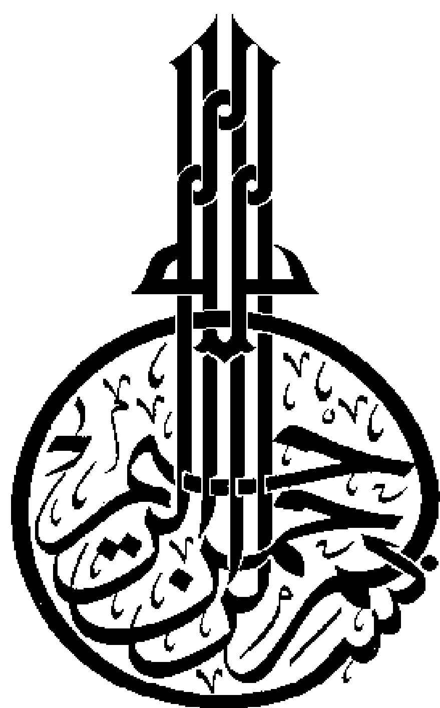

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وفيها:

- التمهيد.
- أهمية الكتاب وسبب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج التحقيق.
- شكر وتقدير.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. وبعد؛

إنَّ دراسة السيرة النبوية العطرة تعد من أجل العلوم وأفضلها للسلم، فهي بهجة للنفوس، وقرة عين للمحبين، بل هي من الإيمان الذي يتقرب به العبد إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأن حياة نبينا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - حياة بذل وعطاء وصبر ومصابرة وجد واجتهاد ودأب في تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى والدعوة إلى دينه عز وجل.

وإذا كان القادة والمصلحون والسياسيون يحرصون على كتابة سيرهم وتدوين مذكراتهم لتكون مرجعًا لتلاميذهم ومن يسيرون على دربهم، فإن دراسة سيرة أعظم البشر، محمد صلى الله عليه وسلم أولى بالدراسة والاطلاع.

ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم يعتبر أسوة للعالمين وقدوة لهم في العقيدة والعبادة والأخلاق كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1]، وتحقيق التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم متوقف على معرفة سيرته وهديه الكريم عليه الصلاة والسلام.

وفي دراسة سيرة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام عون على فهم كتاب الله عز وجل، لأن حياته عليه الصلاة والسلام كلها تطبيق للقرآن وعمل به، ولما سُئلت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن خُلقه عليه الصلاة والسلام قالت: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**»[2]، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3].

---

[1] () سورة الأحزاب، آية 21.

[2] () أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده (24601)، (41/148)، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض (746)، بلفظ: «فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن».

[3] () سورة القلم، آية 4.

والمراد بالخُلق هنا: الدين؛ أي على دين كامل وتام، فهو عليه الصلاة والسلام قد قام أتم قيام بأوامر القرآن فعلاً لها، ونواهي القرآن اجتنابًا وتركًا، وآداب القرآن والأخلاق التي ذُكرت فيه عملاً وتطبيقًا؛ فحياته عليه الصلاة والسلام وسيرته عملٌ تام وتطبيق كامل لكتاب الله تبارك وتعالى، فمن خلال دراسة السيرة يكون في ذلك عون للمسلم على فهم كتاب الله عز وجل.

وفي دراسة سيرته عليه الصلاة والسلام تعميق لمحبته، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[1]، وجاء في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "قلت يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي"، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**»، فقال له عمر: "فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**»[2].

فمن ينشد هذه المحبة، وينشد تأصيلها وتركيز بنائها فعليه بدراسة سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ومعرفة أخباره العطرة وحياته المباركة صلوات الله وسلامه عليه، ليزداد حبًا للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

---

[1]() رواه البخاري في كتاب الإيمان – باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان (14)، ومسلم في كتاب الإيمان – باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم. . . (44).

[2]() رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور– باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم (6632).

التمهيد:

تاريخ كتابة السيرة:

مرّت كتابة السيرة بمراحل تعد سلسلة من الحلقات المتواصلة المتداخلة يؤثر السابق في اللاحق، كما أن الحالي يؤثر في المستقبل.

ففي القرنين الأول والثاني الهجريين ظهر ما عرف بالمغازي التي كانت تُعنى بمغازي النبي ﷺ، ثم توسعت لتشمل جميع حياة النبي ﷺ، وهذا المعنى يتبين من محتويات هذه المصنفات التي فقد معظمها ووجدت روايات كثيرة منها في المصنفات اللاحقة.

ومن هؤلاء الأوائل الذين اهتموا بتدوين بعض أحداث السيرة:

عروة بن الزبير[1] (ت94هـ)، أبان بن عثمان بن عفان[2] (ت101هـ)، عامر بن شراحيل الشعبي[3] (ت103هـ)، عاصم بن عمر بن قتادة[4] (ت119هـ)، شرحبيل بن سعد[5] (ت123هـ)، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري[6] (ت124هـ)، عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم[7] (ت135هـ)، موسى

---

[1]() عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب. وأمه أسماء ابنة أبي بكر الصديق. وكان ثقة كثير الحديث فقيهًا عاليًا مأمونًا ثبتًا. مات عروة بن الزبير في أمواله بمجاح في ناحية الفرع، ودفن هناك يوم الجمعة سنة أربع وتسعين. الطبقات الكبرى (5/136).

[2]() أبان بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. وأمه أم عمرو بنت جندب، استعمله يحيى بن الحكم على المدينة، وأقره عبد الملك بن مروان، وكانت ولاية أبان على المدينة سبع سنين. وحج بالناس فيها سنتين قال محمد بن عمر: أصاب الفالج أبانا سنة قبل أن يموت. ويقال بالمدينة فالج أبان لشدته. وتوفي أبان بالمدينة في خلافة يزيد بن عبد الملك. وروى أبان عن أبيه. وكان ثقة وله أحاديث. انظر: الطبقات الكبرى (5/115).

[3]() عامر بْن شراحيل بْن عبد، أَبُو عمرو الشعبي من شعب همدان، وهو كوفي، ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بْن الخطاب، وسمع علي بْن أبي طالب، والحسن والحسين ابني علي، وغيرهم من الصحابة. توفي سنة خمس ومائة، وهو ابْن سبع وسبعين سنة. تاريخ بغداد (14/143).

[4]() عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب. كانت له رواية للعلم. وعلم بالسيرة. ومغازي رسول الله، وروى عنه محمد بن إسحاق وغيره من أهل العلم. وكان ثقة كثير الحديث عالماً. توفي بالمدينة سنة عشرين ومائة. الطبقات الكبرى (5/336).

[5]() شرحبيل بن سعد مولى الأنصار ويكنى أبا سعد. وكان شيخًا قديمًا روى عن زيد بن ثابت وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقي إلى آخر الزمان حتى اختلط واحتاج حاجة شديدة، وله أحاديث وليس يحتج به. الطبقات الكبرى (5/237).

[6]() الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله. قال الذهبي: الإمام، العلم، حافظ زمانه، أبو بكر القرشي، المدني، نزيل الشام. روى عن: ابن عمر، وجابر بن عبد الله. قال محمد بن عمر: ولد سنة ثمان وخمسين، وكان قد قدم في سنة أربع وعشرين ومائة إلى أمواله بثلية بشغب وبدا. فأقام فيها. فمرض هناك فمات. ومات سنة أربع وعشرين ومائة. وهو ابن خمس وسبعين سنة. انظر: الطبقات الكبرى (5/348 وما بعدها)، سير أعلام النبلاء (5/326).

[7]() عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، الإمام، الحافظ، أبو محمد الأنصاري، صاحب (المغازي)، وشيخ ابن إسحاق. حدث عن: أنس بن مالك، وطائفة. حدث عنه: الزهري – وهو أكبر منه – وابن جريج، وابن إسحاق، ومالك، قال مالك: كان رجل صدق، كثير الحديث. وقال ابن سعد: كان ثقة، عالما، كثير الحديث. عاش: سبعين سنة. قال: وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائة. سير أعلام النبلاء (5/314).

بن عقبة[1] (ت140هـ)، سليمان بن طرخان[2] (ت143هـ) صاحب "السيرة الصحيحة" لعله أقدم ما وصل إلينا فيها، وقد نشرها المستشرق فون كريمر في نهاية مغازي الواقدي في الهند[3]. محمد بن إسحاق (ت151هـ).

وتعد سيرة ابن إسحاق من أشهر ما صنف في السيرة فهو إمام فيها "وجعل كتابه علمًا يهتدى به، وفخرًا يستجلى به والناس كلهم عيال عليه في ذلك"، وقد هذَّبه ابن هشام[4]، حتى أصبح الكتاب مقترنًا باسمه، وكان أمينًا في عمله[5].

ومنهم أيضًا: معمر بن راشد[6] (ت153هـ)، يحيى بن سعيد الأموي[7] (194هـ)، محمد بن عمر الواقدي (207هـ).

وتتجه هذه المصادر إلى جمع الروايات في السيرة، مسندة، من دون تعليق غالبًا. وهذه كانت مرحلة مهمة جمعتْ المادة العلمية الأولى وحفظتها، واستفاد منها من جاء بعد هؤلاء.

ولأهمية مصنفات هذه الفترة فقد اتجهت بعض الدراسات المعاصرة إلى جمع روايات هؤلاء الرواد، ممن فُقدت مصنفاتهم في عصرنا، فجُمعت كل من مغازي عروة، الذي قال عنه الواقدي:

---

[1] () موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي مولاهم، الإمام، الثقة، الكبير، أبو محمد القرشي، مولاهم، الأسدي، المطرقي، مولى آل الزبير. ويقال: بل مولى الصحابية أم خالد بنت خالد الأموية، زوجة الزبير. وكان بصيرًا بالمغازي النبوية، ألفها في مجلد، فكان أول من صنف في ذلك. أدرك: ابن عمر، وجابرا. وحدث عن: أم خالد. وعداده في صغار التابعين. سير أعلام النبلاء (6/114).

[2] () سليمان بن طرخان أبو المعتمر التيمي: الإمام، شيخ الإسلام، أبو المعتمر التيمي، البصري. روى عن: أنس بن مالك. وعن: أبي عثمان النهدي، وخلق. وينزل إلى: الأعمش، وحسين بن قيس الرحبي، والربيع بن أنس. كان مقدما في العلم والعمل. قال محمد بن سعد: توفي سليمان التيمي بالبصرة، في ذي القعدة، سنة ثلاث وأربعين ومائة. سير أعلام النبلاء (6/195).

[3] () يوسف هورفيتس: المغازي الأولى ومؤلفوها، مقدمة المترجم: حسين نصار، وانظر عددًا من الدراسات التي تناولت بدايات التأليف في السيرة في المجتمع المدني في عهد النبوة، لأستاذنا أكرم العمري ص 40 وما بعدها.

[4] () ابن هشام: عبد الله بن يُوسُف بن عبد الله بن يُوسُف بن أَحْمد بن عبد الله بن هِشَام جمال الدّين أَبُو مُحَمَّد النحوى الْفَاضِل الْمَشْهُور ولد سنة 708ـ وأتقن الْعَرَبيَّة ففاق الأقران بل الشُّيُوخ، تخرج بِهِ جمَاعَة من أهل مصر وَغَيرهم، وَله تَعْلِيق على ألفية ابْن مَالك ومغنى اللبيب عَن كتب الأعاريب، أشتهر فِي حَيَاته وَأَقْبل النَّاس عَلَيْهِ، وَانْفَرَدَ بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة وَالتَّحْقِيق. مَات سنة 761. الدرر الكامنة (3/93 وما بعدها).

[5] () انظر السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق، للدكتور سليمان العودة ص52 وما بعدها.

[6] () معمر بن راشد أبو عروة الأزدي مولاهم: الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، البصري، نزيل اليمن. مولده: سنة خمس، أو ست وتسعين. وشهد جنازة الحسن البصري، وطلب العلم وهو حدث. قال أبو نعيم: مات سنة تسع وخمسين. سير أعلام النبلاء (7/5 وما بعدها).

[7] () يحيى بن سعيد الأموي القرشي: روى عن الاعمش ومحمد بن عمرو ومجالد، قال عنه أحمد بن حنبل: كان يصدق، وقال يحيى بن معين: يحيى بن سعيد الأموي ثقة. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (9/151).

"وهو أول من صنف في المغازي"[1]، جمعها محمد مصطفى الأعظمي، باسم "مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير"، من طريق يتيم هو طريق عروة، أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي القرشي[2] [3].

وجمعها على نحو أفضل عادل عبد الغفور في رسالته لنيل درجة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية.

"ومغازي الزهري"، جمعها ونشرها سهيل زكار، وجمعها كذلك على نحو أفضل محمد العواجي[4]، "ومغازي موسى بن عقبة"، التي قال عنها الإمام مالك: ". . . أصح المغازي"، وقال عنها الذهبي: ". . . وأما مغازي موسى بن عقبة فهي في مجلد ليس بالكبير، سمعناه، وغالبها صحيح، ومرسل جيد، لكنها مختصرة، تحتاج إلى زيادة وبيان وتتمة. . . "[5]، وقد جمعها باقشيش محمد[6]، وغير ذلك من المصنفات الأوّليّة المهمة النافعة.

وهذه المصادر الأساسية أغلبها في حكم المفقود حاليًا، واعتمد عليها العلماء في القرنين الثامن والتاسع مباشرة وصرحوا بالنقل منها، وكانت جزءًا من مواردهم.

---

[1] () ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (9/113).

[2] () أبو الأسود يتيم عروة: واسمه محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن الأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأمه أم ولد. مات في آخر سلطان بني أمية. وليس له عقب. وكان ثقة قليل الحديث. روى عن مالك بن أنس وغيره. وكان الأسود بن نوفل بن خويلد من مهاجرة الحبشة. ومات بها. الطبقات الكبرى (5/367).

[3] () انظر مغازي عروة، جمع الأعظمي، نشره مكتب التربية العربي لدول الخليج.

[4] () كانت أطروحته في الدكتوراه، بعنوان: مرويات الإمام الزهري في المغازي النبوية، جمع ودراسة، الجامعة الإسلامية، 1418هـ.

[5] () سير أعلام النبلاء (6/116).

[6] () كانت رسالته في الماجستير بعنوان: مغازي موسى بن عقبة، جمع ودراسة، الجامعة الإسلامية، قسم السنة (1406هـ/1986م).

أنواع المصنفات في السيرة النبوية:

تعددت أنواع المصنفات التي تناولت سيرة النبيﷺ، ويمكن تصنيفها إلى الأنواع التالية:

النوع الأول: المطولات، ونذكر منها:

1-إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع لأحمد بن علي المقريزي[1] (ت8 45هـ)، وهو مطبوع، حققه محمود شاكر.

2-بلوغ المرام من سيرة ابن هشام، والروض الأنف، والأعلام لابن حجة أبي بكر بن علي بن عبد الله الحموي[2] (ت 837 هـ) أوقاف بغداد 1023، ق 208 نسخة متقنة. ونسخة أخرى: يوجد منها الجزء الأول 5166 مكتبة شستربتي، ق190 س: 21 (5166) وهو الجزء الأول.

3- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية لأبي الحسن علي بن محمد، المعروف بالخزاعي، التلمساني، الفاسي[3] (ت789هـ)، والكتاب مطبوع.

4- توثيق عرى الإيمان في تفضيل حبيب الرحمن لهبة الله بن عبد الرحيم أبي القاسم شرف الدين بن البارزي[4] (ت738هـ) الجزء الأول ق: 289 س: 21 المكتبة العثمانية بحلب 160، نسخت في حياة المؤلف، الجزء الثاني: ق: 339 س: 17 المكتبة الأزهرية 1179.

---

[1] () المَقْرِيزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي: مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبكّ، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبكّ في أيامه) ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات. من تآليفه كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ويعرف بخطط المقريزي). ولد في عام 767، وتوفي في عام 837 هـ. الأعلام للزركلي (1/177).

[2] () هو: أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي، تقي الدين ابن حجة: إمام أهل الأدب في عصره. وكان شاعرا جيد الإنشاء. من أهل حماة (بسورية) ولد ونشأ ومات فيها. زار القاهرة والتقى بعلمائها واتصل بملوكها. وكان طويل النفس في النظم والنثر، حسن الأخلاق والمروءة، فيه شيء من الزهو والإعجاب. مصنفاته كثيرة، منها (خزانة الأدب)، و (بلوغ المرام من سيرة ابن هشام). ولد في عام 767، وتوفي في عام 837 هـ. الأعلام للزركلي (2/67).

[3] () علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين، الخزاعي: بحاثة مؤرخ أديب، أندلسي الأصل. مولده بتلمسان، ووفاته بفاس. استكتبه السلطان إبراهيم المريني. ثم كتب في ديوان بني زيان بتلمسان. واستقر أخيرا في بلاط بني مرين. وصنف للسلطان المتوكل على الله أبي فارس المريني كتابه "تخريج الدلالات السمعية". ولد في عام 710، وتوفي في عام 789 هـ. الأعلام للزركلي (5/6).

[4] () هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم، شرف الدين ابن البارزي الجهنيّ الحموي: قاضي، حافظ للحديث، من أكابر الفقهاء الشافعية. من أهل حماة. ولي قضاءها مدة طويلة بلا أجر، وعين مرات لقضاء مصر فاستعفى. وذهب بصره في كبره. ولما مات أغلقت حماة لمشهده. له بضعة وتسعون كتابًا، منها: " توثيق عرى الإيمان في تفضيل حبيب الرحمن". ولد في عام 645، وتوفي في عام 738 هـ. الأعلام للزركلي (8/73).

5- الروض والحدائق في تهذيب سيرة سيد الخلائق لعلي بن محمد البغدادي، المعروف بالخازن[1] (ت741هـ)، أربعة أجزاء، (خ) شهيد علي 1927 . أيا صوفيا، الثالث والرابع 3216 . 3218.

6- السيرة النبوية لابن كثير (ت 774هـ) وهي من الشهرة بمكان.

النوع الثاني: المختصرات، ونذكر منها:

1- الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء لمغلطاي، ابن قليج[2] (ت762هـ) أوقاف بغداد 1009، والكتاب مطبوع.

2- السيرة النبوية للذهبي (ت748هـ) ضمن كتابه المشهور تاريخ الإسلام، محقق.

3- السيرة النبوية لصلاح الدين الصفدي، خليل بن أيبك[3] (ت764هـ) في كتابه الوافي بالوفيات، الجزء الأول، مطبوع، وله مصنف في المولد.

4- السيرة النبوية لابن شاكر الكتبي الدمشقي[4] (ت764هـ) في كتابه "عيون التواريخ".

5- السيرة النبوية لعلي بن الحسين الخزرجي[5] (ت812هـ) في كتابه عن تاريخ اليمن.

---

1 () علي بن محمد بن إبراهيم الشيحيّ علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادي الأصل، نسبته إلى " شيحة " بالحاء المهملة، من أعمال حلب. ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسةُ السميساطية فيها. وتوفي بحلب. له تصانيف، منها " لباب التأويل في معاني التنزيل" في التفسير، يعرف بتفسير الخازن. ولد في عام 678، وتوفي في عام 741 هـ. الأعلام للزركلي (5/5).

2 () مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين: مؤرخ، من حفاظ الحديث، عارف بالأنساب. تركي الأصل، مستعرب. من أهل مصر. ولي تدريس الحديث في المدرسة المظفرية بمصر. وكان نقادة، له مآخذ على المحدثين وأهل اللغة. وتصانيفه أكثر من مئة، منها (شرح البخاري)، و (شرح سنن ابن ماجة) لم يكمله، و (الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم). ولد في عام 689، وتوفي في عام 762 هـ. الأعلام (7/ 275).

3 () خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة. ولد في صفد (بفلسطين) وإليها نسبته. وتعلم في دمشق فعاني صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان. وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها. له زهاء مئتي مصنف، منها (الوافي بالوفيات) في التراجم. ولد ف عام 676، وتوفي في عام 764 هـ. الأعلام للزركلي (2/315).

4 () محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي الدارانيّ الدمشقيّ، صلاح الدين: مؤرخ باحث، عارف بالأدب. ولد في داريا (من قرى دمشق) ونشأ وتوفي بدمشق. كان فقيراً جداً، واشتغل بتجارة الكتب، فربح منها مالاً طائلاً. وهو صاحب (فوات الوفيات)، و (عيون التواريخ) توفي عام 764 هـ. الأعلام للزركلي (6/156).

5 () علي بن الحسين بن أبي بكر بن الحسن ابن وَهّاس الخزرجي الزبيدي، أبو الحسن موفق الدين: مؤرخ، بحاثة، من أهل زبيد في اليمن. عاش نيفًا وسبعين سنة. من كتبه " الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من الإسلام " و " طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن". توفي في عام 812 هـ. الأعلام للزركلي (4/274).

6- السيرة النبوية لتقي الدين الفاسي[1] (ت832هـ) في كتابه "العقد الثمين"، الجزء الأول، مطبوع.

7- الفصول في اختصار سيرة الرسول للحافظ ابن كثير (ت774هـ)، والكتاب مطبوع.

8- مختصر الروض الأنف للسهيلي[2] لمحمد بن أبي بكر ابن جماعة[3] (ت819هـ) خ تيمور، تراجم 661.

9- المنتقى من الروض الأنف للحافظ الذهبي (ت748هـ) فرغ منه سنة 719هـ خ برلين 9565 وذكره السخاوي باسم؛ بلبل الروض. والكتاب مختصر من الروض الأنف للسهيلي (ت 581هـ).

النوع الثالث: التعليقات، ونذكر منها:

1-إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون لعلي بن برهان الدين الحلبي[4] (ت 1044هـ) ق: 243 س: 33، المتحف البريطاني 4622.

2- تعليق من مغازي الواقدي للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) ق: 72، دار الكتب 522.

3- الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم لعلاء الدين مغلطاي (ت762هـ) خ ليدن 864، وعنها مصورة في مكتبة الشيخ حماد الأنصاري - رحمه الله - في مجلدين (754).

---

[1] () محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكيّ الحسني: مؤرخ، عالم بالأصول، حافظ للحديث. أصله من فاس، ومولده ووفاته بمكة. دخل اليمن والشام ومصر مرارا. وولي قضاء المالكية بمكة مدة. وكان أعشى يملي تصانيفه على من يكتب له، ثم عمي سنة 828 قال المقريزي: كان بحر علم لم يخلف بالحجاز بعد مثله. من كتبه " العقد الثمن في تاريخ البلد الأمين ". ولد في عام 775، وتوفي في عام 832 هـ. الأعلام للزركلي (5/331).

[2] () عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعميّ السهيليّ: حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير. ولد في مالقة، وعمي وعمره 17 سنة. ونبغ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها. ولد في عام 508، وتوفي في عام 581 هـ. من كتبه (الروض الأنف) في شرح السيرة النبويّة لابن هشام. الأعلام للزركلي (3/313).

[3] () محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد، أبو عبد الله عز الدين الكناني الحموي ثم المصري، الشافعيّ المعروف كسلفه بابن جماعة: عالم بالأصول والجدل واللغة والبيان. أصله من حماة، ومولده في ينبع، انتقل إلى القاهرة، وسكنها، وتتلمذ لابن خلدون، وتوفي فيها بالطاعون. وكان مكثراً من التصنيف. من كتبه (الأمنية في علم الفروسية) و (المثلث في اللغة). ولد في عام 749، وتوفي في عام 819 هـ. الأعلام للزركلي (6/56).

[4] () علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين: مؤرخ أديب. أصله من حلب، ومولده ووفاته بمصر. له تصانيف كثيرة، منها " إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون" يعرف بالسيرة الحلبية. ولد في عام 975، وتوفي في عام 1044 هـ. الأعلام للزركلي (4/251).

4- السيرة النبوية لعلي بن الحسين بن عروة[5] (ت837هـ).

[5] () علي بن حسين بن عروة، أبو الحسن الشرقي، ويقال له ابن زكنون: فقيه حنبلي، عالم بالحديث وأسانيده. وفاته في دمشق. أشهر تصانيفه " الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري"، و " السيرة النبويّة ". ولد في عام 758، وتوفي في عام 837 هـ. الأعلام للزركلي (4/280).

5- النبراس على سيرة ابن سيد الناس[1] لأحمد بن إبراهيم، سبط ابن العجمي[2] (ت818هـ)، عارف حكمت 124 سيرة، عليها تصحيحات.

النوع الرابع: الشروح، ونذكر منها:

1-بهجة المحافل في السيرة والمعجزات والشمائل ليحيى بن أبي بكر بن محمد العامري الحرضي[3] (ت 893هـ) مكتبة مكة المكرمة، 1379، 37/ تاريخ. وتشستربيتي، ق: 301 س: 19، 4382. والكتاب مطبوع.

2- السيرة النبوية لمحمد بن عبد الدائم البرماوي[4] (ت831هـ).

3- شرح سيرة ابن سيد الناس لعز الدين محمد بن أبي بكر ابن جماعة (ت819هـ) خ الخالدية بالقدس 14 سيرة.

4- شرح سيرة مغلطاي لمحمود بن أحمد العيني[5] (ت855هـ).

1 () محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سَيِّد الناس: مؤرخ، عالم بالأدب. من حفاظ الحديث، له شعر رقيق. أصله من إشبيلية، مولده ووفاته في القاهرة. من تصانيفه (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير)، ومختصره (نور العيون). ولد عام 671، وتوفي عام 734 هـ. الأعلام للزركلي (7/34).

2 () إبراهيم بن محمد بن خليل الطَّرَابُلُسي ثم الحلبي، أبو الوفاء، برهان الدين: عالم بالحديث ورجاله، من كبار الشافعية. أصله من طرابلس الشام، ومولده ووفاته في حلب. وفي أيامه هاجمها تيمورلنك. يقال له: البرهان الحلبي، وسبط ابن العجمي. رحل إلى دمشق وفلسطين ومصر والحجاز، وأخذ عن علمائها. من كتبه (نور النبراس على سيرة ابن سَيِّد الناس). ولد في عام 753، وتوفي في عام 841 هـ. الأعلام للزركلي (1/65).

3 () يحيى بن أبي بكر العامري الحرضي: مؤرخ. له علم بمفردات الطب. كان محدث اليمن وشيخها في عصره. ولد ومات فيحرض (باليمن) من كتبه " غربال الزمان "، و " بهجة المحافل في السيرة والمعجزات والشمائل". ولد في عام 816، وتوفي في عام 893 هـ. الأعلام للزركلي (8/139).

4 () محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني البرماوي، أبو عبد الله، شمس الدين: عالم بالفقه والحديث، شافعيّ المذهب. مصري. أقام مدة في دمشق، وتصدر للإفتاء والتدريس بالقاهرة، وتوفي في بيت المقدس. نسبته إلى برمة (من الغربية، بمصر) من كتبه (شرح الصدور بشرح زوائد الشذور) في النحو، ومنظومة في (الفرائض). ولد في عام 763، وتوفي في عام 831 هـ. الأعلام للزركلي (6/188).

5 () محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون. من كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري)، و (البناية في شرح الهداية). ولد في عام 762، وتوفي في عام 855 هـ. الأعلام للزركلي (7/163).

5- شرح نظم السيرة لأحمد بن الحسين، الشهاب ابن أرسلان[1] (ت844هـ).

6- شفاء الأسقام في سيرة غوث الأنام لإبراهيم بن محمد الكازروني[2] (من ق9هـ).

7- فرائد الدرر وفوائد الفكر في شرح مختصر السيرة لابن فارس[3] للحسن بن علي بن باديس القسنطيني (ت787هـ) خ رواق المغاربة بالأزهر 1014، ومختصر السيرة لابن فارس مطبوع.

8- كشف اللثام في شرح سيرة ابن هشام لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت855هـ)، قال السخاوي: "شرح منها (أي سيرة ابن هشام) قطعة كبيرة رواها عنه جماعة". وقال: "ولشيخنا – يعني الحافظ ابن حجر – تخريج الأحاديث المنقطعات فيها". (الإعلان بالتوبيخ 562).

9- نور النبراس في شرح سيرة ابن سيد الناس لسبط ابن العجمي، أبي الوفا إبراهيم بن محمد الطرابلسي (ت 841 هـ) الجزء الأول والثالث، عارف حكمت ق 325، 167/242 سيرة، المكتبة الوطنية بتونس 446، والجزء الثالث، مكتبة الأحقاف باليمن 68 تريم، دار الكتب 2078 تاريخ، طلعت. جامع الشيخ الإسكندرية 157 برلين 9579.

هذا ويعد شرح العلامة القاضي أبي البركات عبد البر بن الشحنة لمنظومة جده أبي الوليد ابن الشِّحنة، في السيرة النبوية – والتي هي أرجوزة من63بيتًا – نظمها في عدد عُمْرِ النبي صلى الله عليه وسلم، من النوع الرابع الذي مر ذكره آنفًا.

وقد تناولت المنظومة مع شرحها السِّيرَةَ كَامِلَةً من مولده صلى الله عليه وسلم إلى وفاته مرورًا برضاعه إلى مشاركته في بناء الكعبة، إلى بعثته صلى الله عليه وسلم، إلى دعوته إلى الله تعالى، وإلى هجرته إلى المدينة، وإلى غزواته وسراياه وبعوثه، إلى أن أكمل الله به الدين وأتم به النعمة كما قال الناظم: "طيبًا مبينًا" صلى الله عليه وسلم.

---

[1] () أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن أرسلان، أبو العباس، شهاب الدين، الرمليّ: فقيه شافعيّ. ولد بالرملة (بفلسطين) وانتقل في كبره إلى القدس، فتوفي بها. وكان زاهدًا متهجدًا. له (الزبد) منظومة في الفقه، ويقال لها (صفوة الزبد) و (شرح سنن أبي داود) و (منظومة في علم القراءات) و (شرح البخاري)، وصل فيه إلى باب الحج، و (طبقات الشافعية). ولد في عام 773، وتوفي في عام 844 هـ. الأعلام للزركلي (1/117).

[2] () إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الكازروني، البكري، عم الفيروز آبادي. له: الميزاب في نسب سيد الأقطاب. طبقات النسابين (1/211).

[3] () أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها، وإليها نسبته. من تصانيفه (مقاييس اللغة)، و (المجمل)، و (الصاحبيّ) في علم العربية، ألفه لخزانة الصاحب ابن عباد. ولد في عام 329، وتوفي في عام 395 هـ. الأعلام للزركلي (1/193).

اتبع الناظم في نظمه والشارح من بعده الأُسلوبَ "الْحَوْلِي" كمنهج في عرض الأحداث والوقائع، وذلك بذكر السَّنة ثم يبدأ بسرد الأحداث التي وقعت فيها تباعًا، وغالبًا ما يذكر الشهر واليوم إن تأتى له ذلك، وجاء صنيعه ذلك على أحسن صورة وأكملها.

وبما أن موضوع بحثنا هو: "شرح نظم السِّيَّرْ لعبد البَّرْ بن محمد بن الشِّحنة"، فيجدر بنا أن نتحدث في هذا المقام عن مسألة هامة ألا وهي مسألة العلاقة بين السيرة والنظم، فنقول:

العلاقة بين السيرة والنظم:

ظهر أسلوب جديد في التصنيف وهو نظم السيرة في قصائد وأبيات عرفت بالمنظومات وأحيانًا الأرجوزات، وهذه تراعي السياق التاريخي لأحداث السيرة، وتدخل ضمن المصنفات العلمية، وقد يصل عدد أبيات المنظومة إلى ألف بيت، عُرفت بالألفيات، وبعضها يزيد على أضعاف فيصل إلى خمسين ألف بيت، وبعضها نظم المصنفات المشهورة مثل سيرة ابن إسحاق والسيرة الهشامية، والروض، وسيرة مغلطاي: الزهر الباسم.

ونظم آخر لا ينطبق عليه ما تقدم، وإنما تفرضه مناسبة ما أو حدث، تغلب عليه الناحية العاطفية والانفعالية للشاعر.

ولعل من أقدم السير المنظومة، السيرة لأبي العباس الناشي[1]، الشاعر العباسي، المتوفى عام (293هـ) إلا أنها سيرة شعرية[2].

واشتهرت السيرة الشقراطسية للشقراطسي[3] (ت466هـ) وهي سيرة منظومة بقافية اللام.

---

[1] () عبد الله بن محمد الأنباري: العلامة، أبو العباس عبد الله بن محمد بن شرشير الأنباري، الملقب: بالناشي، من كبار المتكلمين، وأعيان الشعراء، ورؤوس المنطق. له التصانيف. وكان قوي العربية والعروض، أدخل على قواعد الخليل شبهًا، ومثلها بغير أمثلة الخليل، وصنف في المنطق، وله قصيدة في عدة فنون، نحو أربعة آلاف بيت. وكان من أذكياء العالم. سكن مصر، وبها مات في سنة ثلاث وتسعين ومائتين. سير أعلام النبلاء (14/40).

[2] () محمد يسف: المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها (1/192).

[3] () عبد الله بن يحيى بن علي، أبو محمد الشقراطسي التّوزري: فقيه مالكي، من الشعراء. ولد بتوزر. وعلمه أبوه، وسافر إلى القيروان، فأخذ عن علمائها. ورحل إلى المشرق، وخاض معركة في قتال الفرنج، بمصر، وعاد الى توزر، فأفتى ودرّس إلى أن توفي. له: "الإعلام بمعجزات النبي عليه السلام" ختمه بقصيدة له لامية تعرف بالشقراطسية أولها: " الحمد للَّه، منا باعث الرسل ". توفي عام 466 هـ. الأعلام للزركلي (4/144).

ويمكن سرد أهم ما صنف في هذا الباب على النحو التالي:

1- منظومة "نظم الدرر ونثر الزهر"[1] للخمي الإشبيلي[2].

2- ثم ولدُهُ المحدثُ قاضي مراكش، أبو بكر اللخمي[3] (ت: 654هـ) وتقع أُرجوزتُهُ في"770بيتًا".

3- "نظم الدررْ بآي أحمد أجل البشر" وهي تقع في "6300بيتًا" للرهوني[4] الذي أَتَمَّ أُرْجُوزَتَه (سنة: 661هـ).

4- "فريدة الآلي؛ وهي3100بيتًا". لمحمد بن أبي بكر التلمساني الأنصاري[5] (ت: 681هـ).

5- "قرة الأبصار في سيرة المشفع المختار" وعدد أبياتها: 394بيتًا. لعبد العزيز الديريني[6]، المصري، المفسر (ت: 694هـ).

6- "نتيجة الخير، ومزيل الغير، في وصف مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والسير"، وتقع في نحو: "700بيت"[7]، لإبراهيم بن أبي بكر التلمساني الأنصاري[8] (ت: 699هـ).

لينتشر نظم السيرة النبوية شرقًا وغربًا.

---

[1]() جهود علماء الأمة الإسلامية في نظم السيرة النبوية، مشاركة/ المؤتمر العالمي الأول للباحثين في السيرة النبوية-فاس؛ المملكة المغربية 1434هـ-2012م: ص 1.

[2]() أَحْمد بن عِيسَى بن حجاجا اللَّخْمِيّ الإشبيلي، أَبُو الْوَلِيد. قَالَ ابْن الزبير: أديب بارع من أَعْيَان إشبيلية، وبيته بَيت علم وَدين، لَهُ تصرف فِي الْأَدَب واللغة، ومشاركة فِي فنون، نظم أرجوزة فِي السِّيرَة. بغية الوعاة (1 / 351).

[3]() كان قاضي الجماعة بمراكش أيام المعتضد والمرتضى من بني عبد المؤمن. انظر تعليق د. محمد بن شريفة على الذيل والتكملة (1/1/356).

[4]() لم أقف له على ترجمة فيما وقفت عليه.

[5]()محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني الأندلسي المتوفي في حدود سنة 680هـ رحمه الله تعالى. له: الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة. طبقات النسابين (1 / 130).

[6]() عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري المعروف بالديريني: فقيه شافعيّ من الزهاد. نسبته إلى " ديرين " في غربية مصر. وقبره بها. من كتبه " التيسير في علم التفسير ". ولد في عام 612، وتوفي في عام 694 هـ. الأعلام للزركلي (4/13).

[7]() الصقلي الحسيني؛ "جهود علماء الأمة الإسلامية في نظم السيرة النبوية": ص 15.

[8]() إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأَنصارِي، أبو إسحاق التلمساني: عالم بالفرائض أندلسي الأصل، مولده بتلمسان. اشتهر بمنظومة له في (الفرائض) وله تآليف أخرى، منها قصيدة في المولد الكريم. ولد في عام 609، وتوفي في عام 699 هـ. الأعلام (1/33).

ومن المنظومات التي نالت شهرة كبيرة في الأوساط العلمية، أرجوزة ابن الشهيد[1] (ت: 793هـ) والمعنونة ب: "فتح القريب في سيرة الحبيب".

ليأتي الزين العراقي (ت: 806هـ) بأرجوزته العظيمة الفريدية الموسومة بـ "ألفية السيرة النبوية". والتي اعتمد عليها عبد البر بن الشِّحنة في شرحه هذا الذي هو موضوع دراستنا.

1 () محمد بن إبراهيم بن محمد، أبو الفتح، فتح الدين، ابن الشهيد: كاتب السرّ بالشام. له علم بالتفسير والأدب، ونظم ونثر. جرت له محنة اختفى بسببها مدة نظم فيها "السيرة النبويّة" لابن سيد الناس، مع زيادات وسماها "الفتح القريب في سيرة الحبيب". ولد عام 728، وتوفي عام 793 هـ. الأعلام (5/ 299).

أهمية الكتاب وسبب اختياره:

تبرز أهمية الكتاب وقيمته العلمية من خلال النقاط التالية:

1. إن نظم السيرة النبوية من أدق وأصعب الأعمال العلمية، ولا يستطيعه إلا من بلغ مبلغًا رفيعًا في العلم، فعظُم شأنُهْ، ورسخت قدمهْ، من أمثال خَاتمةِ الحُفَّاظِ، وقاضي القُضَاةِ، وشَيْخِ الشُّيُوخ، أبي الوليد ابن الشِّحنة، فنظم نظمًا غايةً في الإبداع، بإحكامِ إتقانٍ وإمتاع، قال الشارح أبو البركات مُبَيِّنًا قيمةَ النَّظْمْ: " أتى فيها بما يحتاج إليه الفقيهْ، ولا يستغني عنه الطالبُ النبيلُ النَّبيهْ، فأحببتُ أن أَشْرَحَهَا شَرْحًا؛ يُفَصِّلُ مُجْمَلَهَا، ويُبَيِّنُ مُشْكِلَهَا، ويَفْتَحُ كُنُوزَهَا، وَيَحُلُّ رُمُوزَهَا، ويسُوقُ قِصَصَهَا، ويُوَفِّيهَا مِنَ الْبَلَاغَةِ حِصَصَهَا".

2. إن صاحب النص أبا البركات ابن الشِّحنة يعتبر من الأئمة وأصحاب المكانة في العلم، وقد نعته الناسخ إبراهيم بن المبلط الشافعي في بداية نسخته قبل الشرح فقال: " قال سيدنا ومولانا الشيخ الإمام العامل العالم العلامة، الحبر البحر الفهامة، المحقق المدقق العمدة، الحافظ المحدث قاضي القضاة شيخ الإسلام ملك العلماء سري الدين أبو البركات.

3. اعتمد أبو البركات بشرحه الموسع لمنظومة السيرة على أمهات الكتب، رجع فيها إلى كتب السيرة النبوية، والتاريخ، والحديث، وكتب التفسير، وكتب التراجم، ومن هذه المصادر:

4. الصحيحان، وموطأ الإمام مالك، والطبراني في المعجم الكبير، والتاريخ الأوسط للبخاري، وتهذيب ابن هشام لسيرة ابن إسحاق، وتاريخ الطبري، ومروج الذهب للمسعودي، ودلائل النبوة للبيهقي، والروض الآنف في شرح سيرة ابن هشام للسهيلي، والمنتظم لابن الجوزي والكامل لابن الأثير، والمختصر في سيرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم للدمياطي، والطبقات الكبرى لابن سعد وغيرها.

5. لم يقتصر الكتاب على السيرة النبوية فحسب، بل اشتمل على شيء من سيرة الخلفاء الراشدين، وما حدث في عهودهم؛ من وقائع وأخبار.

6. اهتم أبو البركات في شرحه بأقوال الصحابة رضي الله عنهم جميعًا، فكثيرًا ما تجد: قال أبو بكر، قال عمر، قال أبو هريرة.

7. إن الكتاب زاخر بالأحاديث النبوية الشريفة، وبالآثار عن الصحابة الكرام، وكذلك إذا كان للحديث طرقٌ أخرى؛ تحملُ مَعْنًى زائدًا فإنه غالبًا ما يذكرها، وهذا بلا شك يعطي للكتاب قيمة علمية.

8. إن الكتاب مليء بالقصص، فالمؤلف كثيرًا ما يسوق القصة بكاملها خلال شرحه، وهذا ما يضفي على الكتاب الإمتاع مع زيادة البيان.

9. اقتصر المؤلف في شرحه على ما هو مفيد ونافع، ففي لوحة (13) قال: "وله في نقض الصحيفة شعرٌ آخر تركته خوف الإطالة"، كما أنه قد يختصر الأقوال مما صح لديه، ومن ذلك قوله عندما ذكر الخلاف في سبب تسمية عبد المطلب في لوحة (30) قال: "واسمه شيبة الحمد على الصحيح لأنه وُلِدَ وفي رأسه شيبة".

10. إن المؤلف كتبه بأسلوب نثري مرسل لا تكلف فيه، مبتعدًا عن الزخارف اللفظية والألفاظ الغريبة.

11. الكتاب مرتب على الأحداث، فيقول: ذكر غزو إفريقيا وفتحها ثم ذكر صلح النوبة ثم ذكر البحر والغرق فيه وهكذا.

12. مع كثرة الأحاديث في الكتاب إلا أنه يخلو من الأسانيد، ولكن يكتفي غالبًا بالصحابي راوي الحديث ويعزوه إلى من أخرجه، فيقول: "وأخرج الحاكم من حديث أبي قتادة الأنصاري أن أعرابيًا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين. . . " الحديث.

13. تظهر شخصية المؤلف وعلو منزلته العلمية من خلال سعة اطلاعه في كتب السير والتاريخ، وتبرز جليًا ترجيحاته للأقوال عند ذكره للمسائل الخلافية، ومن ذلك ما يلي:

- قوله في لوحة (14): " اعلم أنهم قد اختلفوا في الإسراء متى كان، قيل في ربيع الأول وقيل في الآخِر، وقيل في رجب وقيل في رمضان، وروى البيهقي عن الزهري(1) أنه كان قبل خروجه

---

(1) تقدمت ترجمته ص (5).

إلى المدينة بسنة، وكذلك رواه ابن لهيعة[1] فيكون في ربيع الأول، وروى الحاكم عن السدي[2] أنه قبل الهجرة بستة عشر شهرًا فيكون في ذي القعدة، وهل كان بروحه أو جسده، خلاف، والصحيح أنه بجسده صلى الله عليه وسلم، واختلف في الموضع الذي أسري به عنه، فقيل من الحِجر وقيل من شِعْب أبي طالب".

- وقد يرجح بقول غيره من الأئمة، كما في لوحة (55) قال: "وقيل كانت الهزيمة على المسلمين، وفي صحيح البخاري أنها كانت على الروم، قال والدي رحمه الله: والمختار انحياز كل فرقة عن الأخرى من غير هزيمة كما ذكره ابن إسحاق".

من خلال ما سبق تتبين لنا أهمية الكتاب وقيمته العلمية، ولمَّا لم يكن الكتاب مطبوعًا زادت رغبتنا أنا وزملائي في تحقيق الكتاب وإخراجه إلى النور، ليكون مرجعًا يستفيد منه الباحثون والدارسون في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، والله من وراء القصد.

---

[1] ابن لهيعة: الإمام الكبير قاضي الديار المصرية وعالمها ومحدثها أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان الحضرمي المصري: قال أحمد بن حنبل: من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه وإتقانه. وقال ابن معين: ليس بذاك القوي. احترقت داره وكتبه. ولد سنة سبع وتسعين ومات في نصف ربيع الأول سنة أربع وسبعين ومائة رحمه الله تعالى. طبقات الحفاظ للذهبي (1/174).

[2] إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدى الأعور مولى زينب بنت قيس بن مخرمة من بنى عَبْد منَاف، يروي عَن أنس بْن مَالك، وَقد رأى ابْن عمر، روى عَنهُ الثَّوْريّ وَشعْبَة وزائدة. مَاتَ سنة سبع وَعشْرين وَمِائَة فِي إِمَارَة بْن هُبَيْرَة. الثقات لابن حبان (4/20).

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وقسمين ثم فهارس عامة، وذلك على النحو التالي:

المقدمة، وتشتمل على ما يلي:

- التمهيد.
- أهمية الكتاب وسبب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج التحقيق.

القسم الأول: الدراسة، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ترجمة صاحب المنظومة أبي الوليد ابن الشِّحنة، وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: اسمه ونسبه.
- المبحث الثاني: مولده ونشأته.
- المبحث الثالث: ثناء العلماء عليه.
- المبحث الرابع: مؤلفاته.
- المبحث الخامس: وفاته.

الفصل الثاني: ترجمة شارح المنظومة أبي البركات ابن الشِّحنة وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: اسمه ونسبه.
- المبحث الثاني: مولده ونشأته.
- المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.
- المبحث الرابع: ثناء العلماء عليه.
- المبحث الخامس: مؤلفاته.
- المبحث السادس: وفاته.

الفصل الثالث: دراسة الكتاب (شرح نظم السير) وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: تحقيق عنوان الكتاب، وإثبات نسبته للمؤلف.

- المبحث الثاني: أهمية الكتاب ومصادره.
- المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب.
- المبحث الرابع: وصف النسخ الخطية للكتاب وإيراد نماذج منها.

القسم الثاني: النص المحقق:

من بداية قوله: "**وقعة اليرموك على ما ذكره أصحاب فتوح الشام**" إلى آخر قوله: "**ذكر أميرًا سعد بن أبي وقاص على العراق وحرب القادسية**".

الخاتمة: وتشتمل على أهم ما جاء بالرسالة من نتائج.

الفهارس: وتشتمل على فهارس البحث التفصيلية وهي كالتالي:

1. فهرس الآيات.
2. فهرس الأحاديث.
3. فهرس الآثار.
4. فهرس الأعلام.
5. فهرس الأشعار.
6. فهرس المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة.
7. فهرس البلدان والأماكن.
8. فهرس القبائل.
9. فهرس المصادر والمراجع.
10. فهرس الموضوعات.

منهج التحقيق:

1- اتخذتُ النسخة المحفوظة في مكتبة فيض الله بتركيا أصلاً في التحقيق؛ لكونها بخط المؤلف وسأرمُزُ لها بالرَّمزْ (ت).

2- نسختُ النص المراد تحقيقه من النسخة الأصل (ت)، ثم قابلته بالنسخة الأخرى (ن)، وأثبت الفروق بين النسختين في الحواشي، مراعيًا القواعد الإملائية المقررة مع الالتزام بعلامات الترقيم، والتدقيق اللغوي، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

3- إذا وجدتْ زيادة من إحدى النسخ؛ فإن كانت تؤدي المعنى وتقيم النص فإني أثبتها فيه وأجعلها بين معكوفتين، وأشير في الهامش أنها سقطت من نسخة كذا، وأما إن كانت لا تؤدي المعنى أشرت لها في الحاشية وأقول كذا في (ت) أو (ن).

4- عزوتُ الآيات إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.

5- عزوتُ الأحاديث إلى مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، وإلا عزوته إلى المصادر الأخرى مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجته.

6- عزوتُ الآثار إلى مصادرها.

7- وثقتُ المرويات والمنقولات الواردة، وأوضحت ما يحتاج إلى توضيح، وعلقت على ما يحتاج إلى تعليق.

8- عرفتُ بما يحتاج إلى تعريف من الكلمات الغريبة، والمصطلحات العلمية والأماكن والبلدان الواردة في النص.

9- قمتُ بترجمة موجزة للأعلام غير المشهورين.

10- ميزتُ بين المنظومة والشرح، بجعل الأبيات مميزة بخط أسود عريض.

11- ذكرتُ مواضع الطمس والبياض.

12- أشرتُ إلى بداية ونهاية كل لوحة في المخطوط بهذه العلامة: [/]، فرمزتُ بهذه العلامة: [/ أ] عند انتهاء الوجه "أ"، ورمزت بعلامة: [/ ب] عند انتهاء وجه "ب".

13- ذيلتُ العمل بفهارس متعددة على النحو المبين في الخطة.

شكر وتقدير

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإني أشكر الله تعالى الذي وفقني لكتابة هذا البحث وأسأله المزيد من فضله وإحسانه، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الجهد المبذول سبيلاً لنشر العلم بين الناس ومنارًا لطلاب العلم الباحثين في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم والخفاء الراشدين.

كما أسأله سبحانه وتعالى الإخلاص والقبول والسداد وأن يكون هذا العمل في ميزان الحسنات يوم القيامة.

كما أتوجه بالشكر والعرفان لكل من ساعدني ووضع قدمي على طريق العلم، وأخص بالذكر في هذا المقام الوالدين الكريمين اللذين لم يألوا جهدًا في إعانتي وتشجيعي.

كما أتوجه بالشكر والعرفان لفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد السلام بن محسن آل عيسى؛ لتفضله بالإشراف على هذا البحث، وما أبداه لي من نصائح وتوجيهات، ولا سيما إرشاداته التوجيهية التي ساهمت بشكل واضح وفعال في خروج هذا العمل بهذه الحلة التي أسأل الله أن تكون بالمستوى اللائق الطيب، وأسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته حفظه الله.

والشكر أيضًا موصول إلى الأستاذين الكريمين المناقشين، د/ عبد الحميد بن علي فقيهي، ود/ صالح بن عبد الله الغامدي.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكلية الدعوة وأصول الدين.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان لأعضاء قسم التاريخ الإسلامي.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل شخص مد لي يد العون، أو شجعني بقول، أو أرشدني بمسألة من صديق، أو قريب، أو زوج أو بنت.

والحمد لله أولاً وآخرًا. وصلى الله على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول

ترجمة صاحب المنظومة أبي الوليد ابن الشِّحنة

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: اسمه ونسبه.
- المبحث الثاني: مولده ونشأته.
- المبحث الثالث: ثناء العلماء عليه.
- المبحث الرابع: مؤلفاته.
- المبحث الخامس: وفاته.

القسم الأول – الدراسة وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ترجمة صاحب المنظومة أبي الوليد بن الشِّحنة وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه:

هو محب الدين[1] أبو الوليد محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن الختلو غازي بن أيوب الحلبي الثقفي الحنفي. ويصفه ابن العماد[2] والمقريزي[3] –بقولهما عنه–: "التركي الأصل"[4].

أولاً: أبوه محمد: محمد بن محمد هو كمال الدين أبو الفضل ابن الشِّحنة يقول عنه ابن حجر: "كان فاضلاً بارعًا يدرس في مذهب الحنفية"[5].

ويقول عنه أيضًا: ". . . من أهل الفضل"[6].

وينقل السخاوي عن البرهان الحلبي[7] وصفه له بـ: "كان مفتي الحنفية في زمانه "[8].

وفاته: مات سنة ست وسبعين وسبع مائة بحلب[9].

---

[1]() ابن العماد؛ "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" الناشر/دار ابن كثير، دمشق- بيروت ط. الاولى 1406 هـ – 1986 م: (9/169).

[2]() أحمد بن عماد بن يوسف بن عبد النبي، أبو العباس، شهاب الدين الأقفهسي ثم القاهري: فقيه شافعيّ، كثير الاطلاع، في لسانه بعض حبسة. له (التعقبات على المهمات) للإسنويّ، و (شرح المنهاج) و (السر المستبان مما أودعه الله من الخواص في أجزاء الحيوان) و (التبيان في آداب حملة القرآن) منظومة، و (الذريعة في أعداد الشريعة). ولد في عام 750، وتوفي في عام 808 هـ. الأعلام للزركلي (1/184).

[3]() تقدمت ترجمه ص (8).

[4]() "شذرات الذهب": 9/169، "درر العقود الفريدة": (3/110).

[5]() إنباء الغمر بأنباء العمر الناشر/المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية – مصر، عام النشر 1389 هـ – 1969 م: (1/98).

[6]() "إنباء الغمر بأنباء العمر": (2/534).

[7]() البرهان الحلبيّ، إبراهيم بن علي بن ناصر الدمياطيّ الأصل، القاهري، الشافعيّ. وكان فاضلا، قطن حلب وولي قضاء العسكر بها، وسمع على جماعة، منهم: الحرّاني، وابن صدّيق، وحدّث وسمع منه جماعة، منهم الحافظ ابن حجر. ومولده في سنة خمس وستين وسبعمائة. ذيل معجم شيوخ ابن فهد (336) رقم 3، والضوء اللامع (1/ 99).

[8]() الذيل على رفع الإصر: 358.

[9]() "إنباء الغمر بأنباء العمر": 2(/534).

ثانيًا: "جده الأعلى" محمود بن الختلو: ذكر ابن العديم[1] محمودًا هذا ووصفه بـ: ". . الأمير حسام الدين"[2].

ويقول-عنه-ابن الحنبلي[3]: ". . كان في شبابه ينوب "في الشحنكية"[4] بحلب، ثم استقل بها —في أيام الملك الصالح إسماعيل بن محمود زنكي[5]، وبعده- وبنى مدرسته "الوقفية" التي تعرف بالمدرسة "الحسامية""[6].

ثم يذكره ابن العديم أيضًا: — في حصار الملك الناصر "لحلب"؛ محرم تسع وسبعين وخمس مائة — فيقول: "أسر حسام الدين محمود بن الختلو بالقرب من "بنقوسا" وهو الذي تولى شحنكية حلب فيما بعد"[7].

وينقل الطباخ[8] عن والد المؤلف "الشارح" في شرحه على المائة - الفرضية التي هي للجد — ينقل عنه: أن الشِّحنة صفة لجد جد جد والده فاشتهر أولاده بها[9].

---

[1]() ابن العديم: عمر بن أحمد العقيلي، كمال الدين: مؤرخ، محدث، من الكتّاب. ولد بحلب، ورحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق، وتوفي بالقاهرة. وكان عالما، فاضلا، بارعا، من أعيان رؤساء بلده، صدرا، رئيسا. طالت أيامه في قضاء حلب زيادة على الثلاثين سنة. فوات الوفيات (2/ 101).

[2]() كمال الدين ابن العديم؛ "بغية الطلب في تاريخ حلب". دار الفكر: (4/1826).

[3]() ابن الحنبلي: عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد ابن علي الشيرازي الأصل الدمشقيّ، أبو القاسم: مفسر من فقهاء الحنابلة، يعرف بابن الحنبلي. ولد وتوفي بدمشق. وكان سفير صاحبها حين ورد عليها الإفرنج سنة 523 هـ أرسله إلى الخليفة المسترشد باللَّه العباسي ببغداد، فأكرمه الخليفة وخلع عليه ووعده بالنجدة. الذيل على طبقات الحنابلة (1/ 237).

[4]() شحنكية: هي وظيفة تطلق على متولي رياسة الشرطة. انظر: معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية ص 230.

[5]() إسماعيل بن محمود زنكي: الملك الصالح نور الدين، أبو الفتح ابن الملك العادل نور الدين محمود بْن زنكي التركي. (المتوفى: 577 هـ) ملك حلب بعد موت أبيه في سنة تسع وستين وخمسمائة، وهو إذ ذاك صبي لم يبلغ الحلم، وكان بدمشق مع والده. بغية الطلب في تاريخ حلب (4/1822).

[6]() "در الحبب في تاريخ أعيان حلب". منشورات وزارة الثقافة-دمشق1973م: (2/105).

[7]() "زبدة الحلب من تاريخ حلب" الطبعة الأولى 1417 هـ – 1996 م، دار الكتب العلمية: (1/391).

[8]() محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي: مؤرخ حلب، ومن كبار فضلائها. مولده ووفاته فيها. تعلم في إحدى مدارسها الابتدائية، ثم قرأ على علمائها، وحفظ كثيرا من المتون، فتأدب وتفقه. واشتغل بالتجارة. ثم أنشأ (المطبعة العلمية) وكتب كثيرًا في الصحف والمجلات، ولا سيما مجلة (المجمع العلمي العربيّ) وكان من أعضائه. ودرّس في (الكلية الشرعية) بحلب، ثم اختير مديرًا لها. أشهر كتبه (إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء). الأعلام (6/123).

[9]() محمد راغب الطباخ؛ "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء"، دار القلم العربي-حلب، ط. الثانية 1409هـ-1989م: (5/309).

يقول ابن الجوزي: "والشِّحنة بكسر الشين والعامة تفتحها وهي غلطٌ، وهو اسم المرابط من الجند في البلد من أولياء السلط؛ لضبط أهله، وليس باسم الأمير والقائد كما يذهب إليه العامة، والنسبة إليه شحني وشحنية ولا تقل شحنكية"[1].

والشِّحنة في اللغة عبارة عن النائب الكافي، وفي البلد من فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان[2].

وفاته: توفي محمود "الشِّحنة" هذا سنة: 615 هـ؛ خمس عشرة وست مائة[3].

المبحث الثاني: مولده ونشأته:

ولد سنة تسع وأربعين وسبع مائة بحلب، نشأ بها مشتغلاً بالعلم[4] في كنف أبيه[5]، حفظ القرآن العظيم وعدة متون، وتفقه، وبرع في الفقه والأصول، والنحو، والأدب وأفتى ودرس[6]، وقال الشعر الحسن.

وينقل السخاوي عن البرهان الحلبي قوله عنه: "من بيوت الحلبيين مهر في الفقه والأدب والفرائض مع جودة الكتابة، ولطف المحاضرة، يتوقد ذكاء وله تصانيف لطاف"[7].

- عين على قضاء حلب وهو دون الثلاثين من عمره وذلك سنة ثمان وسبعين وسبع مائة[8].

المبحث الثالث: ثناء العلماء عليه:

يصفه سبط ابن العجمي فيقول: ". . العلامة "[9].

1() الطباخ؛ "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء": (5/310).

2() المصدر السابق. وقال في لسان العرب (13/234): "قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: وَقَوْلُ العامَّة فِي الشِّحْنةِ إنه الأَمير غَلَطٌ. وَقَالَ الأَزهري: شِحْنةُ الكورَة مَنْ فِيهِمُ الْكِفَايَةُ لِضَبْطِهَا مِنْ أَولياء السُّلْطَانِ". وجاء في المعجم الوسيط (1/474): (الشّحْنَة) الْجَمَاعَة يقيمها السُّلْطَان فِي بلد مَا لضبطه.

3() ابن الحنبلي؛ "در الحبب في تاريخ أعيان حلب": (2/105).

4() ذيل الدرر الكامنة: 225.

5() الذيل في رفع الاصر: 406.

6() شذرات الذهب: (9/169).

7() الذيل على رفع الاصر: 409 –410، والضوء اللامع: 5380.

8() إعلام النبلاء: (2/367). وأيضا: الغزي؛ "نهر الذهب في تاريخ حلب" دار العلم، حلب ط الثانية 1419 هـ: (1/234).

9() "كنوز الذهب في تاريخ حلب" منشورات: دار القلم العربي –بحلب، الطبعة الأولى 1417هـ-1996م: (1/229).

يقول الظاهري عنه: "عالم الحنفية بحلب، الشيخ العلامة، عارف بالفنون، له وجاهة ورياسة، ولي الوظائف الجليلة وقضاء مصر لكن لم يباشرها"[1].

وينقل السخاوي عن العلاء ابن خطيب الناصرية[2] وصفه له بـ: "شيخنا وشيخ الاسلام، كان إنسانًا حسنًا عاقلاً، دمث الأخلاق، حلو النادرة، عالي الهمة، إمامًا، عالما، فاضلاً، ذكيًا، له الأدب الجديد والنظم والنثر الفائقان واليد الطولى في جميع العلوم"[3].

ويقول ابن حجر: "الإمام العلامة محب الدين قاضي حلب"[4].

ويقول عنه أيضًا: "مهر في عدة فنون وقال الشعر الحسن"[5]، ويصفه في فتح الباري بـ: "الإمام. . . قاضي حلب"[6]، ويقول عنه: "محبًا في السنة وأهلها"[7].

أما السيوطي فيصفه: "عالم حلب"[8].

ويقول عنه الشوكاني: "من أفراد الدهر علمًا وفصاحة وعقلاً ورياسة"[9].

أما المقريزي فيقول واصفًا له: "برع في العربية والأدب وغيره"[10].

ويحليه الغزي بـ: "العالم الشهير والعلامة النحرير"[11].

ويصفه السخاوي أيضًا: "الحلبي قاضيها"[12].

---

[1]() الظاهري "نيل الأمل في ذيل الدول":. (3/238).

[2]() علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي، أبو الحسن، علاء الدين الطائي الجبريني المعروف بابن خطيب الناصرية: مؤرخ، من القضاة. المتوفى عام 843 هـ. من أهل حلب مولدا ووفاة. أصله من " بيت جبرين الفستق " بشرقي حلب. صاحب التاريخ المشهور: «الدر المنتخب في تاريخ حلب»، جعله ذيلا لتاريخ ابن العديم، رحل إلى دمشق والقاهرة، ودرّس وأفتى، وولي قضاء طرابلس ثم قضاء حلب وحمدت سيرته في جميع مباشراته. الضوء اللامع (5/303) والبدر الطالع (1/ 476).

[3]() السخاوي؛ الذيل على رفع الاصر: 409، والضوء اللامع: (5/10).

[4]() الدرر الكامنة: (4/231).

[5]() ذيل الدرر الكامنة: 225.

[6]() فتح الباري: (7/97).

[7]() المجمع المؤسس للمجمع المفهرس: (3/234).

[8]() "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة "دار الكتب العربية عيسى البابي الحلبي- وشركاه مصر. الطبعة الأولى 1968م – 1387 هـ: (2/85).

[9]() البدر الطالع: (2/264).

[10]() السلوك: (6/346).

[11]() نهر الذهب في تاريخ حلب: (1/234).

[12]() الذيل التام على دول الاسلام: (1/479).

ويقول عنه الظاهري أيضًا: "له نظم ونثر وتصانيف"[1].

المبحث الرابع: مؤلفاته:

- مؤلف في التفسير[2].
- وشرح الكشاف ولكنه ما أكمله[3].
- نظم السيرة[4].
- اختصار تاريخ المؤيد "صاحب حماة" مع التذييل عليه إلى زمنه على طريقة الاختصار[5].
- سيرة نبوية[6].
- الرحلة القصرية إلى الديار المصرية[7].
- اختصر منظومة النسفي في ألف بيت مع زيادة مذهب أحمد[8].
- نظم "ألف بيت". في عشرة علوم[9].
- وله تآليف أخرى في الفقه، والأصول والتفسير[10].
- روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر[11].
- الموافقات العمرية للقرآن الكريم[12].

---

[1] نيل الأمل في ذيل الدول: (3/238).

[2] البدر الطالع: (2/264).

[3] إنباء الغمر: (2/535).

[4] ذيل الدرر الكامنة: 226، والضوء اللامع: (10/6)، المجمع المؤسس للمجمع المفهرس: (3/234)، عنونها د. جلال شوقي ب "السيرة المنظومة" (ينظر: "منظومات السيرة النبوية الجزء الأول حتى نهاية القرن الثامن الهجري-دراسة وثائقية" الناشر/ مركز بحوث السنة والسيرة-جامعة قطر-الدوحة. العدد الثاني، سنة1407هـ-1987م: 614).

[5] الطباخ: (5/161)، الاعلام: (7/44).

[6] الدكتور محمد يسرى سلامة؛ "مصادر السيرة النبوية ومقدمة في تاريخ تدوين السيرة" الطبعة الأولى 1431هـ، دار الجبرتي للنشر والتوزيع-دار الندوة للنشر والتوزيع؛ القاهرة: 218.

[7] الاعلام: (7/44).

[8] شذرات الذهب: (9/170)، والبدر الطالع: (2/264).

[9] المصدر السابق.

[10] شذرات الذهب: (9/170)، إنباء الغمر: (2/536).

[11] كشف الظنون: (1/920).

[12] الأعلام: (7/44).

- الأمالي في الحديث "سبعون مجلسًا"[13].
- أوضح الدليل والأبحاث في ما تحل به المطلقة بالثلاث[2].
- تنوير المنار[3].

المبحث الخامس: وفاته:

توفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر سنة خمس وثمان مائة[4]، -ويجعل اللكنوي الهندي[5]: وفاته سنة سبع عشرة وثمان مائة -[6]، بحلب[7].

---

[13]() المصدر السابق.

[2]() معجم المؤلفين: (3/689).

[3]() البغدادي، وهدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، استانبول سنة 1955، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان: (2/180).

[4]() الشوكاني؛ البدر الطالع: (2/265)، وإنباء الغمر: (2/535)، ذيل الدرر الكامنة: 225، والمجمع المؤسس: (3/234).

[5]() اللكنوي الهندي: محمد عَبْد الحَيّ بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات: عالم بالحديث والتراجم، من فقهاء الحنفية. من كتبه (الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة) و (الفوائد البهية في تراجم الحنفية) و (التعليقات السنية على الفوائد البهية)، توفي: 1304 هـ. الأعلام (6/ 187).

[6]() "الفوائد البهية في تراجم الحنفية" ط. الأولى سنة 1324- مصر: ص51.

[7]() المقريزي؛ السلوك لمعرفة دول الملوك: (6/346)، والأعلام الزركلي: (7/44)، هدية العارفين: (2/180)، معجم المؤلفين: (3/689).

الفصل الثاني

ترجمة شارح المنظومة أبي البركات ابن الشِّحنة

وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: اسمه ونسبه.
- المبحث الثاني: مولده ونشأته.
- المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.
- المبحث الرابع: ثناء العلماء عليه.
- المبحث الخامس: مؤلفاته.
- المبحث السادس: وفاته.

الفصل الثاني: ترجمة شارح المنظومة أبي البركات ابن الشِّحنة، وفيه ستة مباحث.

المبحث الأول: اسمه ونسبه:

عبد البر بن محمد بن محمد سري الدين، قاضي القضاة الحنفي[1]، الحلبي ثم القاهري، سبط قاضى القضاة السفطي؛ قاضى الشافعية بالديار المصرية "في الدولة الجركسية"[2]

المبحث الثاني: مولده ونشأته:

ولد تاسع ذي القعدة بحلب سنة إحدى وخمسين وثمان مائة[3] ثم انتقل إلى القاهرة واشتغل في علوم شتى على شيوخ متعددة منهم: والده.

- تولى قضاء حلب، ثم تولى قضاء القاهرة، وصار جليس السلطان الغوري[4] وسميره[5].
- ولي الخطابة بجامع الحاكم عوضا عن الناصري الحنفي[6].
- قرر على قضاء الحنفية "في جمادى الثانية 906هـ"[7].
- تولى إدارة الاستبدالات والتعيينات في القضاء[8].
- رتب معيدًا[9] للحديث النبوي "بالزينية المزهرية" بعد البهاء المشهدي[10].

---

[1]() النجم الغزي؛ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1418هـ – 1997 م: (1/220).

[2]() در الحبب: (1/744).

[3]() الطبقات السنية في تراجم الحنفية: (4/259)، "شذرات الذهب ": (10/142)، " الكواكب السائرة ": (1/220)، " إعلام النبلاء ": (5/358).

[4]() يُعتبر السلطان الغوري آخرُ "ملوك الشراكسة" الذين حكموا الشام، محمد كرد علي؛ "خطط الشام" نشر: مكتبة النوري–دمشق، الطبعة الثانية: (2/203).

[5]() " إعلام النبلاء ": (5/358)، و"در الحبب": (2/48).

[6]() " الضوء اللامع ": (4/33)، و أيضًا: عبد الوهاب عزام؛ "مجالس السلطان الغوري" الناشر/الهنداوي للتعليم والثقافة–2012م، القاهرة: ص22.

[7]() ابن إياس؛ بدائع الزهور": (3/466).

[8]() " الضوء اللامع ": (4/33).

[9]() رتب: الرُّتُوبُ: الانتصاب، والمصَلِّي يَرْتُبُ أي ينتَصِبُ. والرَّتَبُ: ما أشرَفَ من الأرض كالدرج. وتَرَتَّبَ فلانٌ أي عَلا رُتْبة أي دَرَجةً. معيد: يقال: هو معيدٌ لهذا الشيء أي: مُطيقٌ له، قد اعتاده. العين (8/115، 2/ 218).

[10]() " الضوء اللامع ": (4/33).

- رتب معيدًا "بالصرغمتشية" وهو شاب[1]، ولي الشيخونية بعد أبيه محرم890هـ[2].
- وولي الحديث بالمؤيدية.

يقول الطباخ عنه: "كان بليغًا منطقيًا مهيبًا شهمًا سخيًا متوسعًا في الإنفاق، لا يمسك في يده الدرهم الفرد ولا ما فوقه"[3].

في تصدره يافعًا يقول هو:

سموت لمنصب الافتاء طفلاً — وكان له إلى قربي ابتدار

وكم قرأت في الكشاف درسًا — عظيمًا قبل ما دار العذار[4]

- وأجيز بالإفتاء والتدريس وأفتى ودرس.
- قرر في مشيخة المدرسة الأشرفية —عوضًا عن البرهان بن الكركي[5] -محرم903هـ[6].
- وناب عن أبيه في القضاء، وحج مع والده، وله النظم والنثر[7].

---

[1] () " الضوء اللامع ": (4/34).

[2] () الظاهري " نيل الأمل في ذيل الدول: (3/407)، وأيضًا: ابن إياس؛ "بدائع الزهور": (3/214)، وأيضا: السخاوي " الذيل التام على دول الاسلام": (2/387).

[3] () " إعلام النبلاء ": (5/359).

[4] () " أعلام النبلاء": (5/33).

[5] () إِبْرَاهِيم بن مُوسَى بن بِلَال بن عمرَان بن مَسْعُود الْبُرْهَان العدماني الكركي ثمَّ القاهري الشَّافِعِي وَيعرف بالكركي. ولد فِي سنة سِتّ وَسبعين وَسَبْعمائة كَانَ بارعا فِي أَنْوَاع الْعُلُوم صنف فِي الْقرَاءَات والعربية وَالتَّفْسِير وَالْفِقْه وأصوله وَتُوفِّي فِي شهر رَمَضَان سنة ثَلَاث وَخمسين وَثَمَانمِائَة. طبقات المفسرين (428/)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (1/175).

[6] () ابن إياس؛ "بدائع الزهور": (3/376).

[7] () تقي الدين؛ " الطبقات السنية في تراجم الحنفية " الناشر دار الرفاعي مطبعة هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1989 م 1410 هـ: (4/259).

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه:

سمع ببيت المقدس – حال إقامته فيه مع والده[1] – من خطيبه وشيخ صالحيته: الجمال ابن جماعة[2] والتقي أبي بكر القلقشندي[3] وغيرهما[4].

وسمع بالقاهرة على البدر النسابة[5]، والأمين الأقصرائي[6]، والتقي الشمني[7]، والجلال القمصي[8]، والشمس اللمتوتي[9]، وأم هانئ الهورينية[10].

---

[1]() نَفْيُ والده إلى القدس من قبل الأشرف قايتباي كان سنة877هـ. انظر: در الحبب: (2/110).

[2]() الجمال ابن جماعة: عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن نصر الله الكناني، القاهريّ، الشافعيّ. خطيب البيت المقدس. أجاز له ابن أميلة، وابن القاري، وابن السل، في آخرين. وكان فاضلا من بيت علم وفضل. ومولده سنة ثمانين وسبعمائة. الضوء اللامع (5/ 51).

[3]() عبد الله بن محمد ابن إسماعيل بن علي، تقي الدين، ابن القلقشندي: محدث، من فقهاء الشافعية. مصري الأصل، مقدسي المولد والوفاة. ولد سنة 55، وكان حسن السمت كثير الديانة محبّاً في الحديث، كتبت منه الكثير، ومات وله دون الأربعين. له (مشيخة) في دار الكتب، ذكر فيها شيوخه (61 شيخا) وأسانيده عنهم. إنباء الغمر بأبناء العمر (2/373)، الأعلام (2/69).

[4]() السخاوي " الضوء اللامع ": (4/23)، و" الطبقات السنية في تراجم الحنفية": (4/259).

[5]() حسن بن محمد بن أيوب، الهاشمي، الحسني، العلوي الشريف البدر النَّسَّابة. وكان عالما، فاضلا، صنّف وألّف، وبرع في الفقه، وسمع على جماعة، منهم: الصلاح ابن الناطور، والحلاوي، والسويداويّ. ومولده سنة سبع وستين وسبعمائة. الضوء اللامع (3/ 121).

[6]() يحيى بن محمد بن إبراهيم، أبو زكريا، أمين الدين الأقصرائي: فاضل. من الحنفية. تركي الأصل، من بلدة أقصرا (آق سراي) مولده ووفاته بالقاهرة. أقرأ وأفتى. وكان من تلاميذه السخاوي (المؤرخ) فخرّج له من مروياته " أربعين حديثًا عن أربعين شيخًا "ومما قاله في ترجمته له: وأقرأ الفقه والأصلين والتفسير والحديث والعربية والمعاني والبيان، وانثالت عليه الفضلاء من كل مذهب فأخذوا عنه. . وعرض عليه قضاء مذهبه مرة بعد أخرى وهو يمتنع، ودرس التفسير بالمؤيدية، والفقه والحديث بالصرغمتشية، واشتهر ذكره، وبعد صيته. الضوء اللامع (10/240)، والأعلام (8/ 168).

[7]() أحمد بن محمد بن محمد بن حسن ابن علي الشمني القُسَنْطيني الأصل، الإسكندري. أبو العباس، تقي الدين: محدّث مفسر نحوي. ولد بالإسكندرية عام 801 هـ، وتعلم ومات في القاهرة في ذي الحجة عام 872 هـ. . من كتبه (شرح المغني لابن هشام) و (مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا) و (كمال الدراية في شرح النقاية) في فقه الحنفية. الأعلام (1/230)، والضوء اللامع (2/ 174).

[8]() عبد الرَّحْمَن بن أَحْمد بن عبد الرَّحْمَن بن أَحْمد الْجلَال أَبُو الْمَعَالِي بن الشهَاب القمصي. ولد فِي أول شعْبَان سنة اثْنَتَيْنِ وَتِسْعين وَسَبْعمائة، مَاتَ فِي يَوْم السبت تَاسِع عشري الْمحرم سنة خمس وَسبعين. وَكَانَ من خَواص وَالِده وَسمع الحَدِيث على الْعِرَاقِيّين وَكَانَ بارعا يقظا حَافِظًا لكثير من الْمُتُون ضابطا لمشكلها متقنًا لأدائها مديمًا للتلاوة وَالْعِبَادَة والأوراد وَقيام اللَّيْل قَلِيل الْمثل فِي مَجْمُوعه منطويا على خير ومحاسن. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (4/50).

[9]() أَبُو بكر بن عَليّ بن مُحَمَّد الملتوتي شهرة الخانكي وأصل نسبته لبلدة من الفيوم مِمَّن ينتمي لِلْفُقَرَاء وينشد فِي المحافل على طَرِيق الوعاظ مَعَ اشْتِغَال وإحساس بِالْعَرَبيَّة. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (11/60).

[10]() أم هَانِئ الهورينية: مَرْيَم ابْنة الْعَلامَة نور الدّين أبي الْحسن عَليّ بن القَاضِي تَقِيّ الدّين عبد الرَّحْمَن ابْن عبد الْمُؤمن بن عبد الْملك الهورينية الأَصْل، المصرية الشَّافِعِيَّة، أجَازَ لَهَا الْعِرَاقِيّ والهيثمي وَابْن الملقن، وَتَزَوَّجت بالحسام مُحَمَّد بن الرُّكْن عمر بن قطلوبغا البكتمري وَقد حدثت قَدِيما، سمع عَلَيْهَا الْفُضَلَاء، وَهِي امْرَأَة صَالِحَة خيرة فاضلة كَثِيرَة النحيب والبكاء عِنْد ذكر الله وَرَسُوله، محبَّة فِي الحَدِيث وَأَهله، مواظبة على الصَّوْم والتهجد، متينة الدّيانَة، كَثِيرَة التَّحَرِّي فِي الطَّهَارَة. مَاتَت سنة إِحْدَى وَسبعين. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (12/156).

وأكثر عن أبيه، يصرح هو في اللوحة الأولى أنه سمع هذه "المنظومة" من والده في حلب سنة 862هـ.

أخذ الفقه مع الأصول عن البدر بن عبد الله[1].

وفي الحديث عن الزين قاسم بن قطلوبغا الحنفي[2] [3].

وتردد للتقي الشمني ثم الكافيجي[4] [5].

ويذكر السخاوي: أنه قرأ عليه بحضرة أبيه يسيرًا[6].

تلامذته:

1. ولدُهُ أقضى القضاة: محب الدين محمد اشتغل بالعلم على أبيه وغيره[7] (توفي: 951).
2. محمد بن محمد بن سلطان[8]، الدمشقي، الصالحي، الحنفي، شيخ الإسلام، مفتي الديار بالشام[9].

---

[1]() البدر بن عبيد الله أحد مشاهير الحنفية. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (8/27).

[2]() قاسم بن قطلوبغا، زين الدين، أبو العدل السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي: عالم بفقه الحنفية، مؤرخ، باحث. مولده ووفاته بالقاهرة. قال السخاوي في وصفه: " إمام علامة، طلق اللسان، قادر على المناظرة، مغرم بالانتقاد ولو لمشايخه، مع شائبة دعوى ومساجحة! " له " تاج التراجم " في علماء الأحناف. ولد في عام 802، وتوفي في عام 879 هـ. الأعلام للزركلي (5/180).

[3]() " الذيل على رفع الإصر" 366.

[4]() الكافِيَجي: محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي محيي الدين، أبو عبد الله الكافيجي: من كبار العلماء بالمعقولات. رومي الأصل. اشتهر بمصر، ولازمه السيوطي 14 سنة. وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو. ولي وظائف، منها مشيخة الخانقاه الشيخونية. وانتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد سنة (788 هـ). توفي -رحمه الله- سنة (879 هـ). الضوء اللامع (7/259)، وبغية الوعاة(48).

[5]() " الطبقات السنية في تراجم الحنفية ": (4/259).

[6]() المصدر السابق.

[7]() " شذرات الذهب ": (10/415).

[8]() محمد بن محمد بن عمر بن سلطان الشيخ الإمام العلامة، المحقق المدقق الفهامة، شيخ الإسلام، مفتي الأنام، ببلاد الشام، المعروف بابن سلطان الدمشقي، الصالحي الحنفي، ميلاده سنة سبعين وثمانمائة. له شرح على الكنز. وكان بيده تدريس القصّاعية المختصة بالحنفية، وتدريس الظاهرية التي هي مسكنه، والنظر عليها. وكان له تدريس في الجامع الأموي، وغير ذلك من المناصب العليّة. وولي القضاء بمصر في زمن الغوري نيابة عن شيخه ابن الشّحنة، توفي سنة 950. ديوان الإسلام (3/135). الكواكب السائرة (2/13). شذرات الذهب (10/406).

[9]() " الكواكب السائرة " (2/13)، وأيضًا: "شذرات الذهب": (10/406).

3. قاضي القضاة كمال الدين أبو اللطف محمد بن يوسف الربعي الحلبي التادفي[1] [2]، (ولد: 874 هـ، وتوفي: 956 هـ).

4. إبراهيم بن يوسف بن الحنفية[3] [4].

5. بشر المصري الحنفي[5] الإمام العلامة الصالح، وقد أجازه صاحبنا عبد البر بالإفتاء والتدريس[6] (ت 960).

6. علي بن ياسين بن محمد الداراني الأصلي، الطرابلسي المولد، الحنفي[7]، نزيل القاهرة[8].

المبحث الرابع: ثناء العلماء عليه

أثنى عليه والده وشيخه أقضى القضاة محمد بن الشحنة—وقد سافر عنه في بعض أسفاره- في قصيدة طويلة منها:

لا كنتُ في الـــــدنيا إذا لم أكن لكــريم ذَاتِـكَ يــا سُــري أشــاهدُ

فـــأرى جمـــالا بـــالنواظر يُجتلى ولطيـف معـنى بـالقلوب يُشـاهدُ[9]

ويقول فيها شاهدًا له بالبرور"الزائد":

ولئن ولــدتُكَ يــا سُــري وكُنتَ لي وَلَــدًا ففي التَّحْقِيــق أَنْتَ الْوَالِــدُ

---

[1]() الشافعي محمد بن يوسف بن عبد الرحمن قاضي القضاة، أبو اللطف كمال الدين الربعي، الحلبي، التادفي، الشافعي، ذكره شيخ الإسلام الوالد في الرحلة. وولد سنة أربع وسبعين وثمانمائة، وتفقه على الفخري عثمان الكردي، والجلال النصيبي وغيرهما. ولي قضاء الشافعية بطرابلس، ثم ولي في الدولة العثمانية تدريس العصرونية بحلب، ثم أضيف إليه نظر أوقاف الشافعية بحلب. شذرات الذهب (10/449)، الكواكب السائرة (2/62).

[2]() " شذرات الذهب ": (10/449).

[3]() إِبْرَاهِيم بن يُوسُف بن إِبْرَاهِيم بن أبي الْفَتْح الْبُرْهَان الفاقوسي ثمَّ البلبيسي الشَّافِعِي الرِّفَاعِي من ذُرِّيَّة مُحَمَّد بن الْحَنَفِيَّة. ولد سنة خمس وَتِسْعين بشرقية مصر وَقَرَأَ بهَا الْقُرْآن وَهُوَ ابْن سِتّ عشرَة سنة وَحج مرَّتَيْنِ وزار بَيت الْمُقَدّس وَأقَام ببلبيس يقرئ الْأَطْفَال دهرًا. كَانَ نادرة من نَوَادِر تِلْكَ النواحي وَمِمَّنْ اشْتهر بِالْخَيرِ وَالْعِبَادَة. مَاتَ سنة اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (1/180). الكواكب السائرة (2/83).

[4]() " الكواكب السائرة " (2/83).

[5]() بشر المصري الحنفي الإمام العلّامة الصّالح. أخذ العلم عن البرهان، والنّور الطرابلسيين، وعن شيخ الإسلام عبد البرّ بن الشّحنة، وأجازه بالإفتاء والتدريس، فدرّس وأفتى، وانتفع به خلائق، وغلب عليه، في آخره محبّة الخفاء والخمول، وعدم التردّد إلى الناس، وناب في القضاء مدة، ثم ترك ذلك، وأقبل على العبادة، وكان يديم الصّيام والقيام، رحمه الله تعالى. شذرات الذهب (10/475)، الكواكب السائرة (2/129).

[6]() شذرات الذهب ": (10/475)، " الكواكب السائرة": (2/129).

[7]() عَليّ بن يس بن مُحَمَّد الدَّارَانِي الأَصْل الطرابلسي المولد الْحَنَفِيّ نزيل الْقَاهِرَة. ولد بطرابلس. لَازم أَبَا الْخَيْر ابْن الرُّومِي فِي الْفِقْه والعربية وَسمع فِي الْأُصُول وَغَيره وَقَرَأَ على الْمُحب بن حرباش الزَّيْلَعِيّ وَقَرَأَ على عبد الْبر بن الشّحْنَة فِي شرح الْمُخْتَار. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (6/49).

[8]() السخاوي؛ "الذيل على رفع الإصر": 405.

[9]() " الضوء اللامع " (6/50).

لِوُفُــــورِ إشـــــفاقٍ عَلَيَّ ورأفـــــةٍ ولأنَّ بِـــــــــرَّكَ بى عَظِيمٌ زَائِدُ[1]

- ونقل ابن العماد[2] قولة الحمصي فيه: "كان عالمًا متقنًا للعلوم الشرعية والعقلية"[3].
- ويصفه البصروي[4]: "الشيخ العلامة. . . واجتمعنا به فإذا هو ذو فضائل شتى إمام في فقه أبي حنيفة رضي الله عنه وأصوله"[5].
- يذكره القسطلاني[6] -في إرشاد الساري ضمن العلماء الذين قرظوا" شرح البخاري "للزيني عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي الشافعي- ويصفه: بالزيني عبد البر بن الشِّحنة[7].
- وحلاه ابن العماد بقوله: "شيخ الإسلام[8]".
- يذكره الجبرتي[9]: كواسطة في سند "الإجازة" في الفقه الحنفي؛ والتي تتصل بالإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان[10].

---

[1]() المصدر السابق.

[2]() تقدمت ترجمته ص (23).

[3]() " شذرات الذهب ": (10/142).

[4]() البصروي: عبد الله بن زين الدين، ابن خليل البصروي: فرضي شافعيّ عاش في دمشق. أصله من بصرى الشام. ولد بالقسطنطينية (إسطنبول) ونشأ واستمر إلى أن توفي بدمشق. كان يلقي دروسا عامة وخاصة، وألف كتبا، منها " جمان الدرر ". سلك الدرر (3/86)، الأعلام (4/88).

[5]() " تاريخ البصروي " – الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق؛ الطبعة الأولى 1408 هـ: ص50.

[6]() أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: الشافعي الإمام العلّامة الحجّة الرّحلة الفقيه المقرئ المسند. مولده ووفاته في القاهرة. ولد سنة إِحْدَى وَخمسين وَثَمَانِمائَة، وكان يعظ بالجامع العمري وغيره، ويجتمع عنده الجمّ الغفير، ولم يكن له نظير في الوعظ، وكتب بخطّه شيئا كثيرا لنفسه ولغيره، وأقرأ الطلبة، وتعاطى الشهادة، ثم انجمع وأقبل على التأليف، له (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري). شذرات الذهب (10/169)، والبدر الطالع (1/ 102) والضوء اللامع (2/ 103).

[7]() "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري": المطبعة الكبرى الأميرية – مصر- الطبعة السابعة: 1323هـ: (1/44).

[8]() " شذرات الذهب ": (10/475).

[9]() عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: مؤرخ مصر، ومدوّن وقائعها وسير رجالها، في عصره. ولد في القاهرة وتعلم في الأزهر، وجعله (نابليون) حين احتلاله مصر من كتبه الديوان. وولي إفتاء الحنفية في عهد محمد عليّ. وقتل له ولد فبكاه كثيرًا حتى ذهب بصره، ولم يطل عماه فقد عاجلته وفاته، مخنوقًا. وهو مؤلف (عجائب الآثار في التراجم والأخبار)، ويعرف بتاريخ الجبرتي. متوفي سنة 1240هـ. الأعلام (2/303)

[10]() " تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ": دار الجيل بيروت: (1/447).

- كما يذكره العنابي[1]: في سنده الفقهي "إجازة" في الفقه الحنفي ويصفه بـ: (بالشيخ عبد البر بن الشِّحنة) [2].
- ويقول الكشمري الهندي[3] محتجًا به ومادحًا له: "وصنف عبد البر بن الشِّحنة في السياسة وذكر فيها مسائل كثيرة، وصنف ابن تيمية أيضًا وسماه بالسياسة الشرعية"[4].
- يصفه ابن نجيم المصري[5] بـ: "العلامة عبد البر"[6] ويصفه أيضًا بـ: "شيخ الإسلام"[7].
- ويصفه أحمد الحموي[8] الحنفي بـ "شيخ الإسلام"[9].
- كما يعتبر حلقة في الحديث المسلسل بالحنفيين[10].

---

[1]() محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري، ابن العنابي: عالم بالحديث. من أوائل المجددين ودعاة الإصلاح الاجتماعي والسياسي في العالم الإسلامي، قاض، باحث، من فقهاء الحنفية. نسبته الى عنابة، ومولده بمدينة الجزائر. أخذ عن كبار علمائها، ثم ولي قضاء الحنفية فيها مرارا. ولي الإفتاء في الإسكندرية ومات بها. له (سند) في أوائل الكتب الستة، أجاز به إبراهيم السقا وفرغ منه سنة 1242هـ. توفي بعد 1285 هـ. أعلام الجزائر (245)، الأعلام (7/88).

[2]() أبو القاسم سعد الله؛ "رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي" ط. ثانية، دار الغرب الإسلامي: 118.

[3]() الفقيه المجتهد محمد أنور بن معظم شاه، ولد بكشمير سنة 1292هـودرس على والده الشيخ غلام رسول الهزاروي كتبًا في الفقه وأصوله كان الشيخ رحمه الله إمامًا في علوم القرآن والحديث، وحافظًا واعيًا لمذاهب الأئمة مع إدراك الاختلاف بينهما وبدأ بالتدريس في دار العلوم في ديوبند بعد عدة أعوام من رجوعه من الحرمين الشريفين (فيض الباري شرح صحيح البخاري) في أربعة مجلدات، (عرف الشذى على جامع الترمذي). مشاهير علماء ديوبند، القاري فيوض الرحمن، ص (485).

[4]() " العَرف الشذي شرح سنن الترمذي " دار التراث العربي: بيروت – لبنان 1425 هـ – 2004 م: (3/108).

[5]() زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الشهير بابن نجيم: فقيه حنفي، من العلماء. مصري. أخذ عن العلّامة قاسم بن قطلوبغا، والبرهان الكركي، والأمين بن عبد العال، وغيرهم. له تصانيف، منها (الأشباه والنظائر) في أصول الفقه و (البحر الرائق في شرح كنز الدقائق) فقه، توفي سنة969. شذرات الذهب (10/523) والفوائد البهية (134).

[6]() " الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان " دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان 1419 هـ 1999 م ص: 126.

[7]() المصدر السابق: ص 341.

[8]() أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي (المتوفى: 1098هـ) من علماء الحنفية، حموي الأصل، مصري. كان مدرسا بالمدرسة السليمانية بالقاهرة، وتولى إفتاء الحنفية. وصنف كتبا كثيرة، منها (غمز عيون البصائر) في شرح الأشباه والنظائر لابن نجيم. الجبرتي (1/167)، الأعلام (1/238).

[9]() " غمز عيون البصائر بشرح الأشباه والنظائر " دار الكتب العلمية 1405 هـ – 1985 م: (1/418).

[10]() البيطار الميداني " حلية البشر في القرن الثالث عشر " دار صادر – بيروت الطبعة الثانية 1413 هـ 1993: (1340).

المبحث الخامس: مؤلفاته:

- عقود اللآلئ والمرجان فيما يتعلق بفوائد القرآن[1].
- شرح "المائة البديعية والعشرين" التي نظمها جده أبو الوليد في عشرة علوم[2].
- "غريب القرآن"[3].
- شرح منظومة لابن وهبان الدمشقي[4] [5]، في الفقه الحنفي سماه: "تفضيل عقد الفوائد بتكميل قيد الشرائد"[6].
- " الذخائر الأشرفية في ألغاز الحنفية ": جمع ألغاز ابن العز الحنفي وآخرين[7].
- رسالة في أحكام الجمعة[8].
- رسالة لطيفة مع شرحها، جمع فيها أقوال أهل السير والمفسرين في "البكائين" المذكورين في غزوة تبوك[9].
- زهر الرياض، وهي رسالة في الفقه[10].
- الإشارة والرمز إلى تحقيق الوقاية وشرح الكنز[11].
- تحصيل الطريق إلى تسهيل الطريق[12].
- شرح جمع الجوامع[13].

---

[1]() " معجم المؤلفين ": (2/46).

[2]() " إعلام النبلاء ": (5/358).

[3]() الزركلي؛ " الأعلام ": (3/273).

[4]() عبد الوهاب بن احمد بن وهبان الدمشقي الحنفي فقيه، مقرئ اديب، عروضي، عالم بالعربية. ولي قضاء حماة واستمر فيه إلى أن توفي. من تصانيفه الكثيرة: نهاية الاختصار في أوزان الاشعار، كشف الاستار فيما اختاره البزار في القراءة. مَاتَ فِي ذِي الْحجَّة سنة ثَمَان وَسِتِّينَ وَسَبْعمائة. شذرات الذهب (8/364)، معجم المؤلفين (6/220).

[5]() كحالة؛ "معجم المؤلفين ": (2/ 46).

[6]() " كشف الظنون ": (2/1865).

[7]() " إعلام النبلاء ": (5/358 -359).

[8]() "حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح " دار الكتب العلمية بيروت – لبنان: 158هـ- 714م: 511.

[9]() " شذرات الذهب ": (10/144).

[10]() الزركلي؛ " الأعلام ": (3/213).

[11]() العراقي؛ " هدية العارفين ": (1/498).

[12]() المصدر السابق.

[13]() المصدر السابق.

- رياض القاسمين[1].
- منظومة عينية الفروق[2].
- " لسان الحكام "[3].

المبحث السادس: وفاته:

توفي بالقاهرة سنة إحدى وعشرين وتسع مائة[4]، ويذهب البغدادي إلى أن وفاته كانت بحلب[5].

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

[3] "منحة الساري على صحيح البخاري".

[4] " إعلام النبلاء ": (5/360)، در الحبب: (1/747).

[5] هدية العارفين: (1/498) وأيضًا: " الذخائر الأشرفية في ألغاز الحنفية " دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى 1418 هـ – 1998 م: ص 4.

الفصل الثالث

دراسة الكتاب (شرح نظم السيرة)

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: تحقيق عنوان الكتاب، وإثبات نسبته للمؤلف.
- المبحث الثاني: أهمية الكتاب ومصادره.
- المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب.
- المبحث الرابع: وصف النسخ الخطية للكتاب وإيراد نماذج منها.

الفصل الثالث: دراسة الكتاب (شرح نظم السيرة)، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تحقيق عنوان الكتاب، وإثبات نسبته للمؤلف:

المطلب الأول: تحقيق عنوان الكتاب:

لم نعثر في المصادر التي بين أيدينا على عنوان "محدد" لشرح عبد البر بن الشِّحنة، -لمنظومة جده في السيرة- إلا ما وجدناه عند الدكتور محمد يسرى سلامة؛ حيث عنونه ب: "شرح المنظومة الحلبية في السيرة النبوية".[1].

المطلب الثاني: إثبات نسبته للمؤلف:

مما لا شك فيه أن هذا الشرح لمؤلفه عبد البر بن الشِّحنة، وذلك للأدلة التالية:

1. كونه وقع منسوبًا له في نسختي الكتاب.
2. عزوه لوالده: كما في لوحة (55)، قال: "قال والدي رحمه الله: والمختار انحياز كل فرقة عن الأخرى من غير هزيمة".
3. إثباته له من قبل الدارسين "لمنظومات السيرة" وشروحها[2].
4. أثبته له الدكتور جلال شوقي في بحثه المعنون ب "منظومات السيرة النبوية"[3].

ويضيف أول الكتاب: "رب يسر وأعن واختم بخير. . الحمد لله الذي خص بأحسن السير أشرف البشر" وقال: "يقصد منظومة الجد ذات ال63بيتًا"[4] هي موجودة مع شرح حفيد الناظم عليها بالمواصفات التالية:

مخطوط دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم: 139[5].

---

[1]() "مصادر السيرة النبوية ومقدمة في تاريخ تدوين السيرة": 227.

[2]() محمد يسرى سلامة "مصادر السيرة النبوية ومقدمة في تاريخ تدوين السيرة": 227.

[3]() "منظومات السيرة النبوية الجزء الأول حتى نهاية القرن الثامن الهجري-دراسة وثائقية": 614.

[4]() هنا فائدة لطيفه: وهي أن أبيات المنظومة مساوية لعمر النبي صلى الله عليه وسلم.

[5]() منظومات السيرة النبوية الجزء الأول حتى نهاية القرن الثامن الهجري-دراسة وثائقية": 614.

المبحث الثاني: أهمية الكتاب ومصادره:

المطلب الأول: أهمية الكتاب:

تبرز أهمية الكتاب وقيمته العلمية من خلال النقاط التالية:

1- إن نظم السيرة النبوية من أصعب ما يمكن، ولا يستطيعه إلا من بلغ مبلغًا رفيعًا في العلم، فعظُم شأنُهْ، ورسخت قدمهْ، من أمثال خَاتِمَةِ الحُفَّاظِ، وقاضي القُضَاةِ، وشَيْخِ الشُّيُوخ، أبي الوليد ابن الشِّحنة، فنظم نظما غايةً في الإبداعْ، بإحكامِ إتقانٍ وإمتاعْ، قال الشارح أبو البركات مُبَيِّنًا قيمةَ النَّظْمْ: " أتى فيها بما يحتاج إليه الفقيهْ، ولا يستغني عنه الطالبُ النبيلُ النَّبيهْ، فأحببتُ أن أَشْرَحَهَا شَرْحًا؛ يُفَصِّلُ مُجْمَلَهَا، ويُبَيِّنُ مُشْكِلَهَا، ويَفْتَحُ كُنُوزَهَا، وَيَحُلُّ رُمُوزَهَا، ويسُوقُ قِصَصَهَا، ويُوَفِّيهَا مِنَ الْبَلَاغَةِ حِصَصَهَا".

2- أن صاحب الكتاب سري الدين عبد البر بن الشِّحنة رجع إلى"56" ست وخمسين مصدرًا مكتوبًا.

3- إن صاحب النص أبا البركات ابن الشِّحنة يعتبر من الأئمة وأصحاب المكانة في العلم، وقد نعته الناسخ إبراهيم بن المبلط الشافعي في بداية نسخته قبل الشرح فقال: "قال سيدنا ومولانا الشيخ الإمام العامل العالم العلامة، الحبر البحر الفهامة، المحقق المدقق العمدة، الحافظ المحدث قاضي القضاة شيخ الإسلام ملك العلماء سري الدين أبو البركات. . . ".

4- اعتمد أبو البركات بشرحه الموسع لمنظومة السيرة على أمهات الكتب، رجع فيها إلى كتب السيرة النبوية، والتاريخ، والحديث، وكتب التفسير، وكتب التراجم، ومن هذه المصادر:

تاريخ الطبري، وتهذيب ابن هشام لسيرة ابن إسحاق، والصحيحين، والمختصر في سيرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم للدمياطي، ومروج الذهب للمسعودي، وموطأ الإمام مالك، والطبراني في المعجم الكبير، والطبقات الكبرى لابن سعد، والروض الآنف في شرح سيرة ابن هشام للسهيلي، والكامل لابن الأثير، والمنتظم لابن الجوزي، ودلائل النبوة للبيهقي، والتاريخ الأوسط للبخاري وغيرها.

5- لم يقتصر الكتاب على السيرة النبوية فحسب، بل اشتمل على شيء من سيرة الخلفاء الراشدين، وما حدث في عهودهم؛ من وقائع وأخبار.

6- اهتم أبو البركات في شرحه بأقوال الصحابة رضي الله عنهم جميعًا، فكثيرًا ما تجد: قال أبو بكر، قال عمر، قال أبو هريرة. . . إلخ

7- إن الكتاب زاخر بالأحاديث النبوية الشريفة، وبالآثار عن الصحابة الكرام، وكذلك إذا كان للحديث طرقٌ أخرى؛ تحملُ مَعْنًى زائدًا فإنه غالبًا ما يذكرها، وهذا بلا شك يعطي للكتاب قيمة علمية.

8- إن الكتاب مليء بالقصص، فالمؤلف كثيرًا ما يسوق القصة بكاملها خلال شرحه، وهذا ما يضفي على الكتاب الإمتاع مع زيادة البيان.

المطلب الثاني: مصادر المؤلف في الكتاب:

رجع المؤلف عبد البر بن الشِّحنة في شرحه هذا وفي مجال دراستنا بالذات، والمحددة بـ: "اللوحة [252/أ] إلى اللوحة [332/أ]" إلى ثمانية وعشرين مصدرًا هي:

1- السير والمغازي لابن إسحاق (المتوفى: 151هـ).

2- الفتوح لسيف بن عمر الأسدي (المتوفى: 200 هـ).

4- مغازي الواقدي، لأبي عبد الله الواقدي (المتوفى: 207هـ).

5- الطبقات الكبرى لابن سعد (المتوفى: 230هـ).

6- تاريخ خليفة بن خياط، لخليفة بن خياط (المتوفى: 240هـ).

7- مسند الإمام أحمد، لأحمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: 241هـ).

8- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى: 256هـ).

9- فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (المتوفى: 257هـ).

10- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: 261هـ).

11- تاريخ المدينة لابن شبة (المتوفى: 262هـ).

12- سنن ابن ماجة، للإمام ابن ماجة القزويني (المتوفى: 273هـ).

13- سنن أبي داود، للإمام أبي داود السجستاني (المتوفى: 275هـ).

14- سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى الترمذي (المتوفى: 279هـ).

15- أنساب الأشراف للبلاذري (المتوفى: 279هـ).

16- سنن النسائي، للإمام أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى: 303هـ).

17- تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري (المتوفى: 310هـ).

18- المعجم الكبير للطبراني (المتوفى: 360هـ).

19- دلائل النبوة للبيهقي (المتوفى: 458هـ).

20- معجم ما استعجم للبكري (المتوفى: 487).

21- تاريخ دمشق لابن عساكر (المتوفى: 571هـ).

22- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (المتوفى: 606هـ).

23- أسد الغابة لابن الأثير (المتوفى: 630هـ).

24- الاكتفاء للكلاعي (المتوفى: 634هـ).

25- الرياض النضرة للمحب الطبري (المتوفى: 694هـ).

26- مختصر تاريخ الخلفاء لمغلطاي (المتوفى: 762هـ).

27- البداية والنهاية لابن كثير (المتوفى: 774هـ).

28- نظم الدرر السنية للعراقي (المتوفى: 806هـ).

المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب:

يمكن أن نرصد من خلال البحث والدراسة منهج المؤلف في الكتاب –وفي مجال الدراسة المحدد أعلاه– من خلال خمسة محاور، يمكن سردها على النحو التالي:

المحور الأول: المؤلف والقرآن الكريم.

المحور الثاني: المؤلف والسنة النبوية.

المحور الثالث: المؤلف واللغة والأدب.

المحور الرابع: المؤلف والجغرافيا.

المحور الخامس: المؤلف والسيرة.

وأشير إلى كل محور من هذه المحاور من خلال عدة فقرات، وذلك بناء على حجم المادة سواء كانت كبيرة أم صغيرة.

المحور الأول: المؤلف والقرآن الكريم:

رجع المؤلف–في مجال دراستنا– إلى ثلاثة وعشرين آية من القرآن الكريم؛ جاءت كلها في ثنايا الآثار المنقولة، باستثناء آية واحدة قام بتفسيرها، وإليك تبيان ذلك على النحو التالي:

جاء في الأثر الأول: قال عمر لأبي قرط: كم كان بين الروم والمسلمين يوم خرجت. . . إلى قوله رضي الله عنه: وقال وهو لا يخلف الميعاد: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾..

وفي نفس الأثر، قول تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

وفي نفس الأثر، قول الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .

وفي نفس الأثر، قول الله تعالى: ﴿ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ .

وجاء في الأثر الثاني: فقال أبو عبيدة: قوله منقول الله تعالى فيه، وهو أصدق القائلين وأبرهم: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ ﴾.

وجاء في الأثر الثالث: وصلى بهم أبو عبيدة الغداة فقرأ في الأولى بالفجر وليال عشر، فلما مر بقول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾. قال راشد بن عبد الرحمن الأسدي: قلت في نفسي: ظهرنا والله على القوم للذي أجرى الله على لسانه، وسررت.

وجاء في الأثر الرابع: وخرج معاذ يقول: يا قراء القرآن ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى وأولياء الحق. . . إلى قوله رضي الله عنه: ألم تسمعوا لقول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ ﴾.

وجاء في الأثر الخامس: وقاتل شرحبيل بن حسنة في ربعه الذي كان فيه قتالاً شديدًا، وجعل ينادي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ﴾.

وجاء في الأثر السادس: وكان الأشتر النخعي مع خالد وكان من جلداء الرجال وأشدائهم. . . إلى قوله: فضرب الأشتر كف الرومي فأطارها، وضربه الرومي بسيفه فلم يضره، واعتنقا، ثم دفعه الأشتر من فوق الصخرة فوقعا منها، ثم تدحرجا، والأشتر يقول: ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾.

وجاء في الأثر السابع: حتى قدم علينا عمر بن الخطاب، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهد، وما صنع الله لهم على الأعداء، علمت أنهم الذين كنت أنتظر، فحدثت نفسي بالدخول في الإسلام، فوالله إني ذات ليلة فوق سطح لي، إذا رجل من المسلمين يتلو كتاب الله تعالى، حتى أتى على هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾.

وجاء في الأثر الثامن: ثم إنه قال اللهم أعط معاذًا وآل معاذ من هذا الطاعون النصيب الأوفر، ثم صلى ورجع إلى منزله، فوجد ابنه عبد الرحمن قد طعن، فلما رآه قال: يا أبت﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾، قال: يا بني﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾. فلم يلبث (إلا قليلاً) حتى مات، وصلى عليه ودفنه.

وجاء في الأثر التاسع: فقال عبادة: يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك. . . إلى قوله: وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾.

وجاء في الأثر العاشر: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، قالا: حض الله المسلمين على عهد نبيه صلى الله عليه وسلم على الاستقامة على الدين وندبهم إلى فارس، ووعدهم، فتقدم إليهم في ذلك من غزوهم، ليحثهم وليدربهم، فبدأ بالردة فقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾.

وجاء في الأثر الحادي عشر: وقام عمر فقال: إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك، أين المهاجرون عن موعود الله عز وجل، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في كتاب بأن يورثكموها، فإنه قال: ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾.

وجاء في الأثر الثاني عشر: وعن علي وابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله عز وجل: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾ الآيتين إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾.

و لم يتوجه الشارح رحمه الله – في مجال دراستنا – إلى تفسير الآيات سوى في موضع واحد، وهو تفسيره للآية السابقة، حيث قال: «**مغانم**»: فتوحًا من لدن خيبر، تلوها وتضمون ما فيها «**فعجل لكم هذه**» أي عجل لكم من ذلك خيبر، «**وكف أيدي الناس عنكم**»: أيدي قريش بالصلح يوم الحديبية، «**ولتكون آية للمؤمنين**»: شاهدًا على ما بعدها ودليلاً على إنجازها، «**وأخرى لم تقدروا عليها**»: أي (على) علم وقتها، أفيئها عليكم: فارس والروم، «**قد أحاط الله بها**»: قضى الله بها أنها لكم، منها: الأيام، والقوادس، والواقوصة، والمدائن الحمر بالشام، ومصر، والضواحي، فاجتمعت هذه الصفات فيمن قاتل فارس والروم وسائر الأعاجم ذلك الزمان.

المحور الثاني: المؤلف والسنة:

في الحقيقة لم تتجاوز الأحاديث التي أوردها المصنف رحمه الله – في مجال دراستنا –ستة أحاديث، اعتمد المصنف في سردها على كتب السنة المعتبرة، منها الصحيحين، والسنن والمعاجم، باستثناء حديثين اثنين وقفنا عليهما في تاريخ الطبري رحمه الله.

أول حديث ذكره هو قوله صلى الله عليه وسلم: «**إنه لا يموت عبد من عباد الله وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ويؤمن بالرسل وما جاءت به أنه حق ويؤمن بالجنة والنار إلا أدخله الله الجنة وحرمه على النار ثم مات من ساعته**»، والحديث مخرج في سنن أبي داود وابن ماجة.

والحديث الثاني: ساقه عن أم حرام الأنصارية، حيث قال: وأم حرام الأنصارية قبرها يستسقي به أهل قبرس ويسمونه قبر المرأة الصالحة. وهي خالة أنس بن مالك، وحديثها مشهور في نوم النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها ثم استيقظ وهو يضحك، فسألته: ما يضحكه؟ فقال: «**ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة**»، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم! فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك، فسألته فقال: مثل مقالته

الأولى. فقالت: مثل مقالتها الأولى. قال: «**أنت من الأولين**»، فخرجت في هذه الغزوة فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.

أما الحديث الثالث: فقد ذكره عن ابن إسحاق ثم عزاه إلى الصحيح، حيث قال: "قال ابن إسحاق في روايته وهو في الصحيح وكان عبد الرحمن بن عوف متعنتًا في بعض شأنه فلما قدم قال إن عندي من ذلك علمًا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**»".

أما الحديث الرابع: فقد عزاه إلى كتب تراجم الصحابة، ثم عزاه إلى الطبراني، حيث قال: وفي كتب أسماء الصحابة أن خزيم بن أوس الطائي وفي الطبراني أن خزيمًا قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**هذه الحيرة البيضاء قد رفعت لي وهذه الشيماء بنت بقيلة الأزدية على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود**»، فقلت: يا رسول الله إن نحن دخلنا الحيرة فوجدتها على هذه الصفة فهي لي، قال: «**هي لك**».

أما الحديثان اللذان في تاريخ الطبري:

فالحديث الأول: ذكره في معرض كلامه عن ذكر الحيرة، حيث قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكر الحيرة وأنه أريها وأنها ستفتح على المسلمين. فسأله رجل يقال له: شويل، كرامة بنت عبد المسيح، فقال له: «**هي لك إذا فتحت عنوة**»، يعني الحيرة.

والحديث الثاني: ذكره في ثنايا أحد الآثار المنقولة عن خالد بن الوليد رضي الله عنه، حيث قال: ولما رجع المسلمون من طلبهم، ودخلوا عسكرهم، وقف خالد على الطعام الذي كان المشركون قدموه لغدائهم فأعجلوا عنه، فقال للمسلمين: قد نفلتكموه فهو لكم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إذا أتى على طعام مصنوع نفله**».

المحور الثالث المؤلف واللغة:

اللغة والأدب:

اهتم المؤلف اهتمامًا بالغًا باللغة، ولم لا وهو عالم جليل، ولغوي بارع، ومطلع على اللغة وخفاياها:

أ- ضبط أسماء البلدان والأماكن:

اهتم المؤلف اهتماما ملحوظًا بضبط أسماء البلدان والأماكن، وقد كان عمله في ذلك الشأن على أنواع:

فمنه ضبطه للاسم من غير نقل عن أهل اللغة، ومن غير ذكر اختلاف بينهم، ومن ذلك:

1-أنطابلس: وهي بفتح الألف بعدها نون ساكنة وبعد الطاء المهملة ألف بعدها موحدة مضمومة ولام مضمومة وسين مهملة. ص (165).

2- لوبية: بالضم ثم السكون وباء موحدة وتحتية مشددة. ص (165).

3- برقة: بفتح الموحدة والقاف بينهما راء مهملة. ص (165).

3- السوس: بسينين مهملتين أولاهما مضمومة. ص (166).

4- صبرة: بفتح الصاد المهملة وسكون الموحدة ثم راء. ص (166).

5- زويلة: بفتح الزاي وكسر الواو ثم تحتية بعدها. ص (167).

6- أطد: بمهملتين وفتحتين. ص (183).

7- خفان: بفتح المعجمة وتشديد الفاء. ص (184).

8- نعمان: بالفتح ثم السكون. ص (183).

9- الوركاء: بالفتح ثم السكون وكاف وألف ممدودة. ص (183).

10- هرمزجرد: بالضم ثم السكون وضم الميم والزاي. ص (183).

11- المذار: بالفتح والمعجمة. ص (191).

12- كسكر: بالفتح ثم السكون وكاف أخرى. ص (193).

13- النباج: بكسر النون وآخره ضم. ص (187).

وكذلك ذكره لاختلاف اللغويين في الضبط، ومن ذلك، قوله:

عمواس: قد اختلف في ضبطها فضبطها الحافظ أبو عمر المقدسي بفتح العين والميم وجوز سكون الميم، وفي المراصد رواه الزمخشري بكسر أوله وثانيه وعين تفتح أوله وثانيه؛ لأن الطاعون ابتدأ منها، وفي معجم البكري بفتح أوله وثانيه، وعن الأصمعي، سُمي الطاعون بذلك؛ لقولهم عم وآس. ص (130).

ومن صنيعه أيضًا: نقله في ضبط بعض الأماكن عن صاحب مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لمصنفه: صفي الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، ومن ذلك:

1- أمغيشيا: قال في المراصد بفتح أوله ويضم ثم السكون، العين معجمة مكسورة وأعرقوا فياء ساكنة والسين معجمة وياء وألف. ص (199).

2- الثني: ضبطه في المراصد بكسر أوله وسكون ثانيه، وياء مشددة. ص (191).

3- دومة: بضم المهملة وفتحها كذا في المراصد، وقال إن المحدثين فعلوه خطأ. ص (213).

4- حصيد: بين في المراصد في الحاء المهملة بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، ودال مهملة. ص (213).

5- المصيخ: في المراصد: بضم الميم وفتح الصاد المهملة وياء مشددة وحاء معجمة. ص (187).

ومن ذلك: التعريف بمعنى اسم البلدان، كقوله:

كسكر: معناه كورة واسعة. ص (193).

وكان اهتمامه بالصرف في مواضع قليلة، ومن ذلك قوله:

أُلَّيْس بوزن فُليس. ص (195).

ب- الاهتمام بالشعر:

اهتم المؤلف رحمه الله اهتمامًا بالغًا بالشعر، حتى أنه نقل – في مجال دراستنا – ثلاثة وثلاثين بيتًا من الشعر، وذكر في جلها أسماء قائليها، ومن ذلك:

قوله ص (76):

سائل نساء الحى في حجالها ... ألست يوم الحرب من أبطالها
ومعفص الأقران من رجالها ... .

وأيضًا ص (100):

في كل يوم خيلنا تغير ... نحن لنا البلقاء والسدير
هيهات يأبى ذلك الأمير ... والملك المتوج المحبور

وأيضًا ص (101):

إن تفقــدوني تفقــدوا خــير ... لــدى الغمـرات والـرئيس المحاميا

وذا فخـر لا يملأ الهول صـدره ... ضروبًا بنصل السيف أروع ماضيا

وأيضًا ص (124):

فـــإن يكن أرطبـــون الـــروم ... فـــإن فيهـــا بحمـــد الله منتفعًا

وإن يكن أرطبـــون الـــروم ... فقـد تـركت بها أوصـاله قطعا

وأيضًا ص (155):

أقول إذا ما النفس جاشت ألا ... عليك قليلاً تحمدي أو تلامي

وأيضًـــا ص (193):

فلم أر مثـل يـوم السيب حتى ... رأيت الثـــني تخضـــبه الـــدماء

وألـــوت خيلنـــا لما التقينا ... بقـــارن والأمـــور لها انتهـــاء

هكنـاهم بها حتى استجاروا ... ولـــولا الله لم يـــرزوا قبـــالا

فولـــوا الله نعمتـــه وقولـــوا ... ألا بالله نختضـــــر القتـــــالا

وأيضًا ص (197):

أنا ابن ذات الحسب الممذوق ... إنــك في ضــيق أشــد الضــيق

وأيضًا ص (198):

نفس عصـام سـودت عصـامًا ... وعلمتـــه الكـــرّ والإقـــداما

وأيضًا ص (199):

قتلنـــــا منهم ســـــبعين ألفًا ... بقيــــة خــــربهم غبّ الإســــار

ســـوى من ليس يحصـــى من ... ومن قــد غــال جــولان الغبــار

وأيضًا ص (206):

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة ... وأخـــرى بأثبـــاج النجـــاف

فنحن وطئنـا بـالكواظم هرمـزا ... وبـالثني قـرني قـارن بـالجوارف

ويوم أحطنا بالقصور تتابعت ... على الحيرة الروحــاء إحــدى

حططنــاهم منهــا وقــد كــاد ... يميـل بـه فعـل الجبـان المخـالف

مننا عليهم بالقبول وقد رأوا عيـون المنايـا حـول تلـك

صبيحة قالوا نحن قوم تنزلوا إلى الريـف من أرض العـريب

وأيضًا ص (213):

لبث قليلاً تأتـــك الجلائب كتـــائب تتبعهـــا كتـــائب

وأيضًا ص (217):

ألم ينــه عنــا غي فــارس أننا منعنـاهم من ريفهم بالصـوارم

وأنــا أنــاس قــد تعــود خيلنا لقـــاء العـــادي بـــالحتوف

وروزا قتلنـــا حيث أرهـــف وكـل رئيس زاريـا بالعظـائم

تركنـا حصـيدًا لا أنيس بجوه وقـد شقيت أربابه بالأعـاجم

وإني لـراج أن تلاقي جموعهم غـــديّا بإحـــدى المنكـــرات

ألا أبلغـــــا أسماء أن خليلها قضـــــى وطـــــرًا من روابي

وأيضًا ص (247):

أقسمت بالرحمن أن لا أبرحا أو يصـــنع الله لنــــا فيفتحا

وأيضًا ص (248):

يــا قــوم لا تعنفــوني قــومي لا تكثروا عدلي ولا ما لومى

لا تعـدوني النصـر بعـد اليـوم . . . .

المحور الرابع: المؤلف والجغرافيا:

اهتم المؤلف رحمه الله بذكر مواقع بعض البلدان الجغرافية، بما ينبئ عن كونه من العالمين بذلك الفن، ومن ذلك:

1- لوبية: مدينة بين الإسكندرية وبرقة. ص (165).

2- إذا قصد القاصد إفريقية فأول بلد يلقاه مراقية ثم لوبية وهما كورتان من كور مصر الغربية. ص (165).

3- أرض أنطابلس وهي برقة اسم صقع كبير يشمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية بعد مدينتها أنطابلس. ص (165).

4- السوس: اسم لأماكن منها بلد بالمغرب وقبلي كورة مدينتها طنجة وبالمغرب موضع يسمى السوس الأقصى مدينة كورة مدينتها طرقلة. ص (167).

5- زويلة: بلدان بالمغرب المشهور منهما السودانين بلاد السودان وإفريقية. ص (167).

6- أطرابلس: وهي أطرابلس المغرب في آخر أرض شرقًا وأول أرض إفريقية. ص (167).

7- حصيد: موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة، وقيل: حصيد، مصغّر، واد بين الكوفة والشام، أوقع به القعقاع بن عمرو وفارس، ومن تجمّع إليها وقعة منكرة. ص (213).

8- المصيخ: بين حوراء والقلت كان به وقعة هائلة لخالد على بني تغلب. ص (187).

المحور الخامس المؤلف والسيرة:

سنحاول في هذا المحور الوقوف على أسلوب المؤلف الشخصي ونرصد معالم هذا الأسلوب من خلال تتبع كلامه وتعليقاته.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤلف رحمه مشى على طريقة جده "الناظم" الذي انتهج المنهج "الحولي"، وذلك بذكر السَّنة التي وردت فيها الأحداث، ثم يبدأ بسرد الأحداث التي وقعت فيها تباعًا، وغالبًا ما يذكر الشهر واليوم إن تأتى له ذلك.

من أسلوبه أيضًا أنه ذكر الأحداث الكبيرة ثم يتدرج، وغالبًا في حديثه عن الغزوات يختم بقائمة الشهداء، أما "البعوث والسرايا" فيذكر أمير البعث، ثم الوجهة- فيعطى ضبطًا لغويًا، وإحداثيات

مكانيـة- ثم الهدف، ثم قـوام السـرية، ثم قصـة السـرية بالكامـل من خـروجهم إلى عـودتهم، ويمكن ملاحظة النقاط التالية في منهجه:

1- الترجيح: يلاحظ وبشكل لافت اهتمام المؤلف بالترجيح ومن ذلك قوله:

* وهكذا ذكر سيف والصحيح أن طاعون عمواس. . ص (127).

* وقد خالف أهل السير سيفًا وذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان في سنة ست عشرة وهو الراجح وعليه الأئمة. ص (124).

2- عدم ترجيحه للروايات، وهو قليل، ومن ذلك قوله:

* وقد تقدم ما يخالف ذلك من أسرهما. . . وإطلاق جابان والله أعلم أيهما أصح. ص (236).

3- التصريح بالنقل عن المؤرخين، ومن ذلك:

* نقل عن ابن كثير في موضعين.

* نقل عن أصحاب فتوح الشام في ثلاثة مواضع.

* نقل عن الطبري في أربع مواضع.

* نقل عن ابن إسحاق في خمسة مواضع.

* عندما جاء الحديث عن فتح مصر وشمال إفريقيا أكثر في النقل عن ابن عبد الحكم صاحب كتاب: (فتوح مصر والمغرب والأندلس)، وقد نقل عنه في ستة مواضع.

* نقل عن سيف في أربعة عشر موضعًا.

* نقل عن الواقدي في ثلاثة مواضع.

* نقل عن عمر بن شبة في موضع واحد.

4- عدم التصريح بالكتاب أو مصنفه، وهو قليل، ومن ذلك قوله:

* وفي كتب السير ما قدمناه. . . ص (205).

5- ذكر الاختلاف ونقاشه:

المؤلف بطبيعة الحال عارفٌ بمواقع الخلاف "السِّيَّرِي" وطبيعته، ولذلك ربما يُورِدُ بعض نقاشاته الطفيفة:

* وقيل في قتله غير ذلك. ص (248).

* وقيل إنما أمده بالأربعة فقط. ص (145).

* وقيل أن الأعيرج تخلف بالحصن. ص (146).

* ويقال: إن المقوقس إنما صالح عمرو بن العاص على الروم. ص (154).

6- ذكر أكثر من طريق للرواية، وهو قليل، ومن ذلك قوله:

* ومن طريق آخر أنهما خرجا وأن الاستئذان كان معهم. ص (184).

7- ذكر الاختلاف بين المؤرخين، ومن ذلك قوله:

* عن ابن إسحاق أنها كانت سنة 14، وعن سيف 13 وعن الواقدي. . . ص (61).

* وقد خالف أهل السير سيفًا وذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان في سنة ست عشرة وهو الراجح وعليه الأئمة. ص (124).

* على ما ذكره أصحاب فتوح الشام خلافًا لما ذكره سيف. ص (134).

المبحث الرابع: وصف النسخ الخطية للكتاب وإيراد نماذج منها:

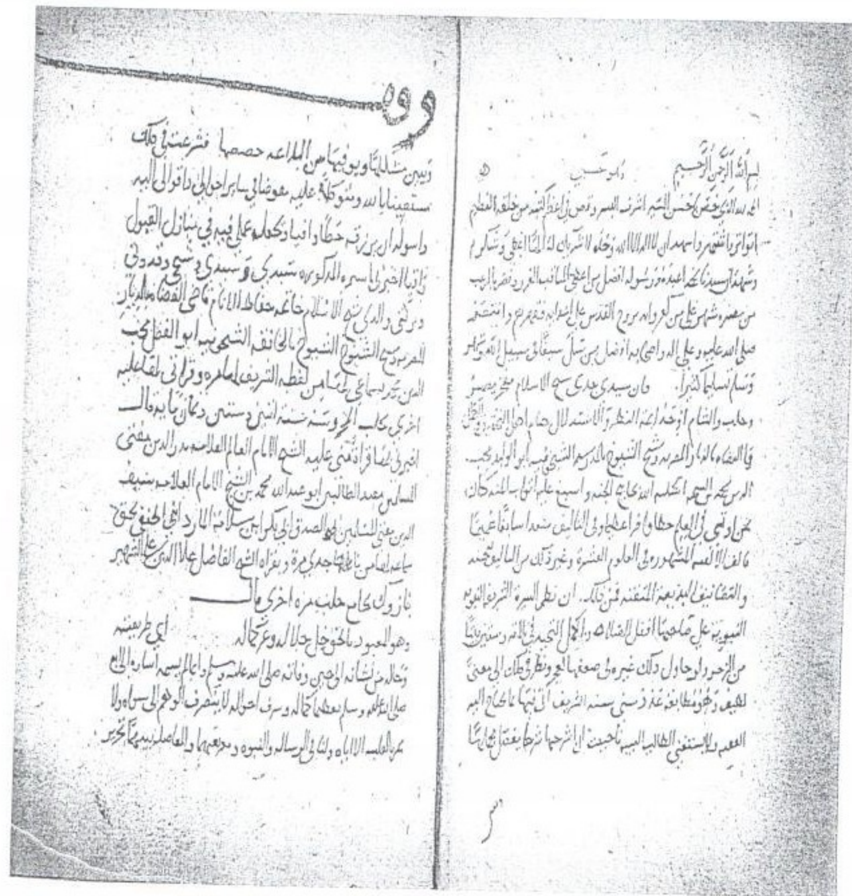
توجد من هذا المخطوط نسختان خطيتان:

النسخة الأولى: النسخة التركية الموجودة في مكتبة فيض الله أفندي برقم (1468)، وهي النسخة التي كتبها المؤلف بخط يده.

عدد اللوحات: 430 لوحة، في كل لوحة وجهان، في كل وجه 17 سطرًا، ويتراوح عدد الكلمات في كل سطر بين (11-13) كلمة، وقد نسخها المؤلف بخط تديني سنة 920 هـ.

النسخة الثانية: نسخة مجلس شوراي بإيران الموجودة برقم: (7761).

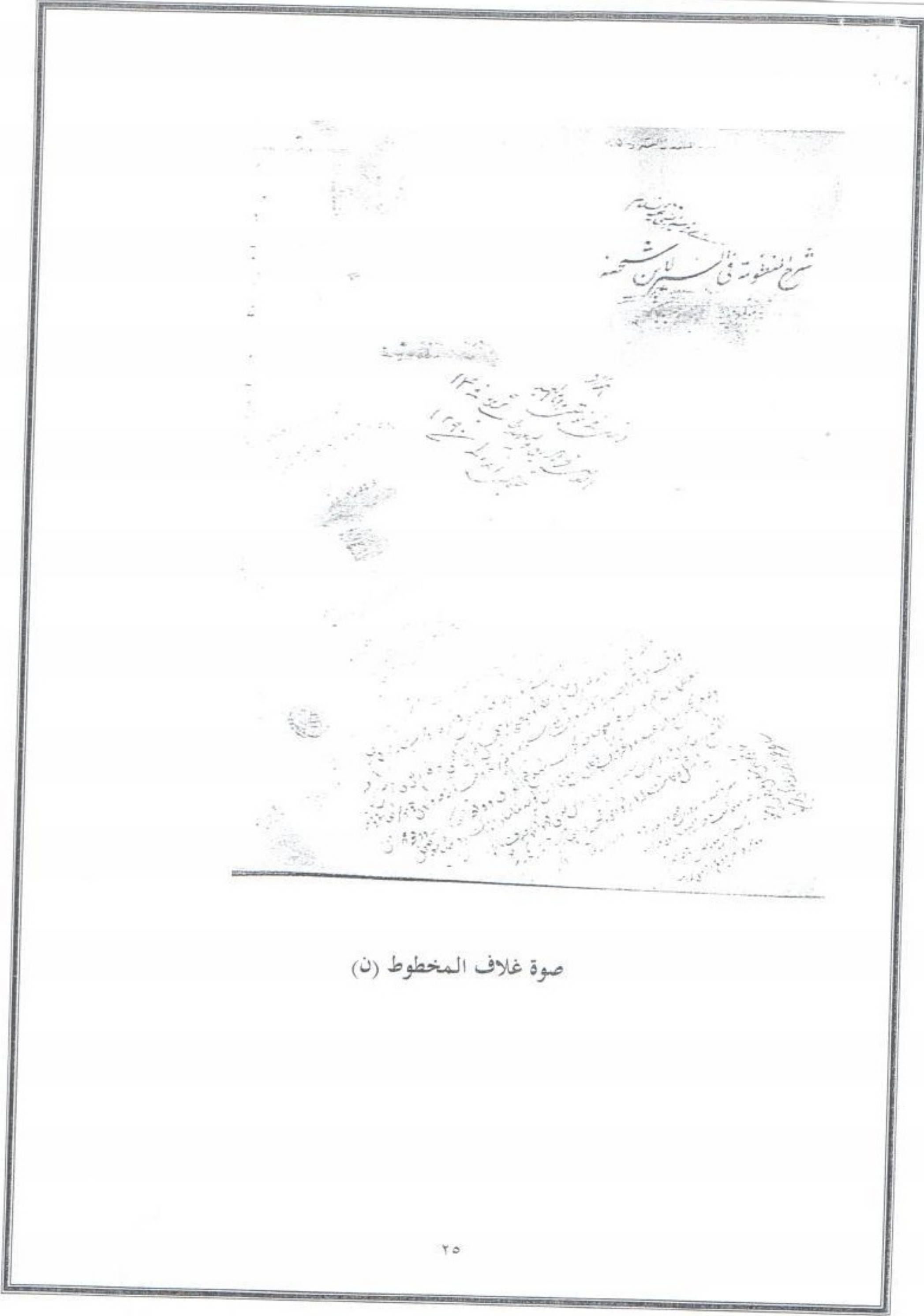
عدد اللوحات: 238 لوحة، في كل لوحة وجهان، في كل وجه 31 سطرًا، ويتراوح عدد الكلمات في كل سطر بين (13-15) كلمة، وقد نسخها إبراهيم بن المبلط الشافعي نسخًا جيدًا سنة 984 هـ.



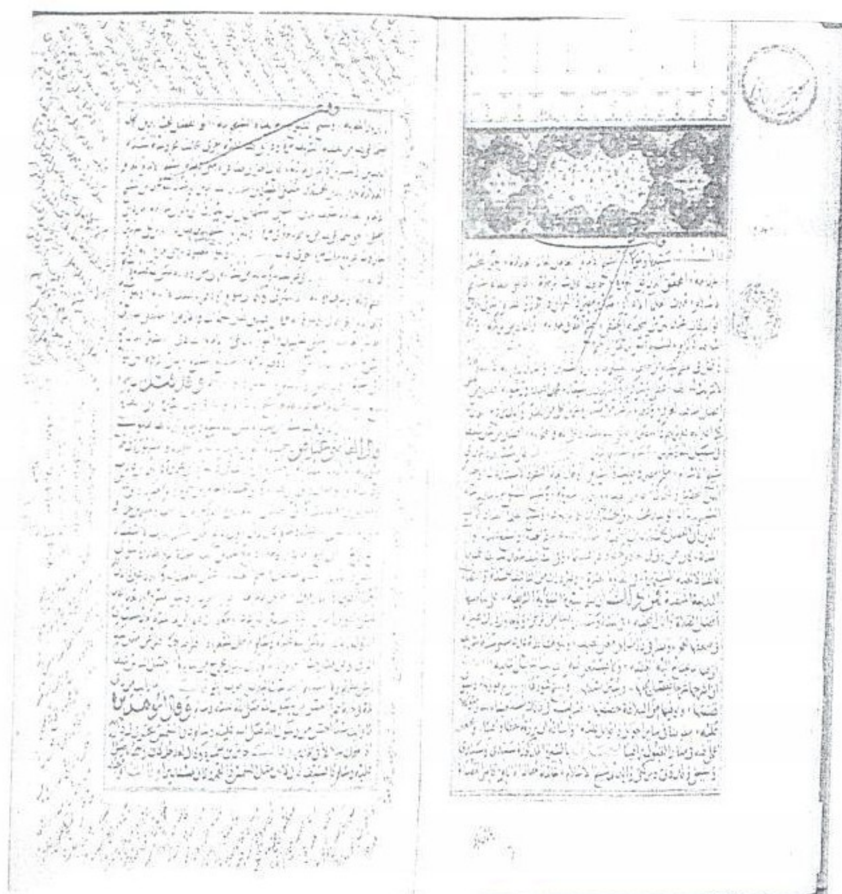
صورة الورقة الأولى من المخطوط (ت)



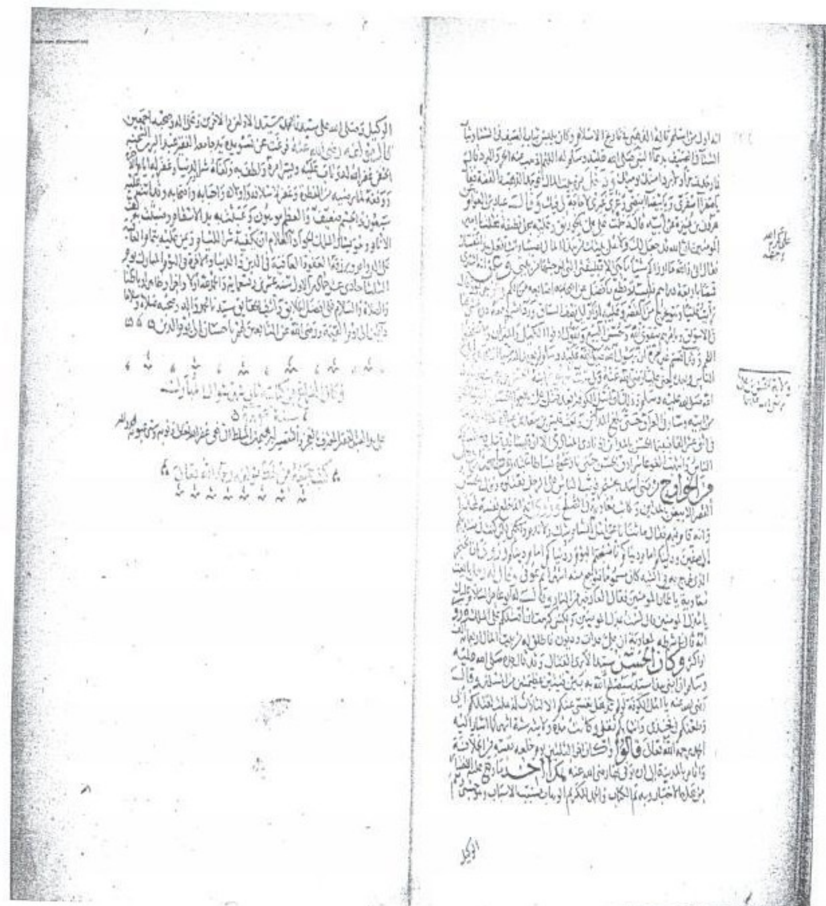
صورة الورقة الأخيرة من المخطوط (ت)



صوة غلاف المخطوط (ن)



صورة الورقة الأولى من المخطوط (ن)



صورة الورقة الأخيرة من المخطوط (ن)

وقعة اليرموك[1] على ما ذكره أصحاب فتوح الشام[2]:

عن ابن إسحاق أنها كانت سنة 14، وعن سيف 13، وعن الواقدي عدا، ولما اجتمع المسلمون باليرموك استشار أبو عبيدة أهل الرأي أن يُعسكر حتى يقدم المدد[3]، فقال يزيد بن أبي سفيان: أرى أن تشير إلى أيلة[4] فنقم لها حتى يأتي المدد[5]، فقال عمرو: ما أيلة إلا كبعض الشام، ولكن سر بنا حتى ننزل الحجر[6] فننتظر[7] المدد، فقال قيس بن هبيرة: لا ردنا الله إذًا إليها إن خرجنا لهم عن الشام أكثر مما خرجنا لهم عنه، أتدَعون هذه العيون المتفجرة، والأنهار المطردة، والزروع والأعناب، والذهب والفضة والحرير، وترجعون إلى أكل الضباء، ولبس العباء، والبؤس والشقاء، وأنتم تعلمون أن من قتل منكم صار إلى الجنة[8]، وأصاب نعيمًا لا يشاكله[9] نعيم، فأين تدعون الجنة وتهربون منها؟ وتزهدون فيها وتأبون الحجر، لا صحب الله من سار إلى الحجر ولا حفظه، فقال له خالد بن الوليد: جزاك الله خيرًا يا قيس فإن رأيك موافق لرأيي.

1() اليَرْموك: واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ثم يمضي إلى البحيرة المنتنة. ونهر اليرموك: طوله 57 كيلاً، منهم سبعة عشر كيلاً في فلسطين. . قال في المعالم الأثيرة: "وهو الحد الفاصل بين سورية والأردن على طول ثلاثين كيلاً: يعد من أكبر روافد نهر الأردن، وينبع من مرتفعات حوران، ويلتقي مع نهر الأردن في جنوبي بحيرة طبرية، على بعد ستة أكيال منها بالقرب من جسر المجامع". انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (5/434)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد حسن شراب ص298.

2() انظر: فتوح الشام، للواقدي (1/148)، الاكتفاء للكلاعي (2/259)، المنتظم لابن الجوزي (4/ 118- 123)، تاريخ الطبري (3/ 396).

3() في الاكتفاء للكلاعي (2/260): من المسلمين: أين ترون أن نعسكر حتى يقدم مددنا؟

4() أَيْلَة: مدينة صغيرة عامرة، بها زرع يسير، وهي مدينة اليهود الذين حرم الله عليهم صيد السبت، وجعل منهم القردة والخنازير. قال عاتق البلادي: "وتعرف اليوم باسم «العقبة» ميناء المملكة الأردنية الهاشمية، على رأس خليج يضاف إليها «خليج العقبة»، وهي عامرة كثيرة التجارة، وبها فنادق ومتنزهات على الشاطئ وخليج العقبة أحد شعبتي البحر الأحمر". المسالك والممالك لابن خرداذبة (ص 14)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (1/35).

5() في الاكتفاء للكلاعي (2/260): فنقيم بها حتى يقدم علينا المدد.

6() الحِجْر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، قال الإصطخري: الحجر قرية صغيرة قليلة السكان، وهو من وادي القرى على يوم بين جبال، وبها كانت منازل ثمود، وأهله اليوم قبيلة عنزة، وبه زراعة حسنة، قال عاتق البلادي: "وأهم ما هنالك عجائب آثار ثمود، وتبعد المنطقة المحرمة من الحجر قرابة (22) كيلا من مدينة العلا شمالا، والعلا: على (322) كيلا على سكة الحديد، شمال المدينة المنورة، وأصبح وادي القرى يسمى وادي العلا". معجم البلدان (2/ 221)، معجم المعالم الجغرافية (1/93).

7() في (ن): فننتظر.

8() انظر: الاكتفاء للكلاعي (2/260).

9() يشاكله: يماثله. وشَاكَلَ هذا ذاك من الأمور، أي: وافقه وشابهه. العين (5/296)

وفي حديث أبي معشر[1]: أن خالدًا كان ساكتًا يسمع ما يقولون، وكان إذا كانت شدة فإليه وإلى رأيه يفزعون، إذ كان لا يهوله[2] من أمر الروم شيء، ولا يزداد بما يبلغه عنهم إلا جرأةً عليهم، فقال له أبو عبيدة: ماذا ترى يا خالد؟ فقال: أرى والله أنا إن كنا إنما نقاتل بالكثرة والقوة فهم أكثر منا وأقوى علينا، وإن كنا إنما نقاتلهم بالله ولله فما أرى أن جماعتهم ولو كانوا أهل الأرض جميعًا تغني عنهم شيئًا، ثم غضب فقال لأبي عبيدة: أتطيعني أنت فيما آمرك به؟ قال: نعم. قال: فولني ما وراء بابك، وخلني والقوم، فإني والله لأرجو أن ينصرنا الله عليهم، قال: قد فعلت، فولاه ذلك، فكان خالد من [أعظم][3] الناس بلاءً، وأحسنه غناءً وأعظمه بركةً، وأيمنه نقيبةً[4]، وكانوا أهون عليه من الكلاب.

وعن رجل من الروم اسمه جرجة[5]، ممن أسلم فحسن إسلامه، قال: كنت مع باهان[6]، فأقبلنا لا يحصي عددنا إلا الله، ولا نرى أن لنا غالبًا من الناس، ولحق بنا كل من كان على ديننا، حتى إن الراهب لينزل عن صومعته ليقاتل[7] معنا غضبًا لدينه، وكان من بالشام من العرب على طاعة قيصر ثلاثة أقسام، قسم على دين العرب، وقسم نصارى لهم[8] في النصرانية نية، وقسم ليس لهم فيها تلك النية، فقالوا: نكره أن نقاتل أهل ديننا ونكره أن ننصر العجم على قومنا، وأقبلت الروم تتبع

---

[1] () أبو معشر: نجيح بن عبد الرحمن السِّنْدي، أبو معشر: فقيه، له معرفة بالتأريخ. أصله من السند. كان ألكن، يقلب الكاف قافا. أقام في المدينة إلى أن اصطحبه المهدي العباسي معه إلى العراق سنة 160 هـ وأمر له بألف دينار، وقال له: تكون بحضرتنا فتفقه من حولنا. واختلط في آخر عمره، ومات ببغداد فصلى عليه هارون الرشيد. له كتاب " المغازي " نقل عنه الواقدي وابن سعد. توفي عام 170 هـ. الطبقات الكبرى (5/488)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (15/ 591).

[2] () يهوله: يفزعه، هاله الشيءُ هَوْلاً: إذا أفزعه. شمس العلوم (10/7004).

[3] () سقط في الأصل.

[4] () نقيبةً: النقيبة: النَّفْس؛ فلَان مَيْمُون النَّقيبة: إذا كَانَ مظفَّرًا. تهذيب اللغة لأبي منصور الهروي (9/161).

[5] () جَرَجَة: بفتح الجيم والراء والجيم الثانية: قائد من قواد الروم، ذكر سيف أنه كان على مقدمتهم يوم اليرموك وأنه أسلم وصلى ركعتين عقب إسلامه وخرج لفوره يقاتل مع المسلمين فقتل ولم يدرك صلاة غير تينك الركعتين، هكذا يعلم من سياق القصة عن سيف في تاريخ ابن جرير. ووقع في المشتبه "وبفتحات جرجة من قواد الروم عن علي وغيره". فأوضح في التوضيح أنه هذا ولم يتعقب قوله "عن علي وغيره" ولم يشهد على اليرموك ولا عاش جرجة بعد إسلامه ما يتسع للسماع والرواية. الإكمال في رفع الارتياب لابن ماكولا (2/ 69).

[6] () باهان: الرومي الأرمني، بطريق من بطارقة الروم، اجتمع عليه الروم لمحاربة جيش خالد في اليرموك، فولى خالد قتاله وقاتل الأمراء من بازائهم فهُزم باهان وتتابع الروم على الهزيمة واقتحموا خندقهم وتيمنت الروم بباهان وفرح المسلمون بخالد، وَجرى الصُّلْح على يَدي خَالِد وَكتب الْكتاب وَلحق باهان بهرقل. انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (2/145).

[7] () في ن: "فيقاتل".

[8] () في ن: "ليس لهم".

المسلمين، وقد كانوا هائبين[1] لهم مرعوبين منهم، لكنهم[2] لما خلوا لهم البلاد وتركوا ما كانوا افتتحوا (منها) [3]، جرأهم عددهم الذي لم يجتمع لأحد قبلهم.

ولم يمروا بأهل أرض افتتحها المسلمون إلا أوقعوا بهم[4] ولاموهم وخوفوهم، فقالوا لهم: أنتم أولى باللائمة وهنتم وعجزتم وتركتمونا وذهبتم، وأتانا ما لا طاقة لنا به، فيعرفون صدقهم ويكفون عنهم، حتى نزلوا المكان بين اليرموك يدعى دير الجبل[5] مما يلي المسلمين، وقد جعل المسلمون نساءهم وأولادهم على جبل خلف ظهورهم، فمر قيس بن هبيرة بنسوة منهن مجتمعات، فلما رأينه قامت إليه أميمة بنت (-أبي) بشر بن زيد الأطول الأزدية[6]، وكانت تحت عبد الله بن قرط[7]، وكان أشبه خلق الله به في الحرب، فرسه يشبه فرسه، وباده[8] يشبه باده، وكل شيء منه كذلك، فظنت أنه زوجها، فقالت له: اسمع بنفسي أنت، فعلم قيس أنها شبهته بزوجها، فقال: أظنك شبهتني بزوجك. فقالت: واسوأتاه وانصرفت، فأقبل قيس عليها، وعلى من كان معها، فقال لهن: قبح الله امرأة تضطجع لزوجها وهذا عدوه قد نزل بساحته إن لم يقاتل عنها، وإذا أراد ذلك منها فلتتمنع عليه ولتحث في وجهه التراب، [252/ت] ثم لتقل له: اخرج قاتل عني، فلست لك بامرأة حتى تمنعني، فلعمري ما تقرب[9] النساء على

---

[1]() هائبين: المهابَةُ هي الإجلال والمخافة. الصحاح (1/239).

[2]() في ن: "إليهم".

[3]() سقط من الأصل.

[4]() قوله: "بهم" سقط في ن.

[5]() دَيْر الجَبَل: هو بالقرب من الرمادة والجولان. فتوح الشام للواقدي (1/145).

[6]() أميمة بنت أبي بشر: بن زيد الأطول الأزدية: زوج عبد الله بن قرط الثمالي الأزدي. شهدت اليرموك مع بعلها. مختصر تاريخ دمشق (5/ 150).

[7]() عَبْد اللَّه بْن قرط: الْأَزْدِيّ الثمالي كَانَ اسمه فِي الجاهلية شيطانًا فسماه رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْد اللَّه، لَهُ ولأخيه عَبْد الرَّحْمَن صحبة، وشهد اليرموك وفتح دمشق، وأرسله يزيد بْن أَبِي سُفْيَان بكتابه إِلَى أَبِي بَكْر الصديق رَضِي اللَّه عَنْهُمْ، ذكره عَبْد اللَّه بْن مُحَمَّد رَبِيعة فِي كتابه فتوح الشام، واستعمله أَبُو عبيدة عَلَى حمص مرتين، ولم يزل عليها حَتَّى توفي أَبُو عبيدة، ثُمَّ استعمله معاوية عَلَى حمص أيضًا. أسد الغابة لابن الأثير (3/ 360).

[8]() الباد: باطِنُ الفَخِذِ. وقِيلَ: البادُّ: ما يَلِي السَّرْجَ من فَخِذِ الفارِسِ. وقيل: هو ما بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ. قالَ ابن الأَعْرابِيِّ: سُمِّى بادّا لأَنّ السَّرْجَ بَدَّهُما؛ أي فَرَّقَهُما. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (9/ 283).

[9]() في ن: "يقرب".

مثل هذه الحال[1] إلا أهل الفسولة[2] والنذالة[3]، ثم مضى.. فقالت المرأة: إنما ظننت أنه ابن قرط[4]، فإنه لم يتعش البارحة إلا عشاء خفيفًا، آثر بعشائه رجلين من إخوانه تعشيا عنده، فكنت هيأت له غداءه، فأردت أن ينزل فيتغدى..

قال ابن قرط: ولما نزل الروم لبثوا أيامًا مقابلينا لا يسألونا ولا نسألهم، ولا يعرضون لنا ولا نعرض لهم، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا جلبة[5] شديدة وأصواتًا عالية وظننت أنهم يريدون النهوض إلينا فتهيئنا ثم دسسنا[6] إليهم عيونًا[7] ليأتونا بالخبر، فما لبثنا إلا قليلاً حتى رجعوا إلينا فأخبرونا أن بريدًا[8] جاءهم من ملك الروم فبشرهم بمال يقسم بينهم وبمدد[9] يأتيهم، ففرحوا بذلك، واجتمعوا إلى باهان[10] النائب[11] فقال لهم: إن الله لم يزل لدينكم هذا معزًا وناصرًا، وقد جاءكم قوم يريدون أن يفسدوا عليكم دينكم ويغلبوا على دنياكم، وأنتم عدد الحصى والثرى[12] والذر[13]، والله إن في هذا الوادي منكم لنحوًا من أربعمائة ألف مقاتل سوى أتباعكم وأعوانكم، ومن اجتمع إليكم من سكان بلادكم وممن هو معكم على دينكم، فلا يهولنكم[14] أمر هؤلاء القوم، فإن عددهم قليل، وهم أهل الشقاء والبؤس وجلهم[15] حاسر[16] جائع، وأنتم الملوك،

---

[1]() في ن: "الحالة".

[2]() الفُسُولة: وَهِيَ الفُتور فِي الأَمر. لسان العرب (11/519).

[3]() النذالة: السَفالةُ. وقد نَذُلَ بالضم فهو نَذْلٌ ونذيلٌ، أي خسيس. الصحاح للجوهري (5/ 1828).

[4]() تقدمت ترجمته ص (63).

[5]() الجلبة: هِي أصوات وَيُقَال: قد جلب على فرسه يجلب جلبًا إذا صَاح بِهِ من خَلفه ليسبق. غريب الحديث لابن قتيبة (2/157).

[6]() دسسنا: من الدس وهو دخول الشيء تحت خفاء وسر. معجم مقاييس اللغة (2/256).

[7]() العَيْنُ: الجاسُوسُ الَّذِي يَتَجَسَّس الأَخبار. لسان العرب (6/38).

[8]() البَرِيد: الرَّسُولُ. لسان العرب (3/86).

[9]() في ن: "ومدد".

[10]() تقدمت ترجمته ص (62).

[11]() قوله: "النائب" سقط من (ن).

[12]() الثَّرَى: الندى. شمس العلوم (2/831).

[13]() الذَّرُّ: صغار النمل. شمس العلوم (4/2225).

[14]() الهَوْلُ: المخافة من الْأَمر لَا تدرِي على مَا تَهجُم عَلَيْهِ مِنْهُ، كَهَوْل اللَّيْل، وهَوْلِ الْبَحْرْ. تهذيب اللغة (6/218).

[15]() في (ن): "وكلهم"

[16]() حاسِرٌ: لَا دِرْعَ عَلَيْهِ وَلَا بَيْضَة على رأْسِه. تهذيب اللغة (4/169).

وأهل الحصون والقلاع والعدة والقوة، فلا تبرحوا العرصة[1] حتى تهلكوهم أو تهلكوا أنتم. فقام إليه بطارقتهم[2] فقالوا له: مرنا بأمرك، ثم انظر ما نصنع. قال: فتيسروا حتى آمركم.

وعن أبي بشر التنوخي[3] وكان نصرانيًا مع باهان[4]: فإذا من نمر به من أهل البلد أحسن شيء ثناءً على العرب في سيرتهم وفي كل شيء من أمرهم، وجعلت الروم يفسدون في الأرض ويسيئون السيرة، ويعصون الأمراء[5]، حتى ضج[6] منهم الناس، فلا تزال جماعة تجيء بالجارية قد افتضت[7]، وجماعة يشكون أن أغنامهم ذبحت، وآخرون سلبوا، فقام باهان فيهم خطيبًا فقال: يا معشر أهل هذا الدين، إن حجة الله عليكم عظيمة، لو بعث إليكم رسولاً، وأنزل عليه كتابًا، وكان رسولكم لا يريد الدنيا، ويزهدكم فيها، وأمركم أن لا تظلموا أحدًا، فإن الله لا يحب الظالمين، وأنتم الآن تظلمون، فما عذركم غدًا عند خالقكم وقد تركتم أمره وأمر نبيكم وما آتاكم به من كتاب ربكم؟ وهذا عدوكم قد نزل بكم، يقتل مقاتليكم[8]، ويسبي ذراريكم، وأنتم تعملون بالمعاصي، ولا ترعون منها خشية العقاب، فإن نزع الله سلطانكم من أيديكم وأظهر عليكم عدوكم[9] فمن الظالم إلا أنتم، فاتقوا الله وانزعوا عن ظلم الناس.

فقام إليه رجل يشكو مظلمة، فقال: أيها الملك، عشت الدهر ووقيناك بأنفسنا مكروه الأحداث، إني من أهل الذمة وكانت لي غنم أظنها مائة، وكان فيها ابن لي يرعاها، فمر به عظيم من عظماء أصحابك، فضرب بناءه إلى جنبها وأخذت حاجته منها، وانتهب بقيتها أصحابه، فجاءته امرأتي

---

[1] () العَرْصَةُ: كلُّ بُقعةٍ بين الدُورِ واسعةٍ ليس فيها بناءٌ، والجمع العراص والعرصات. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (3/1044).

[2] () البِطْريقُ: القائدُ من قوّاد الروم. الصحاح (4/1450)

[3] () أبو بشر التنوخي: وقيل أبو بشير حكى بعض أمر وقعة اليرموك، وكان نصرانيا من تنوخ، خرج من أنطاكية مع باهان ملك الروم حين توجه إلى اليرموك، حكى ذلك عنه أبو جهضم الأزدي، ذكر ذلك عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي، وأبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري. بغية الطلب في تاريخ حلب لابن أبي جرادة العقيلي (10/ 4338).

[4] () في الاكتفاء (2/. 262): "وعن أبي بشر، رجل من تنوخ كان مع باهان، قال: كنت نصرانيًا، فنصرت النصارى على العرب، فأقبلت مع الروم، فإذا من نمر به.. إلخ". ولعلها سقطت عند المصنف.

[5] () في (ن): "الأراضي".

[6] () في (ن): "فتح".

[7] () فضض: فَضَضْتُ الشيءَ: كسرتُه وفَرَّقْتُه، وَفِي حَدِيثِ ذِي الكِفْلِ: إنه لَا يَحِلُّ لَكَ أَن تَفُضَّ الخاتَم؛ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الوطْءِ. لسان العرب (7/ 206).

[8] () في (ن): "مقاتلتكم".

[9] () في (ن): "وأظهره عليكم".

تشكو إليه انتهاب أصحابه غنمي، وتقول له: أما ما أخذت لنفسك فهو لك، ولكن ابعث إلى أصحابه[1] يردوا علينا[2] غنمنا، فلما رآها أمر بها فأدخلت بناءه، وطال مكثها عنده، فلما رأى ذلك ابنها دنا من باب البناء فاطلع فيه، فإذا هو بصاحبكم ينكح أمه وهي تبكي، فصاح الغلام، فأمر به فقتل، فأخبروني ذلك[3]، فأقبلت إلى ابني، فأمر بعض أصحابه فشد عليّ بالسيف[4] ليضربني، فاتقيته بيدي فقطعها.

فقال له باهان: فهل تعرفه؟ قال: نعم، قال: فأين هو؟ قال: هو ذا لعظيم[5] حاضر عنده فغضب العظيم، وغضب[6] له ناس من أصحابه، وكان فيهم ذا شأن وشرف، فأقبل نحو قربانه (من مائة) من[253/ت] أصحابه فشدوا على المستعدي فضربوه بأسيافهم حتى مات، ثم رجعوا، وباهان ينظر إلى ما صنعوا، فقال بلسانه: العجب كل العجب، كيف لا تنهد الجبال، وتنفجر[7] البحار، وتتزلزل الأرض، وترعد السماء لهذه الهنة[8] [9] التي عملتوها (=عملتموها) وأنا أنظر، ولأعمالكم العظام التي تعملونها وأنا أرى وأسمع، إن كنتم تؤمنون أن لهؤلاء المستضعفين المظلومين إلهًا ينصف المظلوم من الظالم فأيقنوا بالقصاص، ومن الآن يعجل لكم الهلاك، وإن كنتم لا تؤمنون بذلك، فأنتم عندي شر من الكلاب، والحمر، ولعمري إنكم لتعملون أعمال قوم لا يؤمنون، ولقد سخط الله أعمالكم، وليكلنكم إلى أنفسكم، [فأما][10] أنا فأشهد الله أني بريء من أعمالكم، وسترون عاقبة الظلم إلى ما تؤديكم[11]، وإلى أي مصير تصيركم[12].

---

[1]() في (ن): "أصحابك".

[2]() في (ن): "إلينا".

[3]() قوله: "فاخبروني ذلك" سقط في (ن).

[4]() شدَّ على العَدُوِّ: يَشُد شَدًّا وشُدُودًا: حَمَل عَلَيْهِم. المخصص (2/51).

[5]() في (ن): "العظيم".

[6]() في (ن): "وتحب".

[7]() في (ن): "تتفجر".

[8]() في (ن): "الخبطة". ولعلها الخطيئة، كما عند الكلاعي (2/263).

[9]() الهنة: يقال: في فلان هنات وهنوات: أي خصال سوء. شمس العلوم (10/6989).

[10]() غير واضحة في الأصل.

[11]() في (ن): "يؤديكم".

[12]() في (ن): "يصيركم".

قال التنوخي: وأقام باهان أيامًا يراسل من حوله من الروم أن يحملوا إلى أصحابه الأسواق، و لم يضر ذلك المسلمين، لأن الأردن[1] في أيديهم، وهم مخصبون[2] بخير، فلما رأى أن ذلك لا يضرهم، بعث خيلاً عظيمة وعليها بطريق لتأتيهم[3] من وراءهم، يريد أن يكبتهم[4] بجنوده من كل جانب، فعلم المسلمون ما يريد، فدعا أبو عبيدة خالد بن الوليد، فبعثه في ألفي فارس وألفي راجل، فخرج حتى اعترضه ونزل خالد في الرجالة، وبعث قيس بن هبيرة في الخيل، فحمل عليهم قيس، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، ومشى خالد في الرجالة فلما دنا منهم شد برايته، وشدد[5] معه المسلمون، فضاربوهم بالسيوف حتى تبددوا[6]، وقتلوا[7] منهم مقتلةً عظيمةً.

وقال قيس لرجل من بني نمير، وقد مر به البطريق يركض: يا أخا بني نمير، لا يفوتنك البطريق، فإني والله لقد كددت[8] فرسي على هذا العدو اليوم حتى ما عنده جري، فحمل عليه النميري فركض في أثره ثم أدركه فلما رآه البطريق قد غشيه عطف[9] عليه، فاضطربا بسيفيهما، فلم يصنع السيفان شيئًا، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، فوقعا إلى الأرض، فاعتركا ساعة، ثم صرعه النميري، فوقع على صدر البطريق، في ساقيه، فضمه البطريق إليه، وكان مثل الأسد، فلم يستطع النميري يتحرك، وجاء قيس حتى وقف عليهما، فقال: يا أخا بني نمير، قتلت الرجل إن شاء الله، قال: لا والله، ما أستطيع أن أتحرك ولا أضربه بشيء، ولقد ضمني بفخذيه، وأمسك يدي بيديه، فنزل إليه قيس فضربه، فقطع إحدى يديه، ثم تركه وانطلق، وقال للنميري: شأنك به، وقام النميري فضربه بسيفه

---

[1] () الأُرْدُنُّ: في لغة العرب النّعاس، والظاهر أن الأردن الشدّة والغلبة، وأهل السير يقولون: إن الأردن وفلسطين ابنا سام بن ارم بن سام بن نوح، عليه السلام، وهي أحد أجناد الشام الخمسة. والأردنّ ما يعرف الآن ب «المملكة الأردنية الهاشمية» وأكثر ما يطلق على شرق النهر، ولكن في كتب البلدان القديمة يمتزج بفلسطين، فيأخذ منها بعض المناطق حتى يصل إلى ساحل البحر المتوسط، حيث كانت «عكا» ميناء الأردن، وتأخذ فلسطين أو «جند فلسطين» من شرقي الأردن، فتدخل «معان» في جند فلسطين. معجم البلدان (1/147). المعالم الأثيرة (1/ 26).

[2] () الخُصب: ضد الجدب. جمهرة اللغة (1/290).

[3] () في (ن): "ليأتيهم".

[4] () كبت: الكَبْتُ: صرع الشيء لوجهه. كتاب العين (5/342).

[5] () في (ن): "وشد".

[6] () تبددوا: تفَرقُوا. تهذيب اللغة (14/56).

[7] () في (ن): "وقتل".

[8] () كَدَدْتُ: كَدَدْتُ الدَّابَّة أكدها كدًا إذا أتعبتها. جمهرة اللغة (1/114).

[9] () عطف: مالَ. الصحاح (4/1405).

حتى قتله، ومر به[1] خالد بن الوليد، فقال: من قتل هذا؟ فقال له قيس: هذا النميري قتله، و لم يخبره هو بما صنع.

وفي حديث ابن قرط[2]: أن معاذ بن جبل ورجالاً من المسلمين قالوا لأبي عبيدة حين سار إلى اليرموك: أن تكتب[3] إلى أمير المؤمنين بالخبر وتستمده[4]، فكتب إليه: أما بعد، فإن الروم نفرت إلينا برًا وبحرًا، ولم يخلفوا وراءهم من يطيق حمل السلاح، معهم الأساقفة[5] والقسيسون، ونزلت إليهم الرهبان من الصوامع، وجاءونا[6] وهم نحو من أربعمائة رجل، وكرهت أن أغر المسلمين من أنفسهم، فكشفت لهم عن الخبر، ورأوا أن يتنحوا[7] إلى جانب من أرض الشام، ثم نضم إلينا قواصينا[8] وننتظر المدد، فالعجل العجل علينا يا أمير المؤمنين بالمدد بعد المدد، والرجال بعد الرجال، وإلا فاحتسب نفوس المسلمين إن أقاموا، ودينهم إن هربوا، فقد جاءهم ما لا قبل لهم [254/ت] به، إلا أن يمدهم الله بملائكة أو يأتيهم بغياث من عنده، والسلام.

وتوجه به عبد الله بن قرط إلى عمر فدعا المهاجرين والأنصار فقرأه عليهم فبكى المسلمون بكاءً شديدًا، ورفعوا أيديهم ورغبتهم إلى الله عز وجل، أن ينصرهم، وأن يعافيهم ويدفع عنهم، واشتدت شفقتهم عليهم، وقالوا: يا أمير المؤمنين، ابعثنا إلى إخواننا، وأمرّ علينا أميرًا ترضاه لنا، أو سر أنت بنا إليهم، فوالله إن أصيبوا فما في العيش خير بعدهم، وكان أظهرهم جزعًا وأكثرهم شفقًا عبد الرحمن بن عوف، وأكثر قولاً لعمر: يا أمير المؤمنين سر بنا، فإنك لو قدمت الشام شد الله قلوب المسلمين، ورعب قلوب الكافرين.

---

[1]() قوله: "به" سقط في (ن).

[2]() تقدمت ترجمته ص (63).

[3]() في (ن): "يكتب".

[4]() في (ن): "يستمده".

[5]() الأساقفة: جمع أسقف. وهو رئيسٌ من رؤساء النصارى في الدين. انظر: الصحاح (4/ 1375).

[6]() في (ن): "وجاءوا إلينا".

[7]() الانْتِحاءُ: الاعْتِمَاد والميل فِي كلِّ وَجْه. تاج العروس (40/44).

[8]() القاصي: البعيد. المعجم الوسيط (2/741).

ثم اجتمع[1] رأي الصحابة على إقامة عمر وبعث المدد، ويكون ردءًا[2] للمسلمين. قال[3] عمر لأبي قرط: كم كان بين الروم والمسلمين يوم خرجت؟ قال: نحو من ثلاث ليال. فقال عمر: هيهات متى يأتي هؤلاء مددنا.

ثم كتب إلى أبي عبيدة: أما بعد، فقد قدم علينا أخو ثمالة[4] بكتابك، تخبر فيه بنفير[5] الروم إلى المسلمين برًا وبحرًا، وبما جاشوا[6] به عليكم من أساقفتهم ورهبانهم، وأن ربنا المحمود ذا الصنع العظيم والمن الدائم قد رأى مكان هؤلاء الأساقفة والرهبان حين بعث محمدًا ﷺ بالحق فنصره بالرعب وأعزه بالنصر، وقال وهو لا يخلف الميعاد: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾[7]، فلا يهولنك كثرة من جاءك منهم فإن الله بريء منهم، ومن برئ الله منه كان قمنًا[8] أن لا تنفعه[9] كثرته، وأن يكله الله إلى نفسه ويخذله، ولا يوحشنك قلة المسلمين في المشركين، فإن الله معك، وليس قليلاً من كان الله معه، فأقم بمكانك الذي أنت فيه[10] حتى تلقى عدوك وتناجزهم[11] إن شاء الله، وستظهر بالله عليهم، وكفى بالله ظهيرًا ووليًا وناصرًا.

وقد فهمت مقالتك: احتسب أنفس المسلمين إن أقاموا، أو دينهم إن هم هربوا، فقد جاءهم ما لا قبل لهم به إلا أن يمدهم الله بملائكته أو يأتيهم بغيات من قبله. وأيم الله، لولا استثناؤك هذا لقد

---

[1] في (ن): "واجتمع".

[2] ردءًا: معينا. كتاب العين (8/67).

[3] في (ن): "وقال".

[4] هو عبد الله بن قرط، وقد تقدمت ترجمته ص (63).

[5] في (ن): "نفير".

[6] جاشوا: جاشت القدر واستجاشت: غلت. وجيش فلان: جمع جيشًا. واستجاش الأمير من مكان كذا: طلب الجيوش. أساس البلاغة للزمخشري (1/162).

[7] سورة الصف، الآية 9.

[8] قمنًا: جديرًا. العين (5/181).

[9] في (ن): "ينفعه".

[10] قوله: "فيه" سقط في (ن).

[11] تناجزهم: المناجَزة في الحربِ أن يتبارز الفارسان حتى يقتل أحدهما صاحبه. العين للخليل بن أحمد (6/71).

كنت أسأت لعمري، لئن أقام المسلمون وصبروا وأصيبوا[1] لما عند الله خير للأبرار، ولقد قال الله تعالى فيهم: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، فطوبى للشهداء ولمن عقل عن الله ممن معك من المسلمين أسوة بالمصرعين[3] حول رسول الله ﷺ في مواطنه، فما عجز الذين قاتلوا في سبيل الله ولا هابوا[4] لقاء الموت في جنب الله ولا وهن الذين بقوا من بعدهم[5] ولا استكانوا لمصيبتهم، ولكن تأسوا بهم وجاهدوا في سبيل الله من خالفهم وفارق دينهم، ولقد أثنى الله على قوم بصبرهم، فقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾

فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾[6]، فأما ثواب الدنيا فالفتح والغنيمة، وأما ثواب الآخرة، فالمغفرة والجنة.

واقرأ كتابي هذا على الناس، ومرهم فليقاتلوا في سبيل الله وليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

وأما قولك: إنه قد جاءهم ما لا قبل لهم به، فإلا يكن لهم به قبل، فإن لله تعالى بهم قبلاً، و لم يزل الله ربنا عليهم مقتدرًا، ولو كنا إنما نقاتل عدونا بحولنا وقوتنا وكثرتنا لهيهات ما قد بِدنا [255/ت] وهلكنا، ولكنا نتوكل على الله ربنا، ونفوض إليه أمرنا، ونبرأ إليه من الحول والقوة، ونسأله النصر

---

[1]) في (ن): "واحتسبوا".

[2]) سورة الأحزاب: الآية 23.

[3]) في (ن): "بالمصروعين".

[4]) هاب: حذر. كتاب الأفعال (3/364).

[5]) في (ن): "نفوا من نفوهم".

[6]) سورة آل عمران: الآيات (١٤٦ – ١٤٨).

والرحمة، وإنكم منصورون إن شاء الله على كل حال، فأخلصوا لله نياتكم، وارفعوا إليه رغبتكم[1]، [قال تعالى][2]: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾[3]، والسلام.

فدفع إليه عمر الكتاب وأمره أن يعجل السفر[4]، وأن يقف في كل صف على صاحب راية منهم، ويخبرهم بأنه رسوله إليهم، ويقول لهم: إن عمر يقرأ عليكم السلام ويقول: يا أهل الإسلام، اصدقوا وشدوا على أعدائكم شد الليوث[5]، وأعضوا هامهم السيوف[6]، وليكونوا أهون عليكم من الذر، لا تهلكم كثرتهم ولا تستوحشوا لمن لم يلحق بكم منكم[7].

فانتهى إلى أبي عبيدة يوم قدم عليه سعيد بن عامر بن حذيم[8] مددًا من قبل عمر، فسر بمقدمه المسلمون، وشجعهم ذلك على عدوهم، وقرأ لي[9] كتاب عمر على الناس، فاشتد سرورهم برأيه لهم، وبما أمرهم به من الصبر، وما رجا لهم في ذلك من الأجر.

وكان أبو عبيدة بعث سفيان بن عوف[10] من حمص[11] يستمد عمر فلما أرسل سعيدًا، قال له: يا سعيد، إني قد وليتك على[12] هذا الجيش، ولست بخير رجل منهم إلا أن تكون أتقى لله منه، فلا

---

[1] في (ن): "رغباتكم".

[2] لم يكتبها المؤلف فرأيت وضعها، وتمييز كلام الله عن غيره.

[3] سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

[4] في (ن): "السير".

[5] اللَيثُ: الأسد. الصحاح (1/292).

[6] أعضوا هامهم السيوف: يقال أعْضَضْتُهُ سيفي، أي ضربته به. الصحاح (3/1091)، والهامَة: رأسُ كلّ شيءٍ. العين (4/99). والمعنى: اضربوا رؤوسهم بالسيوف.

[7] قوله: "منكم" سقط في (ن).

[8] سَعِيدُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حِذْيَمِ بْنِ سَلامَانَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ سَعْدِ بْن جُمَحَ بْن عَمْرو بْن هُصَيْصِ بْن كَعْبٍ. ولي القضاء ببغداد في عسكر المهدي. وأسلم سَعِيد بْن عامر قبل خيبر. وهاجر إِلَى المدينة. وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خيبر وما بعد ذلك من المشاهد. ولا نعلم له بالمدينة دارًا. ولَمَّا مَاتَ عِيَاضُ بْنُ غَنْمٍ وَلَّى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سَعِيدَ بْنَ عَامِرٍ عَمَلَهُ. وَكَانَ عَلَى حِمْصَ وَمَا يَلِيهَا مِنَ الشَّامِ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (2/624).

[9] قوله: "لي" سقط في (ن).

[10] سفيان بن عوف: بن المغفل بن عوف بن عمير الأزدي الغامدي. صحب النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلم، وكان له بأس ونجدة وسخاء، وهو الّذي أغار على هيت والأنبار في أيام عليّ، فقتل وسبى، استعمله معاوية على الصوائف، وكان مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام حين افتتحت، مات سنة ثلاث وخمسين. الإصابة في تمييز الصحابة (3/106).

[11] حِمْصُ: مدينة بالشام مشهورة، سمّيت برجل من العماليق يسمّى حمص؛ ويقال رجل من عاملة، هو أوّل من نزلها، وبها قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه. انظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (2/468)، والمعالم الأثيرة (1/103).

[12] قوله: "على" سقط في (ن).

تشتم أعراضهم، ولا تضرب أبشارهم[1]، ولا تحقر ضعيفهم، ولا تؤثر قويهم، وكن للحق تابعًا، ولا تتبع هواك مبادرًا، فإنه إن بلغني عنك ما أحب لم يعدمك مني ما تحب! فقال له سعيد: يا أمير المؤمنين، إنك قد أوصيتني، فاستمعت منك، فاستمع مني أوصك. قال: هات، فقد آتاك الله علمًا يا سعيد، قال: يا أمير المؤمنين، خف الله في الناس، ولا تخف الناس في الله، وأحبب لقريب الناس وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، والزم الأمر ذا الحجة يكفك الله ما أهمك ويعنك على[2] ما أمرك وما ولاك، ولا تقضين في أمر واحد بقضائين فيختلف قولك وفعلك، ويلتبس الحق بالباطل، ويشتبه عليك الأمر، فتزيغ عن الحق، وخض الغمرات[3] إلى الحق حيث علمته[4]، ولا يأخذك في الله لومة لائم.

قال: فأكب عمر طويلاً وفي يده عصا له وهو واضع جبهته عليها، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل، فقال: لله أبوك يا سعيد، ومن يستطيع هذا الذي تذكر؟ قال: من طوق[5] ما طوقت، وحمل ما حملت من هذا الأمر، وإنما عليك أن تأمر فتطاع، أو تعصى فتبوء بالحجة، ويبوء القوم بالمعصية.

وعن الحارث بن عبد الله الأزدي[6]، أن خالد بن الوليد قال لأبي عبيدة يوم اليرموك: خلني والناس ودعني والأمر وولني ما وراء بابك فأنا أكفيك بإذن الله أمر هذا العدو، فقال له أبو عبيدة: شأنك بالناس، فخلاه وإياهم، قال: وكان قيس بن هبيرة على مثل رأي خالد، فخرج خالد في الناس وهم أحسن شيء دعة[7] ورعة[8] وهيئة، وأشدهم في لقاء عدوهم بصيرة، وأطيبهم أنفسًا، فصفهم خالد ثلاثة صفوف، وجعل ميمنةً وميسرةً، ثم أتى أبا عبيدة.

---

[1]() البَشَرَة: ظاهر جلد الإنسان. شمس العلوم (1/532).

[2]() في (ن): "كل".

[3]() خُضْ الغَمَراتِ: اقتحمها. انظر: الصحاح (3/1075).

[4]() في (ن): "وخض الحق إلى الغمرات حيث علمته".

[5]() طوق: كلف. النهاية في غريب الحديث والأثر (3/143).

[6]() الحارث بن عبد الله الأزدي: قد ذكر الواقدي أنه من أزد شنوءة من أهل فلسطين وإنه كان من عقلاء المسلمين وأخيارهم، وقال ابن سعد في الطبقات: الحارث في الطبقة الأولى بعد أصحاب رسول الله من أهل الشام. ولما عزل معاوية ابن عامر عن البصرة سنة خمس وأربعين، استعمل الحارث بن عبد الله، فلم يلبث إلا يسيرا حتى كتب أهل البصرة إلى معاوية يستعفونه منه ويشكون ضعفه. تاريخ دمشق لابن عساكر (11/ 454).

[7]() الدَّعَة: أَن يودِّع الرجلُ نفسَه وَلَا يبتذلها. جمهرة اللغة (2/668).

[8]() رعة: فلَان حَسَن الرِّعة، يُرِيد: حَسَن الطَّرِيقَة والتورّع. جمهرة اللغة (2/776).

قال: من كنت تجعل على ميمنتك؟ قال: معاذ بن جبل، قال: أهل ذلك هو الرضى الثقة، فولها إياه، فأمر أبو عبيدة معاذًا فوقف في الميمنة، ثم قال: من كنت تول الميسرة؟ قال: غير واحد، قال: فولها إن شئت قباث[1] بن أشيم[2]، فأمره أبو عبيدة فوقف في الميسرة، وكان فيها كنانة[3] [4] وقيس[5]، وكان قباث[6] كنانيًا، شجاعًا بئسًا[7].

قال خالد: وأنا على الخيل، وول على الرجالة من شئت، قال: أوليها إن شاء الله من لا يخاف نكوله[8] ولا صدوده[9] عند البأس، أوليها هاشم بن عتبة بن (أبي) [10] وقاص[11]، قال: أصبت ووفقت ورشدت. قال أبو عبيدة: انزل يا هاشم، فأنت على الرجالة وأنا معك، وقال [257/ت]
خالد لأبي عبيدة: أرسل إلى أهل كل راية فمرهم أن يطيعوني، فدعا أبو عبيدة الضحاك بن قيس[12]، فأمره بذلك، فخرج الضحاك يسير في الناس ويقول لهم: إن أميركم أبا عبيدة يأمركم [257/أ]

---

[1]() في (ن): "غياث".

[2]() قُبَاثُ بْنُ أَشْيَمَ: بْنِ عَامِرِ بْنِ الْمُلَوِّحِ بْنِ يَعْمَرَ. شهد بدرًا مع المشركين. وكان له فيها ذكر. ثم أسلم بعد ذلك وشهد مع النبي – صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم – بعض المشاهد. وكان على مجنبة أبي عبيدة بن الجراح يوم اليرموك. ونزل الشام بعد ذلك. أسد الغابة في معرفة الصحابة (4/359).

[3]() في (ن): "كبابة".

[4]() كِنَانَةُ: بطن من مضر من القحطانية. وكنانة هذا كان له من الولد على عمود النسب النبوي النظر، وخارجا عن عمود النسب مالك وملكان والحارث وعمرو وعامر وسعد وغنم وعوف ومجربة وجرول وجذال وعزوان، قال أبو عبيد: وهم في اليمن. قال في العبر: وديارهم بجهات مكة المشرفة. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (1/409).

[5]() قيس: بطن من آل عامر بن صعصعة، من العدنانية. كانت منازلهم بالبحرين. معجم قبائل العرب (3/970).

[6]() في (ن): "غياث"

[7]() بَئِسٌ: شجاع. شمس العلوم (1/695).

[8]() النُّكُول: بِمَعْنَى القُيود، وَسُمِّيَتِ الْقُيُودُ أَنْكَالًا لأَنها يُنْكَل بِهَا أَي يُمنع. والنَّاكِلُ: الجَبانُ الضعيفُ. لسان العرب (11/ 678).

[9]() الصدود: الصاد والدال معظم بابه يؤول إلى إعراض وعدول. معجم مقاييس اللغة (3/282).

[10]() ما بين القوسين سقط في الأصل.

[11]() هاشم بن عتبة بن أبي وقاص: واسم أبي وقاص: مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص، يكنى أبا عَمْرو، ويعرف بالمرقال. نزل الكوفة، أسلم يوم الفتح، وَكَانَ من الشجعان الأبطال، والفضلاء الأخيار، ففقئت عينه يوم اليرموك بالشام، وهو الَّذِي فتح جلولاء من بلاد الفرس، وهزم الفرس، وكانت جلولاء تسمى فتح الفتوح، بلغت غنائمها ثمانية عشر ألف ألف، وشهد صفين مع عَليّ رضي الله عَنْهُ، وكانت معه الراية، وهو عَلَى الرجالة، وقتل يومئذ. أسد الغابة (5/353).

[12]() الضحاك بْن قيس: بْن خَالِد الأكبر بن وهب القرشي الفهري. ولد قبل وفاة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبع سنين أو نحوها، وروى عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحاديث، وقيل: لا صحبة له، ولا يصح سماعه من النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كان مع يزيد وابنه معاوية إِلَى أن ماتا، فبايع الضحاك بدمشق لعبد اللَّه بْن الزبير، وغلب مروان بْن الحكم عَلَى بعض الشام، فقاتله الضحاك بمرج راهط، عند دمشق، فقتل الضحاك بالمرج، وقتل معه كثير من قيس عيلان، وكان قتله منتصف ذي الحجة سنة أربع وستين. أسد الغابة (3/ 49).

بطاعة خالد بن الوليد فيما أمركم به. فقال الناس: سمعنا وأطعنا، وقال معاذ لما أنهى[1] إليه الضحاك: أما إنكم إن أطعتموه لتطيعن مبارك الأمر ميمون النقيبة[2] عظيم الغناء حسن[3] الحسبة والنية، فحدث(الضحاك) [4] بذلك خالدًا، فقال: رحم الله أخي معاذًا، أما والله إن أحبني إني لأحبه في الله، لقد سبقت له ولأصحابه بسوابق[5] لا ندركها[6] فهنيئًا ما خصهم الله به من ذلك. ثم سار خالد في الصفوف، يقف على أهل كل راية يعظهم ويحضهم ويقول: يا أهل الإسلام، إن الصبر عِز، وإن الفشل عجز، وإن مع الصبر تنصرون، والصابرون هم الأعلون، ثم جمع إليه خيل المسلمين، ودعا قيس بن هبيرة، وكان يساعده ويوافقه ويشبهه في جلده وشدته وشجاعته وإقدامه على المشركين، فقال له: أنت فارس العرب، ولقلّ من حضر اليوم[7] يعدلك[8] عندي، فاخرج معي في هذه الخيل، وبعث إلى ميسرة بن مسروق[9] وإلى عمرو بن الطفيل[10] فخرجوا معه، ثم قسموا الخيل أرباعًا، فبعث كل رجل منهم على ربع، حتى دنوا من عسكر الروم الأعظم الذي فيه باهان[11]، فلما رأتهم الروم فزعوا لمجيئهم- وقد كانوا أخبروا أن العرب تريد الانصراف عن أرض الشام وقد كانوا فرحوا بذلك- وخرجوا على راياتهم بصلبهم، والقسيسون والرهبان والبطارقة معهم، فصفوا عشرين صفًا لا ترى أطرافها، ثم أخرجوا إلى المسلمين خيلاً عظيمةً أضعاف المسلمين مضاعفة، فلما دنت خيلهم من خيل المسلمين خرج بطريق من بطارقتهم يسأل المبارزة، ويتعرض لخيل المسلمين،

---

[1]() في (ن): "انتهى".

[2]() النَّقيبة: يُمْنُ العَمَل، إنّه لمَيْمون النقيبة، إذا كَانَ مُظفّراً. تهذيب اللغة (9/ 161).

[3]() في (ن): "مستحسن".

[4]() ما بين القوسين سقط من الأصل.

[5]() في (ن): "سوابق".

[6]() في (ن): "يدركها".

[7]() في (ن): "القوم".

[8]() في (ن): "فعدلك".

[9]() ميسرة بْن مسروق: العبسي هُوَ أحد التسعة الذين وفدوا عَلَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم من بني عبس. ولما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع لقيه ميسرة، فقال: يا رَسُول اللَّهِ، ما زلت حريصا عَلَى اتباعك. فأسلم وحسن إسلامه، وَكَانَ لَهُ من أَبِي بكر منزلة حسنة، وقد شهد اليرموك. انظر: أسد الغابة (4/509).

[10]() عمرو بْن الطفيل بْن عَمْرو بْن طريف الدوسي، أسلم أبوه، ثُمَّ أسلم بعد، وشهد عَمْرو بْن الطفيل مع أَبِيهِ اليمامة، فقطعت يده يومئذ، وقتل باليرموك شهيدًا. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/1184).

[11]() تقدمت ترجمته ص (62).

فقال خالد: أما لهذا رجل يخرج إليه، ليخرجن إليه بعضكم أو لأخرجن إليه، فنفلت[1] [2] إليه عدة من المسلمين ليخرجوا إليه، وأراد ميسرة بن مسروق ذلك، فقال له خالد: أنت شيخ كبير وهذا الرومي شاب ولا أحب أن تخرج إليه، فإنه لا يكاد الشيخ الكبير يقوى على الشاب الحديث السن، فقف لنا يرحمك الله في كتيبتك، فإنك ما علمت حسن البلاء عظيم الغناء، وأراد عمرو بن الطفيل الخروج إليه، فقال له خالد: يا ابن أخي أنت غلام حدث، وأخاف أن لا تقوى عليه، قال الحارث بن عبد الله فقلت: أنا أخرج إليه، فقال: ما شئت، فلما ذهبت لأخرج إليه قال لي: هل بارزت رجلاً قط قبله؟ قلت: لا، قال: لا تخرج إليه، فقال قيس بن هبيرة: كأنك يا خالد عليّ تحوم[3]؟

---

[1]() في (ن): "فتفلت".

[2]() فنفلت: النَفْلُ والنافِلَةُ: عَطِيَّةُ التَطَوُّعِ من حيث لا تجِبُ. الصحاح (5/1833).

[3]() تحوم: فلانٌ يحومُ على كذا: معناه: يدور عليه، ويرده. الزاهر في معاني كلمات الناس (2/88).

قال: أجل، وإني أرجو إن خرجت إليه أن تقتله، وإن لم تخرج إليه لأخرجن إليه أنا، قال قيس: بل أنا أخرج إليه، فخرج وهو يقول:

ســـــائل نســـــاء الحى في حجالها[1] **ألســـــت يـــــوم الحـــــرب من أبطالها**

ومعفص[2] **الأقـــــــــران**[3] **من رجالها** . . . .

فخرج إليه، فلما دنا منه ضرب[4] فرسه، ثم حمل عليه فما هلل[5] أن ضربه بالسيف على هامته فقطع ما عليها من السلاح، وفلق هامته، فإذا الرومي بين يدي فرسه قتيلاً، وكبر المسلمون فقال خالد: ما بعد ما ترون إلا الفتح، احمل عليهم يا قيس، ثم أقبل خالد على أصحابه فقال: احملوا عليهم، فوالله لا يفلحون[6] وأولهم فارس[7] متغفر في التراب، قال: فحملنا عليهم وعلى من يلينا منهم ومن خيلهم، وهي مستقدمة أمام صفوفهم وصفوفهم كأنها أعراض الجبال، فكشفنا خيلهم حتى لحقت بالصفوف، وحمل خالد وأصحابه على من يليه منهم، فكشفوهم حتى ألحقوهم بالصفوف، [257/ب] وحمل عمرو بن الطفيل وميسرة بن مسروق[8] في أصحابهما حتى ألحقوهم بالصفوف، ثم إن خالدًا أمر خيله فانصرفت عنهم ثم أقبل بها حتى لحق[9] بالمسلمين وقد أراهم الله السرور في المشركين.

قال[10]: وتلاومت بطارقة الروم، وقالوا: جاءتكم خيل لعدوكم وليست بالكثيرة، فكشفت خيولكم من كل جانب، فأقبلت منهم كتائب في أثر كتائب، فطبقوا الأرض مثل الليل والسيل، كأنها الجراد السود، وظن المسلمون أنهم يخالطونهم، والمسلمون جراء عليهم سراع إليهم، فأقبلوا حتى إذا دنوا من المسلمين وقفوا ساعة وقد هابوا المسلمين وامتلأت صدورهم خوفًا، فقال خالد للناس: قد رجعنا عنهم ولنا الظفر عليهم، فاثبتوا لهم ساعة، فإن أقدموا علينا قاتلناهم، وإن رجعوا كان لنا

---

[1] حجالها: الحَجَلَةُ بيتٌ يُزَيَّنُ بالثِياب والأَسرَّةِ والسُتور. الصحاح (4/1667).

[2] في (ن): "معفص".

[3] مقعص: القَعْصُ والقَعَصُ: القَتْل المعَجَّل. لسان العرب (7/78).

[4] في (ن): "جذب".

[5] هلل: هلَّلَ الرجلُ إذا رجعَ عن وجهِهِ، فما هَلَّلَ، أي فما جَبُنَ. الصحاح (5/1852).

[6] في (ن): "تفلحون".

[7] في (ن): "فارسًا".

[8] تقدمت ترجمته ص (75).

[9] في (ن): "لحقت".

[10] في (ن): "قالوا".

الظفر والفضل عليهم، فأخذوا يقتربون ثم يرجعون، والمسلمون في مصافهم وتحت راياتهم سكوت لا يتكلم رجل منهم إلا أن يدعو الله في نفسه ويستنصره على عدوه، فلما نظرت الروم إلى خيل المسلمين ورجالهم[1] ومصافهم وجدهم[2] وحدهم[3] وصبرهم وسكوتهم[4] ألقى الله ﷻ الرعب في قلوبهم منهم، فواقفوهم[5] ساعة ثم انصرفوا راجعين عنهم إلى عسكرهم، فاجتمعت بطارقتهم وعظماؤهم إلى باهان[6] وهو أمير جماعتهم.

فقال لهم باهان: إني قد رأيت أن هؤلاء القوم نزلوا بلادكم وركبوا مراكبكم وطعموا من طعامكم ولبسوا من ثيابكم، فعدل الموت عندهم أن يفارقوا ما يطعموه من عيشكم الرفيع ودنياكم التي لم يروا[7] مثلها قط، وقد رأيت أن أسألهم إن رأيتم أن يبعثوا[8] إلينا رجلاً منهم له عقل فنناطقه ونشافهه ونطمعهم في شيء يرجعون به إلى[9] أهاليهم، لعل ذلك يسخى بأنفسهم عن بلادنا، فإن هم [258/أ]
فعلوا ذلك كان الذي يريدون[10] منا قليلاً فيما نخاف وندفع به خطر الوقعة التي لا ندري أعلينا تكون أم لنا، فقالوا له[11]: قد أصبت وأحسنت النظر لجماعتنا، فاعمل برأيك.

فبعث رجلاً من خيارهم وعظمائهم يقال له جرجة[12] إلى أبي عبيدة، فقال له: إني رسول باهان عامل ملك الروم على الشام، وعلى هذه الجنود، وهو يقول لك: أرسل إليّ الرجل الذي كان قبلك أميرًا فإنه ذكر لي أنه ذو عقل وله فيكم حسب، وقد سمعنا أن عقول ذوي الأحساب أفضل من

---

[1]() في (ن): "ورجالتهم".

[2]() في (ن): "وجدتهم".

[3]() في (ن): "جدهم".

[4]() في (ن): "سكونهم".

[5]() في الأصل: "فواقفوا هم".

[6]() تقدمت ترجمته ص (62).

[7]() في (ن): "تروا".

[8]() في (ن): "تبعثوا".

[9]() قوله: "به إلى" سقط في (ن).

[10]() في (ن): "تريدون".

[11]() قوله: "له" سقط من (ن).

[12]() تقدمت ترجمته ص (62).

عقول غيرهم، فنخبره بما نريد(1) ونسأله عما تريدون، فإن وقع بيننا وبينكم أمر لنا ولكم فيه صلاح أو رضى أخذنا به وحمدنا الله عليه، وإن لم يتفق ذلك كان القتال من ورائنا هنالك.

فدعا أبو عبيدة خالدًا فأخبره بالذي جاء به الرومي، وقال لخالد: القهم فادعهم إلى الإسلام، فإن قبلوا فهو حظهم، وكانوا قومًا لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وإن أبوا فاعرض عليهم الجزية، أن يؤدوها عن يد وهم صاغرون، فإن أبوا فأعلمهم أنا(2) نناجزهم(3) ونستعين بالله عليهم، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

قال: وجاء رسولهم هذا الرومي، عند غروب الشمس فلم يمكث إلا يسيرًا حتى حضرت الصلاة فقام المسلمون يصلون صلاتهم، فلما قضوها قال ذلك الرومي: هذا الليل قد غشينا، ولكن إذا أصبحت غدوت إلى صاحبنا إن شاء الله، وجعل ينظر إلى رجال من المسلمين يصلون وهم يدعون الله ويتضرعون إليه، وجعل ما يفتر وما يصرف بصره عنهم.

فقال عمرو: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، فقال أبو عبيدة: كلا والله، إني لأرجو أن [258/ب]
يكون الله قد قذف في قلبه الإيمان وحببه إليه، أو ما تنظر(3) إلى(4) نظره إلى المصلين(5)؟ ولبث الرومي
[260/ب] بذلك قليلاً ثم أقبل على أبي عبيدة، فقال: أيها الرجل، أخبرني متى دخلتم في هذا الدين؟ ومتى دعوتم
[260/أ] الناس إليه؟ فقال أبو عبيدة: دعينا(6) إليه منذ بضع وعشرين سنة، فمنا من أسلم حين أتاه الرسول، [261/أ]
ومنا من أسلم بعد ذلك، فقال: فهل كان رسولكم أخبركم أنه يأتي من بعده رسول؟ قال: لا، ولكنه
أخبرنا أنه لا نبي بعده، وأخبرنا أن عيسى ابن مريم قد بشر به قومه، قال الرومي: وأنا على ذلك من [259/ب]
الشاهدين، إن عيسى ابن مريم قد بشرنا براكب الجمل، وما أظنه إلا صاحبكم. ثم قال: أخبرني عن
قول صاحبكم في عيسى، فقال أبو عبيدة: قوله من(7) قول الله تعالى فيه، وهو أصدق القائلين وأبرهم:

[259/أ]

(1) في (ن): "يريد".

(2) في (ن): "أننا".

(3) نناجزهم: الْمُنَاجَزَةُ فِي الْحَرْبِ الْمُبَارَزَةُ. المصباح المنير (2/594).

(4) في (ن): "ينظر".

(5) قوله: "إلى" سقط في (ن).

(6) في (ن): "المسلمين".

(7) في (ن): "دعتنا".

(8) في (ن): "فيه".

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ ﴾[2]، فلما فسر له الترجمان ذلك وبلغ هذا المكان قال: أشهد أن هذه صفة عيسى، وأشهد أن نبيكم صادق، وأنه الذي بشر به عيسى، وأنكم قوم صدق: ادع لي رجلين من أول أصحابك إسلامًا، وهما أفضل من معك، فدعا معاذ بن جبل وسعيد بن زيد، فقال لهما الرومي ولأبي عبيدة: أتضمنون لي الجنة إن أنا أسلمت وجاهدت معكم؟ فقالوا له: نعم، إن أنت أسلمت واستقمت و لم تغير حتى تموت وأنت على ذلك فإنك من أهل الجنة، قال: فإني أشهدكم أني من المسلمين، ففرح المسلمون بإسلامه، وصافحوه[3] وقالوا له: إنا[4] إن أرسلنا رسولنا إلى صاحبكم وأنت عندنا ظنوا أنا حبسناك، فيحبسوا صاحبنا، فإن شئت أن تأتيهم الليلة وتكتم[5] إسلامك حتى نبعث إليهم رسولنا غدًا وننظر على ما ينصرم[6] الأمر، فإذا رجع رسولنا أتيتنا بعد ذلك، فما أعزك علينا وأرغبنا فيك وأنت عند كل منّا بمنزلة أخيه لأمه وأبيه. فقال: نعم ما رأيتم، فبات في أصحابه، وقال لباهان: غدًا يجيئكم رسول القوم، وانصرف إلى المسلمين وحسن إسلامه. فلما كان من الغد بعث خالد بن الوليد بقبة له حمراء من أدم كان اشتراها بثلاثمائة دينار، فضربت له في عسكر الروم، ثم خرج حتى أتاها، فأقام فيها ساعة، وكان خالد رجلاً طويلاً جميلاً جليدًا مهيبًا لا ينظر إليه أحد إلا ملأ صدره وعرف أنه من جلد الرجال وشجعانهم وأشدائهم، وبعث باهان إليه: أن القني، وصفَّ له في طريقه عشرة صفوف عن يمينه، وعشرةً عن يساره، مقنعين في الحديد، عليهم البيض[7] والدروع

---

[1]) سورة آل عمران: الآية 59.

[2]) سورة النساء، الآيتان: (171، 172).

[3]) في (ن): "وصالحوه".

[4]) قوله: "إنا" سقط في (ن).

[5]) في (ن): "نكتم".

[6]) ينصرم: انصرم الأمر: أي انقطع. شمس العلوم (6/3736).

[7]) البيض: الطَّرَاق الحدِيد الَّذِي يُعَرَّض ثمَّ يُدَار فَيجْعَل بَيْضَة أَو ساعِدًا أَو نحوَه. المخصص (2/46).

والسواعد والجواشن[1] والسيوف، لا يرى منهم إلا الحدق[2]، وصف من وراء تلك الصفوف خيلاً عظيمة، ليرعبه بعدد الروم وعدتهم، ليكون أسرع إلى ما يريد[3]، فأقبل خالد غير مكترث لما رأى، وكانوا عليه أهون من الكلاب، فلما دنا من باهان رحب به، ثم قال بلسانه: هاهنا عندي، اجلس معي فإنك من ذوي أحساب العرب فيما ذكر لي، ومن شجعانهم، ونحن نحب الشجاع ذا الحسب، وقد ذكر لي أن لك عقلاً ووفاء، والعاقل ينفعك كلامه، والوفي يصدق قوله ويوثق بعهده، وأجلس ترجمانًا بينهما وخالد إلى جنبه. قال الحارث بن عبد الله: وخرجت يومئذ مع خالد وكنت صديقًا له ويستشيرني ويقول: إنك لميمون الرأي فلما[4] دنونا من باهان وعلى رأسه ألوف رجال بعضهم خلف بعض وحوله، لا يرى منهم إلا أعينهم، وفي أيديهم العمد، جاءنا الترجمان فقال: أيكما خالد؟ فقام خالد وقال: هذا رجل من أصحابي ولست أستغني عن رأيه، فرجع إلى باهان فأخبره، فقال: دعوه فليأت معه[5]، فلم يمش إلا خطًى خمسًا أو ستًا حتى جاء نحو من عشرة، فقالوا لي: ضع سيفك، و لم يقولوا لخالد شيئًا، فقال خالد لهم: ما كان ليضع عزه من عنقه أبدًا، وقد بعثتم إلينا فأتيناكم، فإن تكرمونا جلسنا إليكم وسمعنا منكم، وإن أبيتم فخلوا سبيلنا[6]، فرجع الترجمان إلى باهان فأخبره، فقال: دعوهما، فأقبلنا إليه، فرحب بخالد وأجلسه معه، وجلست أنا على نمارق[7] مطروحة للناس قريبًا منهما، بحيث أسمع كلامهما، فقال باهان لخالد نحو ما تقدم، فقال خالد: إن نبينا ﷺقال لنا: إن حسب المرء دينه، ومن لم يكن له دين فلا حسب له، وقال لنا: إن أفضل الشجاعة وخيرها في العاجلة والعاقبة ما كان منها في طاعة الله، وأما ما ذكرت أني أوتيت عقلاً ووفاء، فإن أكن أوتيت ذلك فلله المن والفضل علينا[8]، وهو المحمود عندنا، وقد قال لنا نبينا ﷺ: «إن الله لما خلق العقل وفرغ من خلقه، قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال: وعزتي ما خلقت من خلقي

---

[1] () الجواشن: جمع جوشن، والجَوشنُ: ما عَرض من وسط الصدر. ويقال: الجَوشَنُ اسم الحديد الذي يُلبسُ من السّلاح. العين (6/37).

[2] () الحدق: جمع حدقة، وهي سواد العين. شمس العلوم (3/1358).

[3] () في (ن): "تريد".

[4] () قوله: "فلما" سقط في (ن).

[5] () قوله: "فليات معه" سقط في (ن).

[6] () انظر: الاكتفاء (2/273).

[7] () نمارق: النُّمْرُقُ والنُّمْرُقة والنِّمْرِقة، بِالْكَسْرِ: الْوِسَادَةُ، وَقِيلَ: وِسَادَةٌ صَغِيرَةٌ. لسان العرب (10/361).

[8] () في (ن): "عليها".

شيئًا هو أحب إليّ منك، بك أُحمد، وبك أُعبد، وبك أعرف، وبك تُنال طاعتي، وبك يدخل جنتي»[1]، ثم قال خالد: والوفاء لا يكون إلا من العقل، فمن لم يكن له عقل فلا وفاء له، ومن لا وفاء له لا عقل له. فقال له باهان: أنت أعقل أهل الأرض، ما يتكلم بكلامك ولا يبصره ولا يفطن له إلا الفائق من الرجال، ثم قال لخالد: أخبرني عنك، وأنت هكذا تحتاج إلى مشورة هذا الرجل؟ فقال له خالد: وأعجب من ذلك أن في عسكرنا أكثر من ألف رجل كلهم لا يستغنى عن رأيه ولا عن مشورته، فقال باهان: ما كنا نظن ذلك عندكم، ولا نراكم به، فقال خالد: ما كل ما تظنون ونظن يكون صوابًا، فقال باهان: صدقت، ثم قال: إن أول ما أكلمك به أني أدعوك إلى خلتي ومصافاتي[2]، فقال له خالد: كيف لي ولك أن يتم هذا فيما بيني وبينك وقد جمعتني وإياك بلدة لا أريد أنا ولا تريد أنت أن نفترق حتى تصير البلدة لأحدنا، فقال له باهان: فلعل الله أن يصلح بيننا وبينك فلا يهراق دم ولا يقتل قتيل، قال خالد: إن شاء الله فعل[3]، قال باهان: فإني أريد أن ألقي الحشمة فيما بيني وبينك وأكلمك كلام الأخ أخاه، إن قبتك هذه الحمراء قد أعجبتني فأنا أحب أن تهبها لي، فإني لم أر قبةً من القباب أحسن منها، فخذ ما بدا لك فيها وسلني ما أحببت فهو في يدك، فقال له خالد: خذها فهي لك، ولست أريد من متاعك شيئًا، قال: والله ما ظننته سألها إلا لينظر إليها، فإذا هو قد أخذها، ثم قال لخالد: إن شئت بدأتك فتكلمت، وإن شئت أنت فتكلم، فقال له خالد: ما أبالي أي ذلك كان، أما أنا فلا إخالك إلا قد بلغك وعلمت ما أسأل وأطلب، وما أدعو إليه، وقد جاءك بذلك أصحابك ومن لقينا منكم بأجنادين[4] ومرج الصفر[5] وفحل[6] ومدائنكم

---

[1] () أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (8/283) برقم (8086)، قال الهيثمي: وفيه عمر بن أبي صالح، قال الذهبي: لا يعرف. مجمع الزوائد (8/28).

[2] () مصافاتي: المَوَدَّة والإِخاءِ. كتاب العين (7/162).

[3] () في (ن): "تعالى".

[4] () أَجْنَادَيْن: اسم ومكان المعركة التي حصلت بين المسلمين والروم في فلسطين سنة 13 هـ، واستشهد فيها عدد من الصحابة. وتقع أجنادين في أراضي خربتي «جنّابة الفوقا» و «جنابة التحتا» في ظاهر قرية عجّور الشرقي، من أعمال الخليل. انظر: معجم البلدان (1/103)، والمعالم الأثيرة (1/20).

[5] () مَرْجُ الصُّفَّر: بالشام، به كانت وقيعة للمسلمين على نصارى الشام بعد وقعة أجنادين، وكان بين الوقيعتين عشرون يومًا، وكان ذلك قبل وفاة أبي بكر رضي الله عنه بأربعة أيام. وهو الآن سهل واسع على مسافة 37 كيلا جنوب دمشق، وفي شرقي قرية شقحب (في سورية)، ويشمل بعض أراضي قرى زاكية وشقحب وأركيس والزريفية. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار (1/535)، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/248).

[6] () فَحِلٌ: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وآخره لام: اسم موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم، ويوم فحل مذكور في الفتوح وأظنه عجميّا لم أره في كلام العرب، قتل فيه ثمانون ألفا من الروم وكان بعد فتح دمشق في عام واحد. وهي اليوم أطلال، تقع إلى الشرق من نهر الأردن بين نهر

وحصونكم، وأما أنت فلست أدري ما تريد أن تقول، فإن شئت فتكلم، وإن شئت بدأتك فتكلمت، فقال باهان: الحمد لله الذي جعل نبينا أفضل الأنبياء، وملكنا أفضل الملوك، وأمتنا أفضل الأمم، فقطع عليه خالد منطقه وقال: الحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم، وبجميع الأنبياء، وجعل الأمير الذي وليناه أمورنا رجلاً كبعضنا، فلو زعم أنه ملك علينا لعزلناه عنا، ولسنا نرى أن له على رجل من المسلمين فضلاً إلا أن يكون أتقى منه عند الله[1] وأبر، والحمد لله الذي جعل أمتنا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقر بالذنب وتستغفر منه، وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئًا، قل الآن ما بدا لك. فاصفر وجه باهان وسكت قليلاً، ثم قال: الحمد لله الذي أبلانا فأحسن البلاء عندنا فأغنانا من الفقر، ونصرنا على الأمم، وأعزنا فلا نذل، ومنعنا من الضيم[2] فلا تباح حرمتنا، ولسنا فيما أعزنا الله به وأعطانا من ديننا[3] بطرين[4] ولا مرحين، ولا باغين على الناس، وقد كانت لنا منكم يا معشر العرب جيران كنا نحسن جوارهم، ونعظم رفدهم[5]، ونفضل عليهم، ونفي لهم بالعهد، وخيرناهم بلادنا، ينزلون منها حيث شاءوا، فينزلون آمنين، ويرتحلون آمنين، وكنا نرى أن جميع العرب ممن لا يجاورنا سيشكرون[6] لنا ذلك الذي آتينا إلى إخوانهم، وما اصطنعنا عندهم فلم يرعنا منكم إلا وقد فجئتمونا بالخيل والرجال، تقاتلوننا على حصوننا، وتريدون أن تغلبونا على بلادنا، وقد طلب هذا منا قبلكم من كان أكثر منكم عددًا وأعظم مكيدةً وأقوى جدًا[7]، فلم يرجعوا عنا إلا وهم بين أسير وقتيل، وأرادت ذلك منا فارس، فقد بلغكم كيف صنع الله بهم، وأراد ذلك منا الترك فلقيناهم بأشد مما لقينا به فارس، وأرادنا[8] غيرهم من أهل المشرق والمغرب، من ذوي المنعة والعز والجنود العظيمة، فكلهم

الزرقا جنوبا ونهر اليرموك شمالا. انظر: معجم البلدان (4/237)، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/213).

[1]() في (ن): "عبدًا لله".

[2]() الضَّيْمُ: الانتقِاص. كتاب العين (7/72).

[3]() في (ن): "دنيانا".

[4]() بطرين: البطر: الطغيان عِنْد النِّعْمَة، وَقَالَ ابْن الْأَعرَابِي: البطر سوء احْتِمَال الْغنى، وبطر الْحق أَي جعل مَا جعله الله حَقًّا بَاطِلا. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (1/333).

[5]() الرِّفدُ: المِعُونةُ بالعَطاء. العين (8/24).

[6]() في (ن): "سيشكر".

[7]() في (ن): "جندًا ".

[8]() في (ن): "وأردنا".

أظفرنا الله بهم، وصنع لنا عليهم، و لم تكن[1] أمة من الأمم بأدق عندنا منكم شأنًا ولا أصغر أخطارًا، إنما جلكم رعاء الشاء والإبل وأهل الصحراء والحجر والبؤس والشقاء، أفأنتم[2] تطمعون أن نتخلى لكم عن بلادنا، بئس ما طمعتم فيه منا، وقد ظننا أنه لم يأت بكم إلى بلادنا ونحن ننفي كل من حولنا من الأمم العظيمة الشأن الكثيرة العدد إلا جهد نزل بكم من جدوبة الأرض وقحط المطر، فعثتم في بلادنا وأفسدتم كل الفساد، وقد ركبتم مراكبنا، وليست كمراكبكم، ولبستم ثيابنا، وليست كثيابكم، وطعمتم من طعامنا وليس كطعامكم، وأصبتم منا وملأتم أيديكم من الذهب الأحمر والفضة البيضاء، والمتاع الفاخر، ولقد لقيناكم الآن وذلك كله لنا، وهو في أيديكم، فنحن نسلمه لكم، فاخرجوا به وانصرفوا[3] عن بلادنا، فإن أبت أنفسكم إلا أن تحرصوا وتشرهوا[4] وأردتم أن نزيدكم من بيوت أموالنا ما نقوي به الضعيف منكم، ويرى الغائب أن قد رجع إلى أهله بخير فعلنا، ونأمر للأمير منكم بعشرة آلاف دينار ونأمر لك بمثلها، ونأمر لرؤسائكم بألف دينار ألف دينار، ونأمر لجميع أصحابك لكل واحد منهم بمائة دينار، على أن تحلفوا لنا الأيمان المغلظة أن لا تعودا إلى بلادنا، ثم سكت.

فقال خالد: الحمد لله الذي لا إله إلا هو، فلما فسر له ذلك، رفع يديه إلى السماء، وقال: نعم [261/ب] ما قلت، فقال خالد: وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقال باهان: الله أعلم، ما أدري لعله كما تقول، ثم قال: أما بعد، فإن كل ما ذكرت به قومك من الغنى والعز ومنع الحريم والظهور على الأعداء والتمكن في البلاد نحن به عارفون، وكل ما ذكرت من إنعامكم على جيرانكم عرفناه، وذلك لأمر تصلحون به دنياكم فكان زيادة في ملككم وعزًا لكم ألا ترون أن ثلثيهم أو شطرهم قد دخلوا في دينكم وهم يقاتلوننا معكم، وأما ما ذكرتنا به من رعي الإبل والغنم، فما أقل ما رأيت واحدًا منا يكرهه، وما لمن يكرهه منا فضل على من يفعله، وأما قولك: إنا أهل الصحراء والحجر والبؤس والشقاء، فحالنا والله كما وصفته وما ننتفي من ذلك ولا نتبرأ منه، وكنا على أسوأ وأشد مما ذكرت، وسأقص عليك قصتنا وأعرض عليك أمرنا وأدعوك إلى حظك إن قبلت، ألا إنا كنا معشر

---

[1]() في (ن): "يكن لنا".

[2]() في (ن): "فأنتم".

[3]() قوله: "فاخرجوا به وانصرفوا" سقط في (ن). [262/ب]

[4]() تشرهوا: رجلٌ شَرِهٌ: شَرْهانُ النّفس، حريصٌ. العين (3/401).

[262/أ]

العرب أمة[1]، من هذه الأمم، أنزلنا الله وله الحمد منزلاً من الأرض ليست به أنهار جارية[2]، ولا يكون فيه من الزرع إلا القليل، وجل أرضنا المهامة[3][4]، والقفار[5]، وكنا أهل حجر ومدر[6]، وشاة وبعير وعيش شديد وبلاء دائم لازم، نقطع أرحامنا، ونقتل خشية الإملاق[7] أولادنا، ويأكل قوينا ضعيفنا، وكثيرنا قليلنا، ولا تأمن قبيلة منا قبيلة إلا أربعة أشهر من السنة، نعبد من دون الله أوثانًا وأصنامًا ننحتها بأيدينا من الحجارة التي نختارها على أعيننا، وهي لا تضر ولا تنفع، ونحن عليها مكبون، فبينا نحن كذلك على شفا حفرة من النار، من مات منا مات مشركًا وسار إلى النار، ومن بقي منا بقي[8]، مشركًا كافرًا بربه قاطعًا لرحمه، إذ بعث الله فينا رسولاً من صميمنا وخيارنا، (و) [9] دعانا إلى الله وحده أن نعبده ولا نشرك به شيئًا، وأن نخلع الأنداد التي يعبدها المشركون. وقال لنا: لا تتخذوا من دون ربكم إلهًا، ولا وليًا، ولا نصيرًا، ولا تجعلوا معه صاحبةً ولا ولدًا، ولا تعبدوا من دونه نارًا ولا حجرًا ولا شمسًا ولا قمرًا، واكتفوا به ربًا وإلهًا من كل شيء دونه، وكونوا[10] أولياءه، وإليه فارغبوا، وإياه فادعوا، وقال لنا: قاتلوا من اتخذ مع الله آلهةً أخرى، وكل من زعم أن لله ولدًا، وأنه ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ويدخلوا في الإسلام، فإن فعلوا حرمت عليكم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم إلا بحقها، وهم إخوانكم في الدين، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، فإن هم أبوا أن يدخلوا في دينكم فاعرضوا عليهم الجزية أن يؤدوها عن يد وهم صاغرون، فإن فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، فإن أبوا فقاتلوهم، فإنه من قتل منكم كان شهيدًا حيًا عند الله، مرزوقًا، وأدخله الله الجنة، ومن قتل من عدوكم قتل كافرًا وصار إلى النار مخلدًا فيها أبدًا[11]. ثم قال خالد: وهذا والله الذي لا إله إلا هو، هو الذي أمر الله به نبيه ﷺ فعلمناه، وأمرنا به،

---

[1]() في (ن): "عامة".

[2]() في (ن): "وليس بأنهار".

[3]() في (ن): "المهابة".

[4]() المهامة: المهمهُ: المفازة البعيدة. لسان العرب (13/542).

[5]() القَفَار: الخبزُ بغيرِ أُدْم. الغريب المصنف (2/462).

[6]() مدر: المَدَرُ: قِطَعُ طينٍ يابِسٍ، الواحدة مَدَرة. العين (8/38).

[7]() الإملاق: وَهُوَ قلّة ذَات الْيَد. جمهرة اللغة (2/975).

[8]() قوله: "بقى" سقط في (ن).

[9]() ما بين القوسين زيادة من (ن).

[10]() في (ن): "يكونوا".

[11]() قوله: "أبدا" سقط في (ن).

وأمرنا أن ندعو الناس إليه، ونحن ندعوكم إلى الإسلام وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإلى[1] أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتقروا بما جاء به من عند الله، فإن فعلتم فأنتم إخواننا في الدين، لكم ما لنا وعليكم ما علينا، فإن أبيتم فإنا نعرض[2]، عليكم أن تعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن فعلتم قبلنا منكم، وإن أبيتم فقد والله جاءكم قوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة، فاخرجوا بنا على اسم الله حتى نحاكمكم إلى الله، فإنما الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، ثم سكت خالد، فقال باهان: أما أن ندخل في دينكم فما أبعد من ترى من الناس أن يترك دينه ويدخل في دينكم، وإما أن نؤدي الجزية، ثم تنفس الصعداء، وثقلت عليه وعظمت عنده، فسيموت من ترى جميعًا قبل أن يؤدوا الجزية إلى أحد من الناس، وهم يأخذون الجزية ولا يعطونها، وأما قولك: فاخرجوا حتى يحكم الله بيننا، فلعمري ما جاءك هؤلاء القوم وهذه الجموع إلا ليحاكموك[3]، إلى الله، وأما قولك: إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، فصدقت والله، ما كانت هذه الأرض التي نقاتلكم عليها وتقاتلوننا إلا لأمة من الأمم كانوا قبلنا فيها، فقاتلناهم فأخرجناهم منها، وقد كانت قبل ذلك لقوم آخرين فأخرجهم[4]، منها هؤلاء الذين كنا قاتلناهم، فابرزوا على اسم الله، فإنا خارجون إليكم. فلما فرغ باهان وثب خالد وقمت معه، فمر بقبته فتركها، وبعث باهان معنا رجالاً حتى أخرجونا من عسكرهم، وأمنا، فرجعنا إلى أبي عبيدة، فقص عليهم[5]، خالد الخبر، وأخبرهم بأن القتال سيقع، وقال للناس: استعدوا أيها الناس[6]، استعداد أناس يرون أنهم عن ساعة مقاتلون[7].

---

[1]) قوله: "إلى" سقط في (ن).

[2]) في (ن): "نؤمن".

[3]) في (ن): "ليحارنوك".

[4]) في (ن): "فأخرجوهم".

[5]) في (ن): "عليه".

[6]) قوله: "أيها الناس" سقط في (ن).

[7]) انظر: الاكتفاء (2/277).

وعن أبي جهضم[1] على[2] رجل من الروم أسلم فحسن إسلامه، أن باهان بعث[3]، إلى قيصر يخبره بحال خالد والمسلمين، وجمع قومه بعد ---[4]، خالد، وقال: أشيروا عليّ برأيكم في أمر هؤلاء القوم فإني قد هيبتهم وأطمعتهم فما هابوا ولا طمعوا، وأردتهم على الرجوع والخروج عن بلادنا بكل وجه فليسوا براجعين، وليس يريدون إلا هلاككم واستئصالكم وسلب سلطانكم، وأكل بلادكم، وسبي أولادكم ونسائكم، وأخذ أموالكم، فإن كنتم أحرارًا فقاتلوا عن سلطانكم، وامنعوا حريمكم وأموالكم وبلادكم وأولادكم، فقامت البطارقة رجلاً رجلاً كلهم يخبره[5]، بأنه طيب النفس بالموت دون بلاده وسلطانه، وقالوا له: إذا شئت فانهض بنا فقال لهم: فكيف ترون، نقاتلهم فإنا أكثر من [263/أ] عشرة أضعافهم، نحن نحو من أربعمائة ألف، وهم نحو من ثلاثين ألفًا أو أقل أو أكثر.

فقال بعضهم: أخرج إليهم في كل يوم مائة ألف يقاتلونهم وتستريح البقية، وتسرح عيالنا وأثقالنا إلى البحر، فلا يكون معنا شيء يهمنا ولا يشغلنا، ويقاتلهم منا كل يوم مائة ألف، فهم كل يوم في قتل وجراحة ونحن لا نقاتل إلا في كل أربعة أيام يومًا فإن هزموا منا في كل يوم مائة ألف بقي لهم أكثر من مائتي ألف لم ينهزموا، فقال آخرون: لا، ولكنا نرى أن نبعث إلى كل رجل منهم عشرةً منا، فلا والله لا يجتمع عشرة على واحد إلا غلبوه، فقال باهان: هذا ما لا يكون، فأجمعوا على رأيهم[6]، على أن يخرجوا بأجمعهم خرجةً واحدةً فيناجزوهم ولا يرجعوا عنهم حتى يحكم الله بينهم.

وكتب باهان إلى قيصر[7]: (أما بعد، نسأل الله لك أيها الملك ولجندك وأهل مملكتك النصر ولدينك ولسلطانك العز، فإنك بعثتني فيما لا يحصيه من العدد إلا الله، فأرسلت إليهم فهيبتهم وأطمعتهم فلم يطمعوا، وسألتهم الصلح فلم يقبلوا، وجعلت لهم الجعل فأبوا، وقد ذعر جند الملك منهم، وخشيت أن يكون الرعب قد دخل قلوبهم، إلا أن منهم رجالاً ليسوا بفرارين، ولا شكاك في دينهم، ولو قد لقوهم لم يفروا حتى يظهروا أو يقتلوا، وقد أجمع رأينا على النهوض إليهم

[1] () قال الطبري في تاريخه (5/97): "رجل من أهل الشام". ولم أقف له على ترجمة وافية فيما وقفت عليه.

[2] () لعلها عن.

[3] () في (ن): "كتب".

[4] () في (ن): (توجه).

[5] () في (ن): "يخبره كلهم".

[6] () في (ن): "رأيهم على".

[7] () قوله: "وكتب باهان إلى قيصر" سقط في (ن).

[263/ب].

جميعًا، في يوم واحد، ولا نزايلهم[1] حتى يحكم الله بيننا وبينهم). وكتب إليه برؤيا رآها أنه أتاني آت في منامي، فقال لي: لا تقاتل القوم[2]، فإنهم يهلكونك ويهزمونك، فعبرتها من الشيطان، ليحزنني فخسأته[3] [4]، فإن لم تكن[5] من الشيطان فقد[6] بيّن لي الأمر، فابعث أنت بثقلك وحرمك ومالك فألحقهم بأقصى بلادك، وانتظر وقعتنا، فإن ظهرنا عليهم فاحمد الله، وإن هم[7] ظهروا علينا، فارض بقضاء الله، واعلم أن الدنيا زائلة عنك كما زالت عمن كان[8] قبلك، فلا تأسف، والحق بدار ملكك، وأحسن إلى رعيتك ويحسن الله إليك، وارحم الضعفاء ترحم، وتواضع لله يرفعك، فإن الله لا يحب المتكبرين، والسلام.

ثم خرج باهان إلى المسلمين في يوم ذي ضباب ورذاذ، وصف لهم عشرين صفًا لا ترى أطرافها، ثم جعل على ميمنته ابن قماطر[9] ، ومعه جرجير[10] في أهل أرمينية[11]، وجعل الدرنجار[12] في ميسرته، وكان من خيارهم ونساكهم، فأقبلوا نحو المسلمين كأعراض الجبال وقد ملأوا الأرض، فلما نظر إليهم المسلمون وقد أقبلوا كلهم، نهضوا إلى راياتهم، وجاء خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، وهم الأمراء الذين كان أبو بكر ﷺ، أمّرهم إلى أبي عبيدة،

[1]() نزايلهم: (الْمُزَايلة) الْمُفَارَقَةُ، يُقَالُ: (زَايَلَهُ الْمُزَايلة) وَ (زِيَالاً) أَيْ فَارَقَهُ. وَ (التَّزَايُلُ) التَّبَايُنُ. مختار الصحاح (1/139).

[2]() في (ن): "اليوم".

[3]() في (ن): "فحانه".

[4]() فخسأته: خسأ: خَسَأت الكلبَ إذا زجرته، فقلت اخسأ. والخاسئ من الكلاب والخنازيرِ: المباعَدُ، وجعل الله اليهود قردةً خاسِئينَ أي: مدحورين. وخَسَأ الكلب خسوءًا. العين (4/288).

[5]() في (ن): "يكن".

[6]() قوله: "فقد" سقط في (ن). [264/أ]

[7]() قوله: "هم" سقط في (ن).

[8]() قوله: "كان" سقط في (ن).

[9]() لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[10]() جرجير: الرومي ذكره ابن يونس الأزدي في «فتوح الشام»، ومن طريق أبي نعيم في «الدّلائل»، وقال: جرجير. وقال سيف بن عمر في الفتوح جرجة، وذكر أنه أسلم على يدي خالد بن الوليد، واستشهد باليرموك، وذكر قصّته أبو حذيفة إسحاق بن بشر في الفتوح أيضا لكن لم يسمّه. الإصابة في تمييز الصحابة (1/633).

[11]() إِرْمِينِيَةُ: بكسر أوّله وإسكان ثانيه، بعده ميم مكسورة وياء، ثم نون مكسورة: بلد معروف، يضمّ كورا كثيرة، سمّيت بكون الأمن فيها، وهى أمّه كالروم وغيرها. وقيل سمّيت بأرمون بن لمطى بن يومن ابن يافث بن نوح. وتقع عند ملتقى غرب آسيا وشرق أوروبا. تحدها تركيا من الغرب وجورجيا من الشمال. وتسمى أرمينيا. معجم ما استعجم، لأبي عبيد ابن البكري (1/149).

[12]() الدرنجار: قائد ألف من الروم البيزنطيين. تاريخ الخلفاء الراشدين (1/238).

ومعه معاذ بن جبل لا يفارقه، فقالوا له: إن هؤلاء قد زحفوا لنا هذا اليوم المطير، ولا نرى أن نخرج إليهم حتى يلظوا[1] بعسكرنا ويضطرونا إلى ذلك، قال: أصبتم، ثم خرج وصفوا الناس ووقفوهم على مراكزهم، وأقبلت الروم في المطر، ووقفوا ساعة، فلما رأوا أن المطر لا يقلع انصرفوا إلى عسكرهم، ودعا الدرنجار رجلاً عربيًا على دين النصرانية وأمره بدخول عسكر المسلمين ---[2] حالهم وصنعهم، وسيرته وأن يخبره بذلك، فدخل عسكر المسلمين فلم[3] يستنكروه لأنه عربي، فمكث ليلة[4]، فوجد المسلمين يصلون الليل كله كأنهم في النهار، فرجع إليه فقال: جئتك من عند قوم يصومون النهار، ويقومون الليل، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، رهبان بالليل، وأسد بالنهار، لو سرق ملكهم فيهم لقطعوه، ولو زنى لرجموه، لا يثأرهم الحق فقال: لئن كان هؤلاء القوم هكذا لبطن[5] الأرض خير من ظهرها لمن يريد قتالهم.

فلما كان من الغد خرجوا أيضًا[6]، في يوم ذي ضباب، وأتى المسلمين رجال من العرب كانوا نصارى فأسلموا، فقال لهم أبو عبيدة وخالد: ادخلوا في عسكر الروم واكتموهم إسلامكم والقونا بأخبارهم، فلكم منه[7] أجر، والله حاسبه لكم جهادًا، فإنكم تدفعون بذلك عن حرمة الإسلام وتدلون على عورة أهل الشرك، فدخلوا، ثم جاءوا بعد نصف الليل، فقالوا لأبي عبيدة: إن القوم قد أوقدوا النيران، وهم يتعبون لكم ويتهيأون للقائكم، وهم مصبحوكم فاصنعوا ما أنتم صانعين، فخرج أبو عبيدة ومعاذ وخالد ويزيد وعمرو، فعبأوا الناس وصفوهم، فلم يزالوا في ذلك حتى أصبحوا وصلى بهم أبو عبيدة الغداة[8] فقرأ في الأولى بالفجر وليال عشر، فلما مر بقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ

---

[1] () يلظوا: (لَظَظَ): فِي حديث الدعاء «أَلِظُّوا بيَا ذَا الجلال والإكرام»، أَيِ الْزَمُوه واثْبُتُوا عَلَيْهِ وأكْثِرُوا مِنْ قَوْلِهِ والتَّلَفُّظِ بِهِ فِي دُعائِكم. يُقَالُ: أَلَظَّ بِالشَّيْءِ يُلِظُّ إِلْظَاظًا، إِذَا لَزِمَه وثابرَ عَلَيْهِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (4/252).

[2] () في (ن): "ورؤية".

[3] () في (ن): "ولم".

[4] () في (ن): "وجد".

[5] () في (ن): "فبطن".

[6] () قوله: "أيضًا" سقط في (ن).

[7] () في (ن): "فيه".

[8] () الغداة: صلاة الصبح. تاج العروس (39/144).

﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

قال راشد بن عبد الرحمن الأسدي[2]: قلت في نفسي: ظهرنا والله على القوم للذي أجرى الله على لسانه، وسررت، وقلت: عدونا هذا والله نظير لهذه الأمم، في الكفر والكثرة والمعاصي، وقرأ في الثانية: وَالشَّمْسِ وَضُحاها، فلما مر بقول الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴿١١﴾ ﴾[3]- إلى آخر السورة، قلت في نفسي: هذه والله أخرى، إن صدق الفأل ليصُبَّنَّ الله عليهم سوط عذاب، وليدمدمن عليهم كما دمدم[4] على هذه القرون، فلما قضى أبو عبيدة [264/ب] الصلاة، أقبل على الناس، وقال: أبشروا، فإني رأيت في منامي كأن رجالاً أتوا لحقوا[5] بي وعليهم ثياب بيض، ثم دعوا إليّ[6] رجالاً منكم أعرفهم، ثم قالوا لنا: أقدموا على عدوكم ولا تهابوهم، فإنكم الأعلون، وكأنا مضينا إلى عسكر عدونا، فلما رأونا قاصدين إليهم انفرجوا[7] لنا، وجئنا حتى دخلنا عسكرهم، وولوا مدبرين. فقال له الناس: أصلحك الله، هذه بشرى من الله، بشرك الله بخير. وقال أبو مرثد[8]: وأنا رأيت وإنها لبشرى[9] من الله، كأنا خرجنا إلى عدونا، فلما تواقعنا[10] صب الله عليهم من السماء طيرًا بيضًا عظامًا لها مخالب كمخالب

---

[1]() سورة الفجر، من الآية 6-14.

[2]() راشد بن عبد الرحمن الأزدي: له إدراك، وشهد اليرموك. روى عن أبي عبيدة بن الجراح. ذكره ابن عساكر. الإصابة في تمييز الصحابة (2/421)

[3]() سورة الشمس، آية 11.

[4]() دمدم: دَمَّ الرجلُ فلَانا إِذا عَذَّبه عذَابا مَا، وفِي قَوْله جلّ وعزّ {فَعَقَرُوهَا فَدَمْدمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ}. (الشَّمْس: 14)، قَالَ: دَمْدَم أَرْجَفَ، وَقَالَ أَبُو بكر بن الْأَنْبَارِي فِي قَوْله: {فَعَقَرُوهَا فَدَمْدمَ عَلَيْهِمْ}. أَي غضب، قَالَ: وَتَكون الدَّمْدَمةُ الْكَلَام الَّذِي يُزْعج الرجلَ إِلَّا أَن أَكْثر الْمُفَسّرين قَالُوا فِي دَمْدَم عَلَيْهِم أَي أطْبَق عَلَيْهِم العذابَ، يُقَال: دَمْدَمتُ على الشَّيْء أَي أطبقتُ عَلَيْهِ. تهذيب اللغة (14/58).

[5]() في (ن): "فحفوا".

[6]() في (ن): "لي".

[7]() انفرجوا: الفرج: الثغر بَين موضعي المخافة والأمن. ومعنى انفرجوا لنا، أي: ظهرت لنا عورتهم وانكشفت لنا ثغرتهم. جمهرة اللغة (1/463).

[8]() أبو مرثد: الخولانيّ. له إدراك، ذكر أبو إسماعيل الأزدي عن المصعب بن زهير، عن المهاجر بن صيفي، عن راشد بن عبد الرحمن، عنه- أنه رأى رؤيا فيها بشرى للمسلمين، وهو باليرموك. الإصابة في تمييز الصحابة (7/326).

[9]() في (ن): "بشرى".

[10]() تواقعنا: واقَعَهُ فِي المِعْرَكَةِ: حارَبَه. تاج العروس (22/364).

الأسد، وهي تنقض من السماء انقضاض العقبان[1]، فإذا حاذت[2] بالرجل من المشركين ضربته ضربةً يخر منها متقطعًا[3].

وكان الناس يقولون: أبشروا معاشر المسلمين، فقد أيدكم الله عليهم بالملائكة. قال: فتباشر الناس بهذه الرؤيا وسروا بها[4]، فقال أبو عبيدة: وهذه والله بشرى من الله[5]، فحدثوا بها الناس، فإنها تشجع المسلم وَتنشطه للقاء عدوه.

قال[6]: وانتشرت الرؤيتان ورأى رجل من عظماء الروم في ليلة خروجهم على[7] المسلمين، رؤيا فأتى باهان، فقال: هاتها، فقال: رأيت رجالاً نزلوا من السماء طول أحدهم أبعد من مد بصره، فنزعوا سيوفنا من أغمادها وأسنة رماحنا من أطرافها، ثم لم يدعوا منا رجلاً إلا كتفوه[8] [9]، ثم قالوا لنا: اهربوا وأكثركم هالك، فأخذنا نهرب، فمنا من يسقط على وجهه ومنا من يتبلد[10] لا يستطيع أن يبرح من مكانه، ومنا من يحل كتافه ثم يسعى حتى لا نراه.

فقال له باهان: أما من رأيت يسقط على وجهه، ومن رأيته يتبلد فهم الذي يهلكون، وأما الذين يحلون كتافهم ويسعون حتى لا نراهم، فهم الذين ينجون، ثم قال له: أما أنت فوالله لا تسلم مني أبدًا، [265/أ]
فوجهك الذي بشر بالشر وقنط من الخير، ألست الذي كنت (منه) [11] أشد الناس عليّ في أمر الرجل الذي قتل رجلاً من أهل الذمة، فأردت أن أقتله، فكنت أنت من أشد الناس عليّ في أمره حتى عطلت حدًا من حدود الله وتركته، وكان عليّ من الحق أن أقيمه، فحلت بيني وبينه في جماعة من السفهاء، وتركته كراهية أن أفرق جماعتكم أو[12] أن يضرب بعضكم بعضًا، فأما الآن، فقد حدثت

---

[1] العُقاب: طائر. قال الخليل: والعرب تؤنثها لأنها لا تُعرف إناثها من ذكورها. شمس العلوم (7/4657).

[2] حاذت: المحاذاة: حاذيت الشيء: أي صرت بحذائه. شمس العلوم (3/1381).

[3] في (ن): "ميتًا".

[4] قوله: "وسروا بها" سقط في (ن).

[5] قوله: "من الله" سقط في (ن).

[6] قوله: "قال" سقط في (ن).

[7] في (ن): "إلى".

[8] في (ن): "كتف".

[9] كتفوه: الكِتَافُ الحَبْلُ يُكَتَّفُ بِهِ الأَسِيرُ وَغَيْرُهُ. فقه اللغة (1/179).

[10] يتبلد: تبلد الرجل، إذا وضع يده على صدره عند تحيره في الأمر. معجم مقاييس اللغة (1/298).

[11] ما بين القوسين زيادة من (ن).

[12] في (ن): "و".

نفسي بالموت، وإنما ألقى القوم عن ساعة، فإن شئتم الآن فتفرقوا، وإن شئتم فاجتمعوا وأنا أتوب إلى الله من ترك ذلك الحد يومئذ، فإنه لم يك يسعني ولا ينبغي لي إلا قتله، ولو قتلتموني معه، ثم أمر به فضربت عنقه. وطلب الرومي القاتل للذمي فلم يقدر عليه.

فلما خرج المسلمون للقاء عدوهم وقد شرح الله صدورهم وشجع قلوبهم، جعل أبو عبيدة على ميمنته معاذ بن جبل، وعلى ميسرته قباث بن أشيم[1]، وعلى الرجالة هاشم بن عتبة[2] ، وعلى الخيل خالد بن الوليد، وخرج الناس على راياتهم وفيهم أشراف العرب وفرسانهم وقال أبو عبيدة: يا عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فإن وعد الله حق، يا معشر المسلمين، اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة[3] للعار، فلا تبرحوا مصافكم ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدأوهم بقتال، وأشرعوا الرماح[4] واستتروا بالدرق[5]، والزموا الصمت إلا من ذكر الله حتى آمركم إن شاء الله.

وخرج معاذ يقول: يا قراء القرآن ومستحفظي الكتاب[6] وأنصار الهدى وأولياء الحق، إن رحمة الله لا تنال بالتواني[7]، وجنته لا تدخل بالأماني، ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادقين [265/ب] المصدقين بما وعدهم الله، ألم تسمعوا لقول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ ﴾[8]، إلى رأس الآية، أنتم إن شاء الله منصورون، فأطيعوا الله ورسوله [قال تعالى][9]:

---

[1]) تقدمت ترجمته ص (73).

[2]) تقدمت ترجمته ص (74).

[3]) مدحضة: دحض: الدَّحْضُ: الزَلَقُ، دَحَضَتْ رِجْلُ البعير: زَلَقَت. ودَحَضَتِ الشَمس عن بطن السَماءِ، أي: زالت. ودَحَضَت حُجَّتُه: أي: بَطَلَتْ. العين (3/101).

[4]) أشرعوا الرماح: عَنِ الْأَصْمَعِيِّ: أَشْرَعْتُ الرُّمْحَ قِبَلَهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: أَشْرَعْنَا الرِّمَاحَ إِشْرَاعًا فَهِيَ مُشْرَعَةٌ، وَشَرَعَتْ فَهِيَ شَوَارِعُ، وَشَرَعْنَاهَا فَهِيَ مَشْرُوعَةٌ. غريب الحديث لإبراهيم الحربي (1/167).

[5]) الدَّرَق: ضرب من التِّرَاس يُتّخذ من جُلُود دوابَّ تكون فِي بِلَاد الْحَبَش، الْوَاحِدَة دَرَقَة وَالْجمع دَرَق وأدراق ودِراق. جمهرة اللغة (2/635).

[6]) قوله: "ومستحفظي الكتاب" سقط في (ن).

[7]) التواني: الوَنَى: الفترةُ في العَمَل. العين (8/402).

[8]) سورة النور، آية 55.

[9]) لم يكتبها المؤلف فرأيت وضعها، وتمييز كلام الله عن غيره.

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1]، واستحيوا من ربكم أن يراكم فرارًا من عدوكم، وأنتم في قبضته ورحمته، وليس لأحد منكم ملجأ ولا منجى من دونه، ولا متعزز بغير الله، وجعل يمشي في الصفوف (و)[2] يحرضهم ومرَّ عمرو بن العاص يومئذ[3] على الناس، وهو يقول: أيها الناس، غضوا أبصاركم، واجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح، والزموا مراكزكم ومصافكم، فإذا حمل عليكم عدوكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا في وجوههم وثوب الأسد فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه، ويمقت الكذب ويعاقب عليه، ويجزي بالإحسان، لقد بلغني أن المسلمين سيفتحونها كفرًا[4] كفرًا وقصرًا قصرًا، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم، فلو قد صدقتموهم الشدة لقد ابذعروا[5] ابذعرار أولاد الحجل[6] [7].

وكان أبو سفيان بن حرب[8] قد استأذن عمر في جهاد الروم بالشام، فقال له: إني أحب أن تأذن لي فأخرج إلى الشام متطوعًا فأنصر المسلمين، ولا آلوهم نصيحة[9] ولا خير، فأذن له فخرج في أحسن أهبة، ومعه ناس من المسلمين كثير، وكان[10] يومئذ يقف على راية راية، ويحرض الناس ويعظهم ويقول: يا معشر المسلمين أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل، نائين عن أمير المؤمنين، وأمداد المسلمين، قد أصبحتم والله بإزاء عدو كثير عددهم شديد عليكم حنقهم[11]، وقد

[266/أ]

---

[1] سورة الأنفال، آية 46.

[2] ما بين القوسين زيادة من (ن).

[3] قوله: "يومئذ" سقط في (ن).

[4] كفرا: الكافِرُ من الأرض: ما بعد عن الناس، لا يكاد ينزله أحد، ولا يمر به أحد، ومن حلها يقال: هم أهل الكُفُور. قال الضرير: هي القرى، واحدها: كَفْرٌ. ويقال: أهل الكُفور عند أهل المدائن كالأموات عند الأحياء. العين (5/357).

[5] ابذعرّوا: يَعْنِي تفَرقُوا وفرّوا. غريب الحديث للقاسم بن سلام (2/220).

[6] الحَجَل: إناث اليَعاقِيب، واليَعاقِيبُ: ذُكورها، وهو طائر متوسط الحجم. تهذيب اللغة (4/87).

[7] انظر: الاكتفاء (2/282).

[8] أبو سفيان بن حرب: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو سفيان والد معاوية وإخوته، كان رئيس المشركين يوم أحد ورئيس الأحزاب يوم الخندق، أسلم زمن الفتح ولقي النبي صلى الله عليه وسلم بالطريق قبل دخول مكة وشهد حنينا والطائف، قال علي بن المديني مات لست خلت من خلافة عثمان وكان مولده قبل الفيل بعشر سنين. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (4/1677)

[9] آلوهم: لَا آلو، أَي لَا أدَع جهدًا. جمهرة اللغة (3/1304).

[10] في (ن): "فكان".

[11] حنقهم: الحَنَق: شِدَّةُ الاغتياظ. العين (3/51).

وترتموهم[1] في أنفسهم ونسائهم وأولادهم وبلادهم وأموالهم، ولا[2] والله لا ينجيكم منهم اليوم[3] ولا تبلغون رضوان الله إلا بصدق اللقاء والصبر في مواطن المكروه، فتقربوا إلى خالقكم، وامتنعوا بسيوفكم، ولتكن هي الحصون التي إليها تلجون، وبها تمتنعون. وقاتل يومئذ، قتالاً شديدًا، وأبلى بلاءً حسنًا. وزحف الروم وهم يزفون[4] زفًا، ومعهم الصلبان، وأقبلوا بالأساقفة والقسيسين والرهبان والبطارقة والفرسان، ولهم دوي[5] كدوي الرعد، وقد تبايعوا على الموت، ودخل منهم ثلاثون ألفًا السلاسل، كل عشرة في سلسلة لئلا يفروا، فلما نظر إليهم خالد بن الوليد مقبلين، أقبل على نساء المسلمين وهن على تل عالٍ، فقال: يا نساء المسلمين، أيما رجل أدركتنه منهزما فاقتلنه، فأخذن عمد البيوت، ثم أقبلن نحو المسلمين فقلن: لستم بعولتنا إن لم تمنعونا اليوم، وأقبل خالد إلى أبي عبيدة، فقال: إن هؤلاء قد أقبلوا في عدد وحدٍ وجد، وإن لهم لشدة لا يردها[6] شيء، وليست خيل المسلمين بكثيرة، ولا والله لأقامت خيلي[7] لشدة حملتهم وخيلهم ورجالهم أبدًا، وخيل خالد يومئذ أمام صفوف المسلمين، والمسلمون ثلاثة صفوف.

قال خالد: فقد[8] رأيت أن أفرق خيلي، فأكون أنا في إحدى الخيلين، ويكون قيس بن هبيرة في الخيل الأخرى، ثم تقف خيلنا من وراء الميمنة والميسرة، فإذا حملوا على الناس فإن ثبت المسلمون فالله ثبتهم وثبت أقدامهم، وإن كانت الأخرى حملت عليهم خيولنا وهي جامة[9] على ميمنتهم وميسرتهم، وقد انتهت شدة خيلهم وقوتها، وتفرقت جماعتهم ونقضوا صفوفهم، وصاروا نشرًا[10]، ثم تحمل عليهم وهي بتلك الحال، فأرجو عندها أن يظفر الله بهم [266/ب].

---

[1] () وترتموهم: وتر أَهله: نقص أَهله وَمَاله وَبَقِي فَردا. غريب الحديث للقاسم بن سلام (1/307).

[2] () قوله: "ولا" سقط في (ن).

[3] () قوله: "اليوم" سقط في (ن).

[4] () يزفون: القوم يزفون في مشيهم، أي: يُسرعون في سكون. العين (7/352).

[5] () دوي: شدَّة الصَّوْت وَبعده فِي الْهَوَاء. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (1/264).

[6] () في (ن): "يردهم".

[7] () في (ن): "خيل".

[8] () في (ن): "وقد".

[9] () جامة: جامَ يَجُومُ مِثْلُ حامَ يَحُوم حَوْمًا إذا طَلَبَ شَيْئًا خَيْرًا أَو شَرًّا. لسان العرب (12/112).

[10] () صاروا نشرا: منتشرين متفرقين متطايرين. نشر الماء مَا انْتَشَر مِنْهُ وتفرق. يُقَال: جَاءَ الْجَيْش نشرا. أَي مُتَفَرّقين. وَيُقَال: اللَّهُمَّ اضمم لي نشري. أَي: مَا انْتَشَر من أَمْرِي. غريب الحديث (2/612).

ويجعل دائرة السوء عليهم، وقال لأبي عبيدة: قد رأيت لك أن توقف سعيد بن زيد موقفك هذا وتقف أنت بحذائه من ورائه في جماعة حسنة، فتكون ردءًا للمسلمين، فقبل أبو عبيدة مشورته، وقال: افعل ما أراك الله وأنا فاعل ما ذكرت، فأمر أبو عبيدة سعيدًا فوقف في مكانه، وركب هو فسار في الناس فحرضهم وأوصاهم بتقوى الله والصبر، ثم انصرف فوقف من وراء الناس ردءًا لهم، وأقبلت الروم كقطع الليل حتى إذا حاذوا الميمنة نادى معاذ بن جبل الناس فقال: يا عباد الله المسلمين، إن هؤلاء قد تيسروا للشدة عليكم، ولا والله لا يردهم إلا صدق اللقاء والصبر في البأساء، ثم نزل عن فرسه وقال: من أراد أن يأخذ فرسي ويقاتل[1] عليه فليأخذه، فوثب إليه ابنه عبد الرحمن بن معاذ[2]، وهو غلام حين احتلم، فقال: يا أبه، إني لأرجو أن أكون أنا فارسًا أعظم غناءً عن المسلمين مني راجلاً، وأنت يا أبه راجلاً أعظم غناءً منك فارسًا، وعظم المسلمين رجالة، وإذا رأوك صابرًا محتسبًا محافظًا صبروا إن شاء الله وحافظوا، فقال له معاذ: وفقني الله وإياك يا بني لما يحب ويرضى، فقاتل معاذ وابنه قتالاً شديدًا ما قاتل مثله كثير من المسلمين، ثم إن الروم تحاضوا[3] وتداعوا وقصت عليهم الأساقفة والرهبان وقد دنوا من المسلمين، فإذا سمع ذلك معاذ منهم قال: اللهم زلزل أقدامهم وأرعب قلوبهم وأنزل علينا السكينة وألزمنا كلمة التقوى وحبب إلينا اللقاء ورضنا بالقضاء.

---

[1]() في (ن): "فيقاتل"

[2]() عَبْد الرَّحْمَن بْن مُعَاذِ: بْن جبل الْأَنْصَارِيّ، توفي مَعَ أَبِيهِ فِي طاعون عمواس سنة ثماني عشرة، وكان فاضلاً. لَهُ صحبة، لأنه توفي سنة ثمان عشرة بعد وفاة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثماني سنين تقريبًا، ولما مات كَانَ كبيرًا، فتكون لَهُ صحبة، لأنَّه من أهل المدينة لم يكن خارجًا عَنْهَا. أسد الغابة (3/490).

[3]() تحاضوا: أي حث بعضهم بعضًا. تحاضَّ الصَّديقان: حثَّ كلٌّ منهما الآخر. معجم اللغة العربية المعاصرة (1/515)

وخرج باهان فجال[1] في أصحابه وأمرهم بالصبر والقتال دون ذراريهم وأموالهم وسلطانهم وبلادهم، ثم بعث إلى صاحب الميسرة: أن احمل عليهم، وكان على الميسرة الدرنجار، وكان متنسكًا، فقال للبطارقة والروم الذين معه[2]: قد أمركم أميركم أن تحملوا، وتهيأت البطارقة[3] ثم شدوا[4] على الميمنة وفيها الأزد[5] ومذحج[6] وحمير[7] [267/أ] وحضرموت[8] وخولان[9]، فثبتوا حين صدموا واقتتلوا قتالاً شديدًا، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال، فأزالوا المسلمين عن الميمنة إلى ناحية القلب، وانكشفت طائفة من المسلمين إلى العسكر، وثبت عظم الناس فلم يزولوا، وقاتلوا تحت راياتهم[10] فلم

---

[1] () جالَ: أي دار، جَوْلاً وجَولانًا. شمس العلوم (2/1221).

[2] () قوله: "الذين معه" سقط في (ن).

[3] () قوله: "وتهيأت البطارقة" سقط في (ن).

[4] () في (ن): "فشدو".

[5] () الأَزْدُ: من أعظم قبائل العرب وأشهرها، تنتسب إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من القحطانية. وتنقسم إلى أربعة أقسام: أزد شنوءة، كانت منازلهم السّراة، وهما أودية مستقبلة مطلع الشمس بتثليث، وتربة، وبيشة. أزد غسان: كانت منازلهم في شبه جزيرة العرب، وفي بلاد الشام. أزد السَّراة: كانت منازلهم في الجبال المعروفة بهذا الاسم. أزد عُمان: كانت منازلهم بعمان. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (1/15).

[6] () مذحج: وهي قبيلة من اليمن، نسبتها إلى مالك بن أدد، قال الجوهري: مذحج بن يخامر بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان، وقد قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثر القبائل في الجنة مذحج». انظر: الأنساب للسمعاني (12/161)، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (1/417).

[7] () حِمْيَر: بطن عظيم، من القحطانية، ينتسب إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، واسم حمير العرنج. قال الهمداني: حمير في قحطان ثلاثة: الأكبر، والأصغر، والأدنى. ومن بلاد حمير في اليمن: شبام كانت بجنب جبل كوكبان، وذمار، وهي قرية جامعة بها زروع وآبار قريبة، ينال ماؤها باليد، ورمغ وغيرها. ومن حصونها مدع. وسكن قسم من حمير في الحيرة. ومن أيام حمير: يوم البيداء، وهو من أقدم أيام العرب، وكان بين حمير وكلب، ولهم فيه أشعار كثيرة. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (1/306).

[8] () حَضْرَموت: قبيلة من القحطانية، وبها عرفت مقاطعة حضرموت. وهو الإقليم المشهور في اليمن الجنوبي، وكان الرسول عليه السلام بعث إليه زياد بن لبيد. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (1/282)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/101).

[9] () خولان: هم ولد عَمْرو بن مَالك بن الحَارِث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. وهي من قبائل العرب اليمنية الحديثة. مساكنها غربي مأرب. ويربو عددها على عشرة آلاف نسمة، وهي مؤلفة من أفخاذ متعددة، منها: بنو ظبيان. انظر: الإنباه على قبائل الرواة (1/117)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (1/365).

[10] () في (ن): "رايتهم".

ينكشفوا، ولم تنكشف زبيد[1] يومئذ، وهي في الميمنة، وفيهم الحجاج بن عبد يغوث[2]، فنادى: يا خيفان[3] يا خيفان، فاجتمعوا إليه، ثم شدوا على الروم وهم في نحو خمسمائة رجل شدة، فلم يتنهنهوا[4] حتى خالطوا الروم، فقاتلوهم قتالاً شديدًا، وشغلوهم عن اتباع من انكشف من المسلمين، وشدت عليهم حضرموت وحمير وخولان بعد ما كانوا زالوا، ثم رجعوا حتى وقفوا في الصف حيث كانوا، واستقبل النساء منهزمة المسلمين بالعناهر[5] يضربن بها وجوههم، وثبتت الأزد[6] وقاتلت قتالاً لم يقاتل أحد مثله من تلك القبائل، وقتل منهم مقتلةً لم يقتل مثلها من قبيلة، وقتل يومئذ عمرو بن الطفيل[7]، ذو النور، وهو يقول: يا معشر الأزد، لا يؤتين المسلمون من قبلكم، وقاتل قتالاً شديدًا، قتل من أشدائهم[8] تسعةً، ثم قُتل هو، يرحمه الله.

وقال جندب بن عمرو[9] بن حممة[10] رافعًا رايته: يا معشر الأزد، إنه لا يبقى منكم ولا ينجو [267/ب] من الإثم والعار إلا من قاتل، ألا وإن المقتول شهيد، والخائب من هرب اليوم، وقاتل حتى قتل رحمه

---

[1] () زبيد: قبيلة قديمة من مذحج أصلهم من اليمن نزلوا الكوفة، وترجع قبائل زبيد إلى منبه بن صعب، وهو زبيد الأكبر، ومن ولده منبه بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة ابن مالك بن أدد، وهو زبيد الأصغر، قال ابن الكلبي إنما قيل لهم زبيد لأن منبها الأصغر قال: من يزبدني رفده؟ فأجابه أعمامه كلهم من زبيد الأكبر، فقيل لهم جميعًا: زبيد. الأنساب للسمعاني (6/263).

[2] () الحجاج بن عبد يغوث: بن عمرو بن الحجاج الزبيدي، وذكره أبو حذيفة والبخاريّ: وأنه شهد اليرموك، قال: فانكشفت زبيد، وهم في الميمنة، وفيهم، الحجاج بن عبد يغوث، فتنادوا فشدّوا شدة، فنهنهوا من قبلهم من الروم. وذكره ابن الكلبيّ في فتوح الشام له فيمن وفد من أهل اليمن للمسير إلى الجهاد في خلافة الصديق. أدرك عصر النبي (صلى الله عليه وسلم). الإصابة في تمييز الصحابة (2/142).

[3] () خيفان: قَالَ اللَّيْث: الخَيْفَانُ: الجرَادُ. أَوَّلَ مَا يطيرُ. جَرَادَةٌ خَيْفَانةٌ. وَكَذَلِكَ الناقةُ السريعة. وَإِنَّمَا الْخَيْفَانُ – من الجرادِ –: الَّذِي صارَ فِيهِ خطوط مُخْتلفةٌ. تهذيب اللغة (7/185).

[4] () يتنهنهوا: نهنه فلان فلانا: كفه وزجره. معجم مقاييس اللغة (5/353).

[5] () العناهر: هي عمد البيوت. الاكتفاء (2/283).

[6] () تقدمت ترجمته ص (96).

[7] () تقدمت ترجمته ص (75).

[8] () في (ن): "أشرافهم".

[9] () قوله: "بن عمرو" سقط في (ن).

[10] () جندب بن عمرو بن حممة: بن الحارث بن رفاعة ويقال رافع ابن سعد بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن غنم ابن دهمان بن منهب بدوس بن عدثان بن عبد الله ابن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد الدوسي الأزدي، له صحبة شهد يوم اليرموك أميرًا على بعض الكراديس، واستشهد بأجنادين ويقال باليرموك. أسد الغابة في معرفة الصحابة (1/568)، تاريخ دمشق لابن عساكر (11/316).

الله، ونادى أبو هريرة: يا مبرور يا مبرور، فأطافت به الأزد، وانتهى إليه عبد الله بن سراقة[1] وهو يقول: تزينوا للحور العين وارغبوا في جوار ربكم، في جنات النعيم، فما أنتم في موطن من مواطن الخير أحب إليه منكم في هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم. قال: فأطافت به الأزد، ثم اضطربوا هم والروم، فو الذي لا إله إلا هو لرأيت الروم وإنها لتدور بهم الأرض وهم في مجال واحد كما تدور (بهم) [2] الرحاء[3]، وما برحوا يعني المسلمين، ولا زالوا وركبهم من الروم أمثال الجبال، فما رأيت موطنًا قط أكثر قحفًا[4] ساقطًا ومعصمًا نادرًا وكفًا طائحةً[5] من ذلك الموطن، وقد والله أوحلناهم شرًا[6] وأوحلونا.

وكان جل القتال في الميمنة، وأن القلب ليلقون مثل ما نلقى، ولكن حمة للقوم[7] وجدهم وحردهم[8] وحنقهم[9] علينا، وكنا في آخر الميمنة، فلقد لقينا من قتالهم ما لم يلق أحد مثله، فوالله إنا كذلك وقد دخل عسكرنا منهم نحو من عشرين ألفًا من ورائنا، حمل عليهم خالد بن الوليد فقصف بعضهم على بعض، وشدخ[10] [11] منهم في العسكر نحوًا من عشرة آلاف، ودخل سائرهم بيوت المسلمين في العسكر مجرحين وغير مجرحين، ثم خرج خالد يكرد[12] ويقتل من كان قريبًا منا من الروم حتى إذا حاذانا ألّف خيله بعضها إلى بعض، ثم قال: يا أهل الإسلام، إنه لم يبق عند القوم من الجد والقتال إلا ما قد رأيتم، فالشدة الشدة، فو الذي

[1] عبد الله بْن سراقة: بْن المعتمر بْن عبد الله بن قرط بْن كَعْب القرشي العدوي، شهد بدرا هُوَ وأخوه عَمْرو بْن سراقة فِي قول ابْن إِسْحَاق. وقال مُوسَى بْن عقبة، وَأَبُو معشر: لم يشهد عَبْد اللَّهِ بْن سراقة بدرا، وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/916).

[2] ما بين القوسين زيادة من (ن).

[3] الرحا: هي التي يطحن بها. تصحيح الفصيح (1/265).

[4] قحفا: قحف الرَّأْس: مَا انْضَمَّ على أم الدِّمَاغ. وَقَالَ قوم من أهل اللُّغَة: لَا نُسَمِّيه قحفا حَتَّى ينكسر أَو يقطع فَيسْقط عَن الدِّمَاغ وَالْجمع الأقحاف والقحفة والقحوف. جمهرة اللغة (1/553).

[5] طائحة: الطّائحُ: الهالِكُ، أو المشْرِفُ على الهَلاكِ. وكلُّ شَيءٍ ذهب وفَنِيَ فقد طاح. العين (3/278).

[6] أوحلناهم: أَوْحَلَ فُلاَنًا شَرًّا: إِذَا أَثْقَلَهُ بِهِ، وَفِي الأَساسِ: وَرَّطَهُ فِيْه. تاج العروس (31/71).

[7] في (ن): "القوم".

[8] حردهم: الحَرْدُ والحَرَد لغتان، يقال: حَرِدَ فهو حَرِد إذا اغتاظ فَتَحَرَّشَ بالذي غاظه وهَمَّ به فهو حاردٌ. العين (3/180).

[9] الحنَق: شدَّة الحقد. المزهر في علوم اللغة وأنواعها (1/489).

[10] في (ن): "شدح".

[11] شدخ: الشَّدْخُ: كسر الشيء الأجوف كالرأس ونحوه. العين (4/166).

[12] يكرد: الكَرْدُ: الطَرْدُ. يقال: فلان يَكْرُدُ القومَ، كأنَّه يدفعهم ويطردهم. الصحاح (2/531).

نفسي بيده ليعطينكم الله الظفر[1] الساعة عليهم، فجعل لا يسمع هذا القول من خالد أحد من المسلمين إلا شجعه عليهم، ثم إن خالدًا اعترض الروم وجد[2] في نحو من ألف فارس، فوالله ما بلغتهم الحملة حتى فض الله جمعهم[3].

وشددنا على من يلينا منهم، فانكشفوا وتبعناهم نقتلهم كيف شئنا، ما يمتنعون من قتل ميمنتنا لميسرتهم، ثم إن خالدًا انتهى إلى الدرنجار وقد قال لأصحابه: لُفوني بالثياب، فليت أني لم أقاتل هؤلاء القوم اليوم، فلفوه بالثياب، وقال: لوددت أن الله عافاني من حرب هؤلاء القوم فلم أرهم ولم يروني، ولم أنصر عليهم ولم ينصروا عليّ، وهذا يوم سوء، فما شعر حتى غشيه المسلمون فقتلوه. وقال ابن قماطر وهو في ميمنة الروم لجرجير[4]، صاحب أرمينية: احمل عليهم، فقال له: أنت تأمرني أن أحمل عليهم وأنا أمير مثلك؟ (فسكت) [5] فقال له ابن قماطر: أنت أمير وأنا أمير فوقك، وقد أمرت بطاعتي، فاختلفا، ثم إن ابن قماطر حمل على المسلمين حملةً شديدةً على الميسرة وفيها [268/أ].

---

[1]() في (ن): "انطلقوا".

[2]() في (ن): "وهو".

[3]() انظر: الاكتفاء (2/285).

[4]() تقدمت ترجمته ص (88).

[5]() ما بين القوسين زيادة من (ن).

كنانة[1] وقيس[2] ولخم[3] وجذام[4] وعاملة[5] وغسان[6] [7] وخثعم[8] وقضاعة[9]، فانكشف المسلمون وزالت الميسرة عن مصافها، وثبت أهل الرايات وأهل الحفاظ، فقاتلوا قتالاً شديدًا، وركبت الروم أكتاف من انهزم من المسلمين حتى دخلوا معهم العسكر، فاستقبلهم نساء المسلمين بالعناهر يضربن بها وجوههم..

قال حنظلة بن جويه[10]: والله إني لفي الميسرة إذ مر بنا رجال من الروم على خيل من خيل العرب لا يشبهون الروم وهم أشبه شيء بنا، فلا أنسى قول قائل منهم: يا معشر العرب، الحقوا بوادي القرى ويثرب، وهو يقول:

نحن لنا البلقاء[11] والسدير[12]　　　في كـــل يـــوم خيلنـــا تغـــير

---

[1]() تقدم التعريف بها ص (73).

[2]() تقدم التعريف بها ص (73).

[3]() لخم: قبيلة قحطانية، من بلادهم في الجاهلية: رفح- فلسطين- ومنهم ملوك العراق. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/235).

[4]() جذام: قبيلة قحطانية: كانت تنزل بجبال حسمى، ومساكنها بين مدين إلى تبوك، فإلى أذرح، ومنها فخذ مما يلي طبريّة، إلى اللجون، إلى ناحية عكا، وهم الذين غزاهم زيد بن حارثة. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/88).

[5]() عاملة: حي من كهلان، من القحطانية، وهم: ولد الحارث بن عدي ابن الحارث بن مرّة بن أدّ بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلا بن سبأ. نسبوا إلى أمهم عاملة بنت مالك بن وديعة ابن قضاعة، وهم حي متسع، خرجوا من اليمن، إلى الشام، وأقاموا في جبل يعرف بجبل عاملة. وكان لهم صنم في مشارف الشام يقال له: الأقصر، كانوا يحجون إليه، ويحلقون رؤوسهم عنده. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (2/714).

[6]() في (ن): "حسان".

[7]() غسان: قبيلة نزلت الشام، وإنما سميت «غسان» بماء نزلوه، قال أبو المنذر ابن الكلبي: سمى «ماء السماء» لأنه كان غياثا لقومه مثل ماء السماء. كانت ديار غسان إذا جزت جبل عاملة، تريد قصد دمشق، من حمص، وما يليها، فبي ديار غسان من آل جفنة، وكانوا عمالا للإمبراطورية الرومانية البيزنطية يحمون الحدود الشامية، من غارات الفرس، واللخميين، ولم يكن لهم عاصمة معينة، ومن أهم مراكزهم: الجولان، ومدينة الجابية، وجلق الواقعة بالقرب من دمشق. الأنساب للسمعاني (10/42)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (3/884).

[8]() خَثْعَم: لا تزال معروفة في بلادها التي كانت تحلها عند ظهور الإسلام في أطراف السراة الشرقية الشمالية الواقعة بين غامد وبلاد قبائل الحجر وفي الأودية الممتدة شمالا الواقعة بين بيشة وأبها. ومن أشهر فروع خثعم شهران إلا أن هذا الفرع كثر وانتشر حتى أصبح لا يشمله الآن اسم خثعم الذي انحصر في قسم صغير من القبيلة تقع بلاده غربي شهران، ويفصل بينه وبين هذا الفرع منازل قبيلة شمران. معجم قبائل العرب (5/326).

[9]() قضاعة: (قبيلة) قيل: من القحطانية، وقيل: من عدنان، كانت ديارهم في «الشحر» ثم في نجران، ثم في الحجاز ثم في الشام. فكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز في أيلة وجبال الكرك، واستعملهم الروم على بادية العرب في ديار الشام (مشارق الشام)، وقد حاربهم الرسول في غزوة السلاسل سنة 7 هـ. وكانت إليهم سرية كعب بن عمير. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/227).

[10]() حنظلة بن جويّة الكناني: قال ابن عساكر: أدرك النبي عليه السلام، وشهد اليرموك. وذكر أبو مخنف عن أبيه عن مكلبة بن حنظلة بن جويّة عن أبيه، قال: إني لفي الميسرة إذ مرّ بنا رجال من خيل العرب. . . فذكر قصة مبارزته لرجل من نصارى العرب وقتله. الإصابة في تمييز الصحابة (2/155).

هيهات يأبى[1] ذلك الأمير   والملك المتوج المحبور[2]

فحملت عليه وحمل عليّ، فاضطربنا بسيفينا فلم يغنينا شيئًا ثم اعتنقنا، فخررنا جميعًا فاعتركنا ساعة، ثم إننا تحاجزنا، فنظرت إلى عنقه وقد بدا منها مثل شراك النعل، فمشيت إليه فاعتمدت ذلك الموضع بسيفي، فوالله ما أخطأته، فقطعته فصرع، فضربته حتى قتلته، وأقبلت إلى فرسي وقد كان[3] [268/ب] عار، وإذا فرسي[4] قد حبسوه عليّ، فركبته، وقاتل قباث بن أشيم[5] يومئذ، قتالاً شديدًا، وقال:

إن تفقدوني تفقدوا خير فارس   لدى الغمرات[6] والرئيس المحاميا[7]

وذا فخر لا يملأ الهول صدره   ضروبًا بنصل السيف أروع ماضيا

وكسر في الروم يومئذ ثلاثة أرماح، وقطع سيفين، ويقول كلما كسر رمحًا أو قطع سيفًا: من يعين بسيف أو برمح[8] في سبيل الله رجلاً قد حبس نفسه مع أولياء الله.

وكان عاهد الله ألا يفر ولا يبرح[9] يقاتل[10] المشركين حتى يظهر المسلمون أو يموت. وكان من أحسن الناس بلاءً. وقال أبو الأعور السلمي[11]: يا معشر قريش، خذوا حظكم من الصبر والأجر، فإن الصبر في الدنيا عز ومكرمة، وفي الآخرة رحمة وفضيلة، فاصبروا وصابروا.

---

[11] بَلْقَاء: مدينة من مدن دمشق بناها بالق بن صفر من بنى عمان بن لوط وعمان هي مدينة البلق. الأنساب للسمعاني (2/316).

[12] السّدير: موضع معروف بالحيرة. قيل نهر وقيل قصر قريب من الخورنق اتخذه النعمان لبعض ملوك العجم وقيل السدير: ما بين نهر الحيرة إلى النّجف إلى كسكر من هذا الجانب والسدير أيضا: مستنقع الماء وغيض في أرض مصر والسدير بالضم مصغّر السدر: قاع بين البصرة والكوفة وموضع في ديار غطفان وقيل قرية لبني العنبر بإضافة ذو. مراصد الاطلاع (2/ 700).

[1] في (ن): "ابتي".

[2] المحبور: الحَبْرَةُ: النِّعْمة، وحُبِرَ الرَّجلُ حَبْرَةً وحَبَرًا فهو محْبُور، وقولُه تعالى: {فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}، أي: يُنَعَّمُون. العين (3/218).

[3] في (ن): "وكان قد".

[4] قوله: "فرسي" سقط في (ن).

[5] تقدمت ترجمته ص (73).

[6] الغمرات: غَمَرات الحَرْب، وغِمارها: شدائدها. المحكم والمحيط الأعظم (5/520).

[7] المحامِي: بضم الميم الأولى وكسر الميم الثانية اسم فاعل، المدافع. معجم لغة الفقهاء (1/409).

[8] في (ن): "رمح".

[9] في (ن): "يدع".

[10] في (ن): "مقاتل".

[11] أبو الأعور السلمي: عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد الذكواني، مشهور بكنيته، صحابي، أسلم بعد حنين، وكان حليف أبي سفيان بن حرب، وغزا قبرص سنة 26 هـ. وكانت له مواقف بصفين مع معاوية. الإصابة (4/ 641).

واضطر[1] المسلمون إلى سعيد بن زيد، فلله سعيد ما سعيد يومئذ إلا مثل الأسد، جثا على ركبتيه حتى إذا[2] دنوا فوثب في وجوههم مثل الليث، فطعن برايته أول رجل فقتله، وقاتل راجلاً[3]، قتال الرجل البئيس الشجاع فارسًا، وكان يزيد بن أبي سفيان من أعظم الناس عناءً وأحسنه بلاءً هو وأبوه جميعًا، ومر به أبوه وهو يحرض الناس ويعظمهم، فقال: يا بني، إنك تلي من أمر المسلمين طرفًا، وهو على ربع الناس، وإنه ليس بهذا الوادي رجل من المسلمين إلا وهو محقوق بالقتال، فكيف [269/أ] بأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين، أولئك أحق الناس بالجهاد والصبر والنصيحة، فاتق الله يا بني، والزم في أمرك، ولا يكونن أحد من أصحابك أرغب في الآخرة ولا في الصبر في الحرب ولا أشد نكايةً في المشركين، ولا أجهد على عدو الإسلام ولا أحسن بلاءً منك. فقال يزيد: أفعل والله يا أبه، وقاتل قتالاً شديدًا.

وشد على عمرو بن العاص جماعة من الروم فانكشف عنه أصحابه وثبت هو وجالدهم[4] طويلاً، وقاتل قتالاً شديدًا، حتى تراجع إليه أصحابه، فسمعت أم حبيبة بنت العاص[5] تقول: قبح الله رجلاً يفر عن حليلته[6]، وقبح الله رجلاً يفر عن كريمته، وسمعت نسوةً من المسلمين يقلن: قاتلوا أيها المسلمون فلستم بعولتنا إن لم تمنعونا، وأخذن العناهر[7]، كلما مر بهن منهزم من المسلمين حملن عليه وضربن وجهه ورددنه.

وقاتل شرحبيل بن حسنة في ربعه الذي كان فيه قتالاً شديدًا، وجعل ينادى[قال تعالى][8]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ

---

[1] في (ن): "فاضطر".

[2] قوله: "إذا" سقط في (ن).

[3] في (ن): "رجلاً".

[4] جالدهم: جالده بالسَّيف: ضاربه به. معجم اللغة العربية المعاصرة (1/382).

[5] أم حبيبة بنت العاص: هي ضعيفة بِنْت العاص بْن أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْن قصي، تزوجت حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ، وأنجبت له خولة بنت حكيم. وكَانَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنَ اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِلنَّبِيِّ صلّى الله عليه. الطبقات الكبرى (3/401).

[6] حليلته: حَلِيلَة الرجل هِيَ امْرَأَته وَهُوَ حَلِيلهَا سميا بذلك لِأَن كل وَاحِد مِنْهُمَا يحالّ صَاحبه يَعْنِي أَنَّهُمَا يحلان فِي منزل وَاحِد. غريب الحديث (2/247).

[7] في (ن): "العناهز"

[8] لم يكتبها المؤلف فرأيت وضعها، وتمييز كلام الله عن غيره.

﴿وَيُقَـٰتَلُونَ ۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾[1]- إلى آخر الآية. أين الشارون أنفسهم من الله بابتغاء مرضات الله؟ أين المشاؤون إلى جوار الله غدًا في داره، فاجتمع إليه ناس كثير وبقي القلب لم ينكشف، وفيه أهله مع سعيد، وكان أبو عبيدة من وراء المسلمين ردءًا[2] لهم.

ولما رأى قيس بن هبيرة الروم شدت على خيل المسلمين مما يلي الميسرة اعترض الروم بخيله وهي الشطر من خيل خالد، فقصف بعضهم على بعض، وحمل خالد من الميمنة على ما يليه حتى اضطرهم إلى صفوفهم، فقصف بعضهم على بعض، وزحف إليه[3] المسلمون بجماعتهم رويدًا رويدًا حتى (إذا)[4] دنوا منهم حملوا عليهم، فجعلت الروم ينقضون صفوفهم وينهزمون، وبعث أبو عبيدة إلى سعيد [269/ب] بن زيد: أن احمل عليهم، فحمل، وشد المسلمون بأجمعهم، فضرب الله وجوه الروم، ومنح المسلمين أكتافهم، يقتلونهم كيف شاءوا، لا يمتنعون من أحد من المسلمين، وانتهى خالد بن الوليد إلى الدرنجار، وكان كارهًا لقتال المسلمين، لما كان يجد من صفتهم في الكتب. فقال خالد: إن كنت لأحب أن أراه، فضربه المسلمون حتى قتلوه، وإنه لملفف رأسه بكساء، واتبعهم المسلمون يقتلونهم كل قتلة، وركب بعضهم بعضًا حتى انتهوا إلى مكان مشرف على أهوية[5]، فجعلوا يتساقطون فيها ولا يبصرون، وهو يوم ذو ضباب، لا يعلم آخرهم ما يلقى أولهم، حتى سقط فيها نحو من مائة ألف رجل[6].

[1] () سورة التوبة، آية 111.

[2] () في (ن): "ردءً".

[3] () في (ن): "إليهم".

[4] () ما بين القوسين زيادة من (ن).

[5] () أهوية: الهواء بَين السَّمَاء وَالْأَرْض، مَمْدُود، وَالْجمع أهوية. جمهرة اللغة (2/998).

[6] () قوله: "رجل" سقط في (ن).

وعدهم شداد بن أوس[1] فكانوا أكثر من ثمانين ألفًا، فسميت الأهوية الواقوصة[2]، وقتل منهم في المعركة بعد ما أدبروا نحو من خمسين ألفًا.

واتبعهم خالد بن الوليد، فلم يزل يقتلهم في كل واد وشعب وجبل، حتى انتهى إلى دمشق، فخرج إليه أهلها، وقالوا: نحن على العهد، فقال: نعم، ومضى في اتباعهم يقتلهم حتى انتهى إلى حمص، فخرج إليه أهلها، وقالوا له مثل أهل دمشق، ودفن أبو عبيدة قتلى المسلمين، رحمهم الله وجزاهم عن الإسلام وأهله خيرًا.

وكان الأشتر النخعي[3] مع خالد وكان من جلداء[4] الرجال وأشدائهم، قتل يومئذ قبل هزيمة (الروم)[5] أحد عشر رجلاً من بطارقتهم، فلما بلغوا ثنية العقاب[6] وجدوا عليها جماعة عظيمة من الروم، يرمون المسلمين من فوقهم بالصخر[7]، فتقدم الأشتر في رجال من المسلمين، وإذا أمام الروم رجل جسيم من عظمائهم وأشدائهم، فوثب إليه الأشتر لما دنا منه، فاستويا على صخرة مستوية، فاضطربا بسيفيهما، فضرب الأشتر كف الرومي فأطارها، وضربه الرومي بسيفه فلم يضره[8]، [270/أ]
واعتنقا، ثم دفعه الأشتر من فوق الصخرة فوقعا منها، ثم تدحرجا، والأشتر يقول [قال تعالى][9]:

---

[1] () شَدَّادُ بْنُ أَوْسِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ حَرَامِ بْنِ عَمْرِو بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الشَّاعِرِ، وَتَحَوَّلَ إِلَى فِلَسْطِينَ، فَنَزَلَهَا، وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ، فِي آخِرِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَكَانَ يَوْمَ مَاتَ ابْنَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَلَهُ بَقِيَّةٌ وَعَقِبٌ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانَتْ لَهُ عِبَادَةٌ وَاجْتِهَادٌ فِي الْعَمَلِ. أسد الغابة في معرفة الصحابة (2/613)، الطبقات الكبرى (7/401).

[2] () الوَاقُوصَةُ: واد بالشام في أرض حوران، سمّي بذلك لأنّ المسلمين أوقعوا بالمشركين يوم اليرموك وجعلوا يقتلونهم، فركب بعضهم بعضا حتى انتهوا إلى أعلى مكان مشرف على أهوية، فأخذوا يتساقطون فيها وهو يوم ذي ضباب. وقيل: كان ذلك في الليل كان آخرهم لا يعلم بالذي قبله حتى سقط فيها ثمانون ألفا، قلّما أحصوا إلا بالقضب، فسميت الواقوصة بذلك إلى اليوم. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (3/1422).

[3] () الأشتر النخعي: ملك العرب، مالك بن الحارث النخعي، أحد الأشراف والأبطال المذكورين. حدث عن: عمر، وخالد بن الوليد، وفقئت عينه يوم اليرموك. وكان شهما، مطاعا. ذا فصاحة وبلاغة. جهز الأشتر واليا على ديار مصر، فمات في الطريق مسموما. سير أعلام النبلاء (4/34).

[4] () في (ن): "جلد".

[5] () ما بين القوسين زيادة من (ن).

[6] () ثنيّةُ العُقابِ: بالضم: وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق، يطؤها القاصد من دمشق إلى حمص قال أحمد بن يحيى بن جابر وغيره من أهل السير: سار خالد بن الوليد من العراق حتى أتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحهم، ثم سار إلى الثنية التي تعرف بثنية العقاب المطلة على غوطة دمشق، فوقف عليها ساعة ناشرا رايته، وهي راية كانت لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، كانت تسمى العقاب علما لها، ويقال: إنما سميت ثنية العقاب بعقاب من الطير كان ساقطا عليها بعشه وفراخه، والله أعلم. معجم البلدان (2/85).

[7] () قوله: "بالصخر" سقط في (ن).

[8] () في (ن): "يصرعه".

[9] () لم يكتبها المؤلف فرأيت وضعها، وتمييز كلام الله عن غيره.

﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [1]، وهو في ذلك[2] ملازم العلج[3] لا يتركه، حتى انتهيا إلى موضع مستو من الجبل، فوثب الأشتر على الرومي فقتله، ثم صاح في الناس: أن جوزوا، فلما رأت الروم قتل صاحبهم خلوا سبيل العقبة (وانهزموا) [4].

وأقبل أبو عبيدة في أثر خالد حتى انتهى إلى حمص، وأمر خالدًا بالتقدم إلى قنسرين[5]، وقال ملك الروم لما انتهت إليه الهزيمة: قد كنت أعلم أنهم سيهزمونكم، فقالوا[6]: من أين علمت هذا[7]، قال من حيث أنهم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة، ويرغبون في الآخرة أشد من رغبتكم في الدنيا، ولا يزالون ظاهرين ما كانوا هكذا، وليغيرن كما غيرتم[8]، ولينقضن كما نقضتم.

وفي حديث عن عبد الله بن قرط[9] [10]: أن أول من جاء لملكهم[11] بالهزيمة رجل منهم، فقال له: ما وراءك؟ قال: خير، أيها الملك، هزمهم الله وأهلكهم، يعني المسلمين، ففرح بذلك من حوله وسروا ورفعوا أصواتهم، فقال الملك: ويحكم، هذا كاذب، وهل ترون هيئة هذا إلا هيئة منهزم، سلوه ما جاء به، فلعمري ما هو ببريد، ولو لم يكن منهزمًا لم يكن إلا مع أميره مقيمًا، فما كان بأسرع من أن جاء آخر، فقال له: ويحك، ما وراءك؟ فقال: مثل الأولى[12]، فقال له هرقل: فما جاء بك؟.

---

[1] سورة الأنعام، آية 162، 163.

[2] قوله: "في ذلك" سقط في (ن).

[3] العَلْجُ: الرجل من كفَّار العَجَم، والجمع عُلوجٌ وأعلاجٌ ومَعْلوجاءُ وعِلَجَةٌ. الصحاح (1/330).

[4] ما بين القوسين زيادة من (ن).

[5] قِنَّسْرين: محلها غربي حلب إلى الجنوب في بعد مرحلة عنها تقدر بأربعة فراسخ وكانت مدينة كلدانية ثم رومية قديمة يقال لها شالس وقيل سوريا. وكان فتح قنسرين على يد أبي عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه، في سنة 17، وكانت حمص وقنسرين شيئا واحدا. وهي اليوم خالية من السكان خاوية من البنيان. معجم البلدان (4/403)، نهر الذهب في تاريخ حلب (1/361).

[6] في (ن): "قالوا".

[7] في (ن): "ذلك".

[8] في (ن): "وليعثرن كما عثرتم".

[9] في (ن): "سعد".

[10] تقدمت ترجمته ص (63).

[11] في (ن): "جائهم".

[12] في (ن): "الأول".

[270/ب] وفرح أصحابه وقالوا: صدقك، فقال لهم: ويحكم، أتخادعون أنفسكم، إن هؤلاء والله لو كانوا ظهروا[1] أو ظفروا ما جاؤكم على متون خيولهم يركضون، ولسبقهم البريد والبشرى، فإنهم لكذلك إذ طلع عليهم رجل من تنوخ[2]، يقال له حذيفة بن عمرو، وكان نصرانيًا، فقال قيصر: ما أظن خبر السوء إلا عند هذا، فلما دنا منه قال: ما عندك؟ قال: الشر، قال: وجهك الذي بشرنا بالشر، ثم نظر إلى أصحابه، فقال: خبر سوء جاء به رجل سوء من قوم سوء، فهم كذلك إذ جاءه رجل من عظماء الروم، فقال له الملك: ما وراءك؟ قال: الشر، هزمنا. قال: فما فعل أميركم باهان؟ قال: قتل، قال: فما فعل فلان وفلان، من أمرائه وبطارقته وفرسانه، فقال[3]: قتلوا، قال: لكنك[4] أنت والله أخبث وألأم وأكفر من أن تذب عن دين أو تقاتل على دنيا.

ثم قال لشرطه: أنزلوه، فقال: ألست كنت أشد الناس عليّ في أمر محمد نبي العرب حين جاءني كتابه ورسوله، وكنت قد أردتُ أن أجيبه وأدخل في دينه، حتى تركت ما أردت من هذا[5]؟ فهلا قاتلت الآن قوم محمد وأصحابه دون سلطاني؟ اضربوا عنقه، فضربوا عنقه، ثم نادى في أصحابه بالرحيل راجعًا إلى القسطنطينية[6]، فلما خرج من الشام وأشرف على أرض الروم استقبل الشام، فقال: السلام عليك يا سورية[7]، سلام مودع لا يرى أنه يرجع إليك أبدًا، ثم قال: ويحك أرضًا، ما أنفعك لعدوك، لكثرة ما فيك من العشب والخصب والخير.

---

[1]() قوله: "ظهروا" سقط في (ن).

[2]() تَنُوخ: اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديما بالبحرين وتحالفوا على التوازر والتناصر وأقاموا هناك فسموا تنوخا، والتنوخ الإقامة. الأنساب للسمعاني (3/90).

[3]() في (ن): "قتلوا"

[4]() في (ن): "ليتك"

[5]() في (ن): "ذلك"

[6]() قُسْطَنْطِينِيّةُ: ويقال قسطنطينة، بإسقاط ياء النسبة، قال ابن خرداذبه: كانت رومية دار ملك الروم وكان بها منهم تسعة عشر ملكا ونزل بعمورية منهم ملكان، وعمورية دون الخليج وبينها وبين القسطنطينية ستون ميلا، وملك بعدهما ملكان آخران برومية ثم ملك أيضا برومية قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بزنطية وبنى عليها سورا وسماها قسطنطينية وهي دار ملكهم إلى اليوم واسمها إسطنبول وهي دار ملك الروم، بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح، عمّرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه، والحكايات عن عظمها وحسنها كثيرة. وقال في المعالم الأثيرة: "وهي مدينة إسلام بول – إسطنبول- في تركية". معجم البلدان (4/347)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/226).

[7]() سُورِيَةُ: موضع بالشام بين خناصرة وسلمية. وهي دولة عربية معروفة الآن بنفس الاسم. معجم البلدان (3/280).

ولما خرج من أنطاكية[1]، أقبل حتى نزل الرها[2]، ثم خرج منها إلى القسطنطينية، وأقبل خالد حتى دخل أرض قنسرين، فلما انتهى إلى حلب تحصن منه أهلها، وجاء أبو عبيدة حتى نزل عليهم، فطلبوا الصلح والأمان، فقبل منهم أبو عبيدة، وكتب لهم أمانًا. [271/أ]

وروي: أن الأشتر[3] قال لأبي عبيدة: ابعث معي خيلاً أتبع أنا القوم، فإن عندي جزاء[4] وغناء، فقال أبو عبيدة: والله إنك لخليق[5] بكل خير، فبعثه في ثلاثمائة فارس، وقال له: لا تتباعد[6] في الطلب، وكن مني قريبًا، فكان يغير على مسيرة اليوم منه واليومين، ثم دعا أبو عبيدة ميسرة بن مسروق[7] فسرحه في ألفي فارس، في آثار الروم فقطع الدروب، وبلغ ذلك الأشتر، فلحقه، فإذا ميسرة مواقف جمعًا من الروم أكثر من ثلاثين ألفًا، وقد خاف ميسرة على نفسه وأصحابه، إذ طلع عليه الأشتر، فلما رآهم أصحاب ميسرة كبروا وكبر الأشتر وأصحابه، وحمل عليهم من مكانه ذلك، وحمل ميسرة فهزموهم، وركبوا رؤوسهم، واتبعتهم خيل المسلمين يقتلونهم، حتى انتهوا إلى موضع مرتفع من الأرض، فعلوا فوقه، وأقبل عظيم من عظمائهم معه رجالة إثره[8] يرمو نخيل المسلمين من مكانهم المشرف، فهم كذلك إذ نزل رجل من الروم أحمر عظيم جسيم، فتعرض للمسلمين ليخرج إليه أحدهم، فقال[9]: فوالله ما خرج إليه أحد[10]، فقال الأشتر: ما منكم أحد يخرج لهذا العلج؟ فلم يتكلم أحد.

1() أَنْطاكِيَة: قيل: إن أول من بناها وسكنها أنطاكية بنت الروم بن اليقن (اليفز) بن سام بن نوح، عليه السلام، أخت أنطالية، باللام، و لم تزل أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. وهي بلدة معروفة في تركية. معجم البلدان (1/266)، المعالم الأثيرة (1/33).

2() الرُّهاء: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذي استحدثها، وهو الرهاء بن البلندى بن مالك ابن دعر، وقال الكلبي في كتاب أنساب البلاد بخط حجحج: الرهاء بن سبند بن مالك بن دعر بن حجر ابن جزيلة بن لخم، وقال قوم: إنّها سمّيت بالرّها ابن الروم بن لنطي بن سام بن نوح، عليه السلام. وهي اليوم عاصمة محافظة أورفة تقع في جنوب شرق تركيا. معجم البلدان (3/106).

3() تقدمت ترجمته ص (104).

4() جزاء: جزي: جزى يجزي جزاء، أي: كافأ بالإحسان وبالإساءة. وفلانٌ ذو غناءٍ وجَزاء. العين (6/164).

5() خليق: جدير. العين (4/151).

6() في (ن): "تباعد".

7() تقدمت ترجمته ص (75).

8() في (ن): "كثيرة".

9() في (ن): "قال".

10() في (ن): "أحد".

فنزل الأشتر، فخرج إليه، فمشى كل واحد[1] منهما إلى صاحبه وعلى الأشتر الدرع والمغفر[2]، وعلى الرومي مثل ذلك، فلما دنا كل واحد[3] منهما إلى الآخر شد الأشتر عليه فاضطربا بسيفيهما، فوقع سيف الرومي على هامة الأشتر، فقطع المغفر وأسرع السيف في رأسه، حتى كاد ينشب[4] في العظم، ووقعت ضربة الأشتر على عاتق الرومي، فلم[5] تقطع شيئًا من الرومي[6]، إلا أن شدة (الضرب) [7] أوهنت الرومي وأثقلت عاتقه، ثم تحاجزا. [271/ب]

فلما رأى الأشتر أن سيفه لم يصنع شيئًا، انصرف فمشى[8] على هيئته حتى أتى الصف، وقد سال الدم على لحيته ووجهه، فقال: أخزى الله هذا سيفًا، وجاءه[9] أصحابه، فقال: عليّ بشيء من حناء، فوضعه على جرحه، ثم عصبه بالخرق، ثم حرك لحيته وضرب أضراسه بعضها ببعض، وقال: ما أشد لحيتي وأضراسي ورأسي، وقال لابن عم له: امسك سيفي وأعطني سيفك، فقال: دع لي سيفي، رحمك الله، فإني لا أدري لعلى احتاج إليه، فقال: أعطنيه ولك أم النعمان[10] يعني ابنته، فأعطاه إياه، فذهب ليعود إلى الرومي، فقال له قومه، ننشدك الله ألا تتعرض لهذا العلج، فقال: والله لأخرجن إليه فليقتلني أو لأقتلنه، فتركوه، فخرج إليه. فشد عليه وهو شديد الحنق، فاضطربا بسيفيهما، فضربه الأشتر على عاتقه، فقطع ما عليه حتى خالط السيف رئته، ووقعت ضربة الرومي على عاتق الأشتر، فقطعت الدرع و لم تضره شيئًا، ووقع الرومي ميتًا، فكبر المسلمون، ثم حملوا على صف الروم، فجعلوا ينقضون ويرمون المسلمين وهم من فوق، حتى أمسوا، وباتوا يتحارسون[11].

---

[1] () قوله: "واحد" سقط في (ن).

[2] () المِغْفَر: وقاية للرأس. الخوذة التي تلبس على الرأس لحمايتها. العين (4/406).

[3] () قوله: "واحد" سقط في (ن).

[4] () ينشب: النشبة: الَّذِي ينشب فِي الشَّيْء فَلَا ينْحل عَنهُ. الفائق في غريب الحديث للزمخشري (2/439).

[5] () في (ن): "وبه". ويظهر أنه لا مكان لها في النص.

[6] () قوله: "من الرومي" سقط في (ن).

[7] () ما بين القوسين زيادة من (ن).

[8] () في (ن): "يمشي".

[9] () في (ن): "وجاء".

[10] () لم أقف له على ترجمتها فيما وقفت عليه.

[11] () انظر: الاكتفاء (2/292).

فلما أصبحوا وجدوا الأرض من الروم بلاقع[1]، فارتحل الأشتر منصرفًا بأصحابه، ومضى ميسرة في أثر القوم حتى بلغ مرج القبائل[2] [3] بناحية أنطاكية، والمصيصة[4]، ثم انصرف راجعًا، وكان أبو عبيدة حين بلغه أنهم قد[5] أدربوا[6] أشفق عليهم وندم على إرسالهم، إذ أتى فبشر بقدوم الأشتر[7]، وجاء فحدثه بما كان من أمرهم ولقائهم ذلك الجيش، وما صنع الله لهم، ولم يذكر مبارزة الرومي [272/أ] وقتله إياه حتى أخبره غيره، وسأله عن ميسرة وأصحابه، فأخبروه بالوجه الذي توجه فيه، وأخبره أنه لم يمنعه من التوجه معه بأصحابه إلا الشفقة على أصحابه، وألا يصابوا بعد ما ظفروا، فقال: أحسنت، وما أحب الآن أنك معهم، ولوددت أنهم كانوا معكم.

قال: فدعا ناسًا من أهل حلب، فقال: اطلبوا لي إنسانًا دليلاً عالما بالطريق أجعل له جعلاً[8] عن أن يتبع آثار هذه الخيل التي بعثتها في طلب الروم فيتبعها حتى يلحقها، ثم يأمرها بالانصراف إليّ ساعة يلقاها، فلم يمكث ساعةً حتى جاءه بثلاثة رجال أدلاء، فقالوا: هؤلاء علماء بالطريق جراء[9] أدلاء بها، وهم يخرجون في آثار خيلك حتى يأتوها بأمرك، فكتب أبو عبيدة إلى ميسرة: أما بعد، فإذا أتاك رسولي هذا فأقبل إليّ حين تنظر في كتابي هذا، ولا تعرجن[10] على شيء، فإن سلامة رجل واحد من المسلمين أحب إليّ من جميع أموال المشركين، والسلام عليك.

فأخذوا كتابه، ثم خرجوا به، فاستقبلوه حين هبط من الدروب راجعًا، وقد عافاه الله هو وأصحابه وغنمهم وسلمهم، فدفعوا إليه كتاب أبي عبيدة، فلما قرأه قال: جزاه الله من وال على [272/ب]

---

[1] بلاقع: البَلْقَعُ: القَفْر لا شَيْءَ فيه. مَنْزِل بَلْقَعٌ ودِيارٌ بَلاقِعُ. العين (2/301).

[2] في (ن): "القائل".

[3] مَرْج القَبَائِل: وهي ناحية أنطاكية والمصيصة. بغية الطلب في تاريخ حلب (1/571).

[4] المِصِّيصَة: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، كانت من مشهور ثغور الإسلام قد رابط بها الصالحون قديما، وبها بساتين كثيرة يسقيها جيحان، وكانت ذات سور وخمسة أبواب، وهي مسماة فيما زعم أهل السّير باسم الذي عمرها وهو مصيصة بن الروم بن اليمن بن سام بن نوح، عليه السّلام. معجم البلدان (5/145). وتقع أطلالها بالقرب من مدينة أضنة بتركيا حاليا.

[5] قوله: "قد" سقط في (ن).

[6] أدربوا: أَدْرَبَ القومُ، إذا دخلوا أرض العَدُوِّ من بلاد الروم. الصحاح (1/125).

[7] تقدمت ترجمته ص (104).

[8] جُعلاً: الجُعْل: مَا جعلتَه للْإِنْسَان أجرا على عمله. تهذيب اللغة (1/240).

[9] لعلها جرآء أي جمع جريء، لأن جراء هكذا من غير مد المقصود بها الصغير من أي شيء.

[10] تعرجن: يقال: عَرَّجَ على الشَّيْءِ أي: أَقَام. معجم ديوان الأدب (2/ 343).

المسلمين خيرًا، ما أشفقه وأنصحه، ثم أقبل الرسل الذين كانوا توجهوا إليه حتى أتوا أبا عبيدة فبشروه بسلامتهم وانصرافهم، فحمد الله على ذلك، وأقام[1] حتى قدم عليه ميسرة، وكتب كتابًا أمانًا للناس من أهل قنسرين، ثم أمر مناديه فنادى بالرحيل إلى إيلياء[2]، وقدم خالدًا على مقدمته بين يديه، وأقبل يسير حتى انتهى إلى حمص[3] --- حبيب بن سلمة القرشي[4]، وأرض قنسرين إذ ذاك مجموعة إلى صاحب حمص، ثم خرج من حمص ومر بدمشق، فولاها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، ثم خرج حتى مر بالأردن، فنزلها، فعسكر بها، وبعث إلى أهل إيلياء الرسل، وقال: اخرجوا إليّ أكتب لكم أمانًا على أنفسكم وأموالكم، ونفي لكم كما وفينا لغيركم، فتثاقلوا وأبوا، فكتب إليهم أبو عبيدة: بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله العظيم وبرسله، أما بعد، فإنا ندعوكم[5] إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فإذا شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وكنتم إخواننا في ديننا، وإن أبيتم فأقروا لنا بإعطاء الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبيتم سرت إليكم بقوم، هم أشد للموت حبا منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله حتى أقتل مقاتلتكم وأسبي ذراريكم.

وكتب إلى عمر ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، أما بعد، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، والحمد لله الذي أهلك المشركين، ونصر المسلمين، وقديمًا ما تولى الله أمرهم، وأظهر فلجهم، وأعز دعوتهم، فتبارك الله رب العالمين. (أخبروا أمير المؤمنين أكرمه الله أنا لقينا الروم في جموع لم تلق العرب جموعًا قط مثلها. . .

---

[1]() في (ن): "فأقام ".

[2]() إِيلِيَاءُ: اسم مدينة بيت المقدس، قيل: معناه بيت الله، وحكى الحفصي: فيه القصر وفيه لغة ثالثة، حذف الياء الأولى فيقال: إلياء بسكون اللام والمد، قال أبو علي: وقد سمّي البيت المقدس إيلياء، وقيل: إنما سميت إيلياء باسم بانيها وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح. معجم البلدان (1/293).

[3]() في (ن): " فبعث على حمص ". وفي الاكتفاء: "وبعث على حمص حين انتهى إليها حبيب بن سلمة". انظر الاكتفاء (2/293).

[4]() حبيب بْن سلمة: بْن مالك الأكبر بْن وهب بْن ثعلبة بْن وائلة بْن عمرو بْن شيبان بْن محارب بْن فهر بْن مالك بْن النضر القرشي الفهري، يكنى أبا عبد الرحمن، ويقال له حبيب الدروب وحبيب الروم لكثرة دخوله إليهم ونيله منهم. قال الزبير بْن بكار: وحبيب بْن مسلمة كان شريفا، وكان قد سمع من النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وكان أهل الشام يثنون عليه ثناء كثيرًا ويقولون: هو مجاب الدعوة، سيره معاوية إِلَى أرمينية واليا عليها، فمات بها سنة اثنتين وأربعين، ولم يبلغ خمسين سنة. وقيل: توفي بدمشق. أسد الغابة (1/681).

[5]() في (ن): " فإني أدعوكم ".

ولكنه بعون الله ونصره ومنه تعالى وفضله، فله المن والطول والفضل العظيم فتبارك الله أحسن الخالقين والحمد لله رب العالمين)[6].

[6]() ما بين القوسين زيادة في (ن).

قصة صلح إيلياء[1] وقدوم عمر ﷺ الشام[2]:

ثم إن أبا عبيدة انتظر أهل إيلياء فأبوا أن يأتوه وأن يصالحوه، فأقبل إليهم خالد حتى نزل بهم، فحاصرهم حصارًا شديدًا، وضيق عليهم من كل جانب، فقاتلوهم ساعة، ثم انهزموا ودخلوا حصنهم، وكان الذي ولي قتالهم خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان، كل واحد منهما في[3] جانب فبلغ ذلك سعيد بن زيد، فكتب إلى أبي عبيدة: من سعيد بن زيد إلى أبي عبيدة فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد، فإني لعمري ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد في سبيل الله على نفسي، وعلى ما يقربني من مرضاة الله، وإذا أتاك كتابي هذا فابعث إلى عملك من هو أرغب فيه مني، فليعمل عليه ما بدا لك، فإني قادم عليك وشيكًا إن شاء الله، والسلام عليك.

فلما وصل كتابه إلى أبي عبيدة، قال: أشهد ليفعلنها، فقال ليزيد بن أبي سفيان: اكفني دمشق، فوجهه إليها. فلما حضر أبو عبيدة أهل إيليا ورأوا أنه غير مقلع[4] عنهم وظنوا أنهم لا طاقة لهم بحربه، قالوا له: نحن نصالحك، قال: فإني أقبل منكم الصلح، قالوا: فأرسل إلى خليفتكم عمر، فيكون هو الذي يعطينا العهد، وهو يصالحنا ويكتب لنا الأمان، فقبل ذلك أبو عبيدة، وهم بالكتاب، وكان [273/ب] معاذ بن جبل على الأردن وكان لا يكاد يفارق أبا عبيدة لرغبته في الجهاد في سبيل الله، وكان أبو عبيدة لا يقطع أمرًا دون رأي معاذ، فأرسل إليه، فلما قدم عليه[5] أخبره، بما سأله القوم فقال له معاذ: تكتب إلى أمير المؤمنين فتسأله القدوم عليك، فلعله أن يستقدم عليك، فيأبوا الصلح فيكون مسيره عناءً وفضلاً، فلا تكتب إليه حتى يوثق لك هؤلاء وتستحلفهم بأيمانهم المغلظة: لئن: أنت سألت أمير المؤمنين القدوم عليهم وكتب إليه بذلك فقدم عليهم فأعطاهم الأمان وكتب لهم كتابًا على الصلح [274/أ] ليقبلن ذلك وليصالحن[6] عليه، فأخذ أبو عبيدة عليهم الأيمان المغلظة[7] لئن عمر[8] قدم عليهم ونزل

---

[1]) تقدم التعريف بها ص (111).

[2]) انظر: الاكتفاء للكلاعي (2/301)، تاريخ الطبري (3/ 403).

[3]) سقط في (ن).

[4]) في (ن): "مبلغ".

[5]) قوله: " عليه". سقط في (ن).

[6]) في (ن): "لتقبلن ذلك ولتصالحن".

[7]) في (ن): "فحلفوا أيمانهم".

[8]) في (ن): "أمير المؤمنين".

لهم[1] وأعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وكتب لهم على ذلك كتابًا ليقبلن وليؤدن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الشام، فلما فعلوا كتب أبو عبيدة إلى عمر أمير المؤمنين: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنا أقمنا على إيلياء، وظنوا أن لهم في المطاولة[2] فرجًا ورجاءً، فلم يزدهم الله بها إلا ضيقًا وهزلاً ونقصًا وأزلاً، فلما رأوا ذلك سألونا أن نعطيهم ما كانوا منه ممتنعين قبل ذلك، وله كارهين، وإنهم سألونا الصلح على أن يقدم عليكم[3] أمير المؤمنين، فيكون هو المؤمن لهم والكاتب لهم كتابًا، وإنا خشينا أن يقدم أمير المؤمنين ثم يغدر القوم فيرجعوا، فيكون مسيرك، أصلحك الله، عناءً وفضلاً، فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانهم، لئن أنت قدمت عليهم فأمنتهم على أنفسهم وأموالهم ليفعلن ذلك وليؤدن الجزية، وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة، ففعلوا وأخذنا عليهم الأيمان بذلك، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تقدم علينا فافعل، فإن في مسيرك أجرًا وصلاحًا وعافيةً للمسلمين، آتاك الله رشدك، ويسر أمرك، والسلام عليك.

فلما رأى عمر كتابه، جمع رؤوس المسلمين، فقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة إليه واستشارهم[4] فقال عثمان بن عفان: أصلحك الله إن الله قد أذلهم وحصرهم وضيق عليهم، وأراهم ما صنع بجموعهم وملوكهم، وقتل من صناديدهم، وفتح على المسلمين من بلادهم، إنهم في كل يوم يزدادون هزلاً وأزلاً وذلاً ونقصًا وضيقًا ورغمًا[5]، فإن أنت أقمت و لم تسر إليهم علموا أنك بأمرهم[6] مستخف، ولشأنهم محتقر وغير معظم، فلم يلبثوا إلا يسيرًا حتى ينزلوا على الحكم، ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وإلا حاصرهم المسلمون وضيقوا عليهم حتى يعطوا بأيديهم. فقال عمر: ماذا ترون؟ هل عند أحد منكم غير هذا الرأي؟ فقال علي بن أبي طالب: نعم، يا أمير المؤمنين، عندي غير [274/ب] هذا. فقال: ما هو؟. قال: إنهم يا أمير المؤمنين سألوك المنزلة التي لهم فيها الذل والصغار، وهي على المسلمين فتح ولهم عز، وهم يعطونكها الآن في العاجل في عافية، ليس بينك وبين ذلك إلا أن تقدم

---

[1]() في (ن): "بهم".

[2]() المطاولة: (طاول) فِي الشَّيْء طول وفلَانا فِي الطول أَو فِي الطول غالبه وباراه. وهي كناية عن الحرب. انظر المعجم الوسيط (2/571).

[3]() في (ن): "عليهم".

[4]() في (ن): "في ذلك".

[5]() في (ن): "هما".

[6]() في (ن): "بهم وبأمرهم".

عليهم، ولك يا أمير المؤمنين في القدوم عليهم الأجر في كل ظمأ وكل مخمصة[1] وفي قطع كل واد وفي كل فج وشعب وفي كل نفقة تنفقها حتى تقدم عليهم، فإن قدمت عليهم كان في قدومك عليهم الأمن والعافية والصلح، والفتح، ولست آمن لو أنهم أيسوا من قبولك الصلح ومن قدومك عليهم أن يتمسكوا[2] بحصنهم، ولعلهم أن يأتيهم من عدونا[3] مدد لهم فيدخلوا معهم في حصنهم، فيدخل على المسلمين من حربهم وجهادهم[4] بلاء ومشقة، ويطول بهم الحصار، ويقيم[5] المسلمون عليهم، فيصيب المسلمين من الجهد والجوع نحو ما يصيبهم، ولعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرمونهم بالنشاب[6] ويقذفونهم بالحجارة، فإن قتل رجل من المسلمين تمنيتم أنكم فديتم رجلاً من المسلمين بمسيركم إلى منقطع التراب، ولكان المسلم بذلك من إخوانه أهلاً.

فقال عمر: قد أحسن عثمان في مكيدة العدو، وقد أحسن علي النظر لأهل الإسلام. سيروا على اسم الله، فإني معسكر وسائر.

وخرج الناس معهم أشراف الناس وبيوتات العرب والمهاجرين والأنصار، وأخرج عمر معه العباس بن عبد المطلب. حتى انتهى إلى الجابية[7]، ثم خرج إلى إيلياء، فخرج إليه المسلمون يستقبلونه، وخرج أبو عبيدة بالناس أجمعين، وأتوا عمر وهو على جمل له، وعليه رحله، وعليه صفة[8] من جلد كبش حولي[9]، فانتهى إلى مخاضة[10]، فأقبلوا يبتدرونه[11]، فقال للمسلمين: مكانكم، ثم نزل عن

---

[1]() المخمصة: المجاعة. وهي هنا بمعنى الجوع. شمس العلوم (3/1918).

[2]() في (ن): "يمسكوا".

[3]() في (ن): "عندنا"..

[4]() في (ن): "عنادهم".

[5]() في (ن): "ويقوم".

[6]() النُّشَّاب: النَّبْلُ واحدتُه نُشَّابَةٌ. المحكم والمحيط الأعظم (8/78). [275/أ]

[7]() الجابيةُ: قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفّر في شمالي حوران، إذا وقف الإنسان في الصنمين واستقبل الشمال ظهرت له، وتظهر من نوى أيضا، وباب الجابية بدمشق منسوب إلى هذا الموضع، ويقال لها جابية الجولان أيضا. معجم البلدان (2/91). وفي موسوعة ويكيبيديا: "ويعرف اليوم بتل الجابية ويقع إلى الغرب من مدينة نوى الواقعة بسهل حوران".

[8]() الصُفَّة: شيء يجعل في السرج والرحل الذي يوضع على الدابة للركوب عليها. قال ابن منظور: "وصُفَّةُ الرَّحْلِ والسَّرْجِ: الَّتِي تَضُمّ العَرْقُوَتَينِ والبِدادَين مِنْ أَعْلاهما وأَسفلهما، وَالْجَمْعُ صُفَفٌ". لسان العرب (9/195).

[9]() حولي: أي مر عليه حول. والحَوْل: العام. شمس العلوم (3/1608).

[10]() مخاضة: الخَوْضُ: المشْيُ فِي الْمَاءِ، وَالْمَوْضِعُ مَخاضةٌ وَهِيَ مَا جازَ الناسُ فِيهَا مُشاةً ورُكْباناً. لسان العرب (7/147).

[11]() يبتدرونه: ابْتَدَرَ القومُ الشيءَ: إذا سارعوا إلى أخذه. شمس العلوم (1/461).

بعيره، فأخذ بزمامه وهو من ليف، ثم دخل الماء بين يدي جمله، حتى جاز إلى أصحاب أبي عبيدة، فإذا معهم برذون[1] يجنبونه، فقالوا له: يا أمير المؤمنين، اركب هذا البرذون، فإنه أجمل بك وأهون عليك في ركوبك، ولا نحب أن يراك أهل الذمة في مثل هذه الهيئة التي نراك فيها، واستقبلوه بثياب بيض، فنزل عمر[2] عن جمله وركب البرذون، وترك الثياب، فلما هملج[3] به البرذون، نزل عنه، وقال: خذوا هذا عني، فإنه شيطان، وأخاف أن يغير عليّ قلبي، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو لبست هذه الثياب البيض، وركبت هذا البرذون لكان أجمل في المروءة وأحسن في الذكر وخيرًا في الجهاد.

فقال لهم عمر(:) [4]: ويحكم، لا تعتزوا بغير ما أعزكم الله به فتذلوا، ثم مضى والمسلمون معه حتى أتى إيلياء، فنزل بها، فقال يزيد بن أبي سفيان: يا أمير المؤمنين، إن الثياب[5] والدواب عندنا كثيرة، والعيش عندنا رفيع، والسعر رخيص، وحال المسلمين كما تحب، فلو أنك لبست من هذه الثياب البيض وركبت من هذه الدواب الفره[6]، وأطعمت المسلمين من هذا الطعام الكثير، كان أبعد في الصوت، وأزين لك في هذا الأمر، وأعظم لك في الأعاجم. قال له: يا يزيد لا والله لا أدع الهيئة التي فارقت عليها صاحبي، ولا أتزين للناس بما أخاف أن يشينني عند ربي، ولا أريد أن يعظم أمري عند الناس ويصغر عند الله. فلم يزل عمر على الأمر الأول الذي كان عليه في حياة رسول الله ﷺ، وحياة أبي بكر، حتى خرج من الدنيا.

فلما نزل بإيلياء واطمأن الناس، بعث أبو عبيدة إلى أهل إيلياء، أن انزلوا إلى أمير المؤمنين، واستوثقوا لأنفسكم، فنزل إليه ابن الجعيد[7] في ناس من عظمائهم[8]، فكتب لهم عمر كتاب الأمان والصلح، فلما قبضوا كتابهم وأمنوا، دخل الناس بعضهم في بعض، و لم يبق أمير من أمراء الأجناد إلا

---

[1]() البِرْذَوْنُ: الدابَّةُ، وهي: بهاءٍ. القاموس المحيط (1/1180).

[2]() قوله: (عمر) سقط في (ن).

[3]() هَمْلَجَ: الهَمْلَجةُ: حسنُ سَيْرِ الدّابّة في سرعة وبخترة. العين (4/118).

[4]() ما بين القوسين زيادة في (ن).

[5]() في (ن): "الثواب".

[6]() فره: قَالَ اللَّيْث: فَرُهَ الإنسانُ يَفرُه فَراهةً فَهُوَ فارهٌ بيِّن الفَراهةَ والفراهِيَة. ويَقُولُونَ: جَارِيَة فارهةٌ، وَغُلَام فارِهٌ: إِذا كَانَا مَلِيحَي الوَجْه والجميع فُرْه، وَيُقَال بَرْذَنٌ فارِهٌ، وحمارٌ فارِهٌ. تهذيب اللغة (6/150). [275/ب]

[7]() في الفتوح لابن أعثم (1/227): أبا الجعيد، قال: وهو رجل من المستعربة. وفي الاكتفاء (2/ 306): ابن الجعيد.

[8]() في (ن): "عظماء الصحابة".

استزار[1] عمر فيصنع[2] له ويسأله أن يزوره في رحله، فيفعل ذلك عمر، إكرامًا لهم، غير أبي عبيدة، فإنه لم يستزره، فقال له عمر: إنه لم يبق أمير[3] من أمراء الأجناد إلا استزارني غيرك، فقال: أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، إني أخاف إن استزرتك أن تعصر عينيك[4]، فأتاه عمر في بيته، فإذا ليس في بيته إلا لبد[5] فرسه، وإذا هو فراشه وسرجه وإذا هو وسادته، وإذا كِسر يابسة في كوة[6] بيته، فجاء بها، فوضعها على الأرض بين يديه، وأتى بملح جريش[7]، وكوز خزف[8] فيه ماء. فلما نظر عمر إلى ذلك بكى، ثم التزمه[9] وقال: أنت أخي، وما من أحد من أصحابي إلا وقد نال من الدنيا ونالت منه، غيرك؟ فقال له أبو عبيدة: ألم أخبرك أنك ستعصر عينيك في بيتي.

ثم إن عمر قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي ﷺ ثم قال: يا أهل الإسلام، إن الله قد صدقكم الوعد، ونصركم على الأعداء، وأورثكم البلاد، ومكن لكم في الأرض، فلا يكن جزاء ربكم إلا الشكر، وإياكم والعمل بالمعاصي، فإن العمل بالمعاصي كفر للنعم، وقلّ ما كفر قوم بما أنعم الله عليهم، ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط عليهم عدوهم.

ثم نزل، وحضرت الصلاة، فقال عمر رضي الله عنه: يا بلال، ألا تؤذن لنا رحمك الله، فقال بلال: يا أمير المؤمنين، أما والله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ ولكن سأطيعك اليوم إذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها. فلما أذن بلال وسمعت الصحابة صوته، ذكروا نبيهم ﷺ فبكوا بكاءً شديدًا، ولم يكن يومئذ أحد أطول بكاء من أبي عبيدة ومعاذ بن

---

[1] () استزار: استزار فلانًا: طلب منه أن يزوره. معجم اللغة العربية المعاصرة (2/1008). وعند الكلاعي: "استزار عمر". الاكتفاء (2/ 306).

[2] () في (ن): "ويصنع". وعند الكلاعي: "فيصنع". الاكتفاء (2/ 306).

[3] () في (ن): "كبير".

[4] () قال في جمهرة اللغة: "عصارة كل شَيْء: مَا سَالَ مِنْهُ إِذا عُصر". جمهرة اللغة (2/739). ولعل معنى عصر عينيه: كناية عن البكاء.

[5] () لبد: كل شَعَرٍ أَو صوف يَتَلَبَّد فَهُوَ لِبْدٌ ولِبْدة، وللأسد شَعَرٌ كثير قد تَلَبَّد على زُبْرَتِهِ قَالَ: وَقد يكون مثلُ ذَلِك على سَنَام الْبَعِير. تهذيب اللغة (14/92).

[6] () الْكَوَّةُ: الثُّقْبَةُ فِي الْحَائِطِ. المصباح المنير (2/545).

[7] () جريش: كل شَيْء لم تبالغ فِي دقه فَهُوَ جريش. جمهرة اللغة (1/458).

[8] () الخَزَفُ: الجر. العين (4/210).

[9] () التزمه: عانقه. المحكم والمحيط الأعظم (1/221).

جبل، حتى قال لهما عمر: حسبكما رحمكما الله، فلما انتهى من صلاته، شكا إليه بلال استئثار الأمراء من الأطعمة بما لا يأكله العامة.

فقال عمر: والله لا أبرح العرصة حتى تضمنوا لي أرزاق المسلمين فعرض[1] لهم كفايته[2] وضمنوا له ذلك، ثم قال: يا معشر المسلمين، هذا لكم سوى أعطياتكم، فإن وفا لكم أمراؤكم بهذا الذي فرضنا لكم في كل شهر، فذلك ما أحب، وإن لم يفعلوا، لتملوني[3] حتى أعزلهم، وأولى أمركم غيرهم.

وعن شهر بن حوشب[4] [5]: أن إسلام كعب الحبر[6] وهو من اليمن من حمير[7]، كان في قدوم عمر الشام، وأن كعبا أخبره بأمره، وكيف كان ذلك[8].

قال: وكان أبوه من مؤمني أهل التوراة برسول الله ﷺوكان من عظمائهم وخيارهم. وكان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى من التوراة، وبكتب الأنبياء، (ولم يكن يدخر عني شيئًا مما كان يعلم) [9]، فلما حضرته الوفاة دعا كعبًا وقال: قد علمت أني لم أكن أدخر عنك شيئًا مما كنت أعلم، إلا أني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث، وقد أظل زمانه، فكرهت أن أخبرك بذلك، فلا [276/أ] آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض الكذابين فتتبعه، وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما في هذه

---

[1] في (ن): "ففرض".

[2] هكذا كتب في المخطوطة الأصل، وهناك انقطاع في السياق، والتتمة من الاكتفاء، قال: "في كل شهر، ثم قال: انظروا، كم يكفي الرجل ويسعه في كل يوم، فقالوا: كذا وكذا، فقال كم يكون ذلك في الشهر، قالوا: جريبين من قمح مع ما يصلحه من الزيت والخل عند رأس كل هلال. . . ". انظر الاكتفاء (2/307).

[3] في (ن): "أعلموني". وهو الصواب.

[4] انظر الاكتفاء (2/ 307).

[5] شهر بن حَوْشَب: أبو سعيد الأشعري الشَّامِيُّ، مَوْلَى الصَّحَابِيَّةِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيْدَ الأَنْصَارِيَّةِ، كَانَ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ التَّابِعِيْنَ. حَدَّثَ عَنْ: مَوْلاَتِهِ؛ أَسْمَاءَ، وَعَنْ: أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَائِشَةَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو، وَأُمِّ سَلَمَةَ وَأَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ، وَعِدَّةٍ. وَقَرَأَ القُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ. وَيُرْسِلُ عَنْ: بِلاَلٍ، وَأَبِي ذَرٍّ وَسَلْمَانَ، وَطَائِفَةٍ. مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمائَةٍ. سير أعلام النبلاء (5/221).

[6] هو: كعب الأحبار بن ماتع ويكنى أبا إسحاق، وهو من حمير، من آل ذي رعين، وكان على دين يهود، فأسلم، وقدم المدينة، ثم خرج إلى الشام، فسكن حمص حتى توفي بها سنة اثنتين وثلاثين، في خلافة عثمان بن عفان. الطبقات الكبرى (7/445).

[7] تقدم التعريف بها ص (96).

[8] هذه الزيادة سقطت من المخطوطة الأصل، والتتمة من الاكتفاء (2/ 307).

[9] ما بين القوسين سقط في (ن). والصواب إسقاطه إذ لا مكان له.

الكوة وطينت عليهما، فلا تتعرضن لهما ولا تنظر فيهما زمانك هذا، وأقرهما مكانهما حتى يخرج ذلك النبي، فاتبعه، وانظر فيهما، فإن الله يزيدك بذلك خيرًا.

فلما انقضى المأتم فتحت الكوة، واستخرجتهما، فإذا فيهما: "محمد رسول الله، خاتم النبيين، لا نبي بعده، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب[1] في الأسواق، ولا [276/ب] يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يجزى بالسيئة الحسنة، ويعفو ويغفر ويصفح، أمته الحمادون، الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال، وتذلل ألسنتهم بالتكبير، وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه[2]، يغسلون فروجهم بالماء، ويأتزرون على أوساطهم، وأناجيلهم في صدورهم، ويأكلون قربانهم في بطونهم، ويؤجرون عليها، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم والأب، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، وهم السابقون المقربون المشفعون المشفع لهم، وأنه استمر يتروى ويلتمس[3] السبيل إلى رسول الله ﷺ فلم يقدر له ثم بلغه وفاته. وقيام خليفته مقامه، ثم لم يلبث إلا قليلاً[4] جاءتهم جنوده، فقلت: لا أدخل في دينهم حتى أنظر كيف سيرتهم وأعمالهم وإلى ما تكون[5] عاقبتهم، فلم أزل أتحرى لأتبين حتى قدم علينا عمر بن الخطاب، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهد، وما صنع الله لهم على الأعداء، علمت أنهم الذين كنت أنتظر، فحدثت نفسي بالدخول في الإسلام، فوالله إني ذات ليلة فوق سطح لي، إذا رجل من المسلمين يتلو كتاب الله تعالى، حتى أتى على هذه الآية[قال تعالى][6]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾[7]. قال: فلما سمعت هذه الآية خشيت والله ألا أصبح حتى يحول[8] وجهي في قفاي، فما كان شيء أحب إليّ من الصباح، فغدوت على عمر (فسلمت

---

[1]) صَخَّابٌ: الصَّخَبُ مُحَرَّكَةً: الصِّيَاحُ والجَلَبَةُ وشِدَّةُ الصَّوْتِ واخْتِلَاطُه. تاج العروس (3/189).

[2]) ناوأه: ناوأ الشَّخصَ: عاداه. معجم اللغة العربية المعاصرة (3/2298).

[3]) في (ن): "ويتحرى".

[4]) في (ن). "حتى".

[5]) في (ن): "يكون".

[6]) لم يكتبها المؤلف فرأيت وضعها، وتمييز كلام الله عن غيره.

[7]) سورة النساء، آية 47.

[8]) في (ن): "يتحول".

عليه) [1]، فأسلمت حين أصبحت. وقال كعب لعمر عند انصرافه عن الشام: يا أمير المؤمنين، إنه مكتوب في كتاب الله: إن هذه البلاد التي كان فيها بنو إسرائيل، وكانوا أهلها، مفتوحة على رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، سره مثل علانيته، وعلانيته مثل سره، وقوله لا يخالف فعله، والقريب والبعيد عنده في الحق سواء، وأتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار، متراحمون متواصلون متباذلون[2].

فقال له عمر: ثكلتك أمك، أحق ما تقول؟ قال: أي والذي أنزل التوراة على موسى، والذي يسمع ما نقول، إنه لحق. فقال عمر: فالحمد لله الذي أعزنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد ﷺ، وبرحمته التي وسعت كل شيء.

وعن سيف يرفعه إلى سالم بن عبد الله[3]، قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق، فقال: السلام عليك يا فاروق، أنت صاحب إيلياء، والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء.

و[4] حديث زيد[5] أسلم[6] في قصة دخول عمر ﷺ الشام في الجاهلية وما وقع له من قبل البطريق، وخروجه إلى دير القدس يستظل بفنائه، فخرج إليه رجل من الدير واستشعر خوفه وأطعمه وسقاه، ثم صعد في النظر في[7] وجهه وقال: قد علم أهل الكتاب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب[8]، وإني لأرى صفتك، الصفة التي تخرجنا من هذا الدير، وتغلبنا عليه، فقال له: لقد ذهبت في غير مذهب. فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: عمر بن الخطاب، قال: أنت والله صاحبنا، فاكتب لي [277/أ]
على ديري هذا وما فيه، فقال له عمر: يا هذا، إنك قد صنعت إليّ صنيعة فلا تكدرها، فقال: إنما هو

[1] ما بين القوسين زيادة في (ن).

[2] متباذلون: البَذْل: ضِدُّ المنْع. بَذَله يَبْذِلُه ويَبْذُلُه بَذْلاً: أَعطاه وجادَ بِهِ. وَكُلُّ مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بِإِعطاء شَيْءٍ فَهُوَ بَاذِلٌ لَهُ. لسان العرب (11/50).

[3] سالم بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيُّ، أَبُو عُمَرَ، الْمَدَنِيُّ الْفَقِيهُ أَحَدُ الْأَعْلَامِ. سَمِعَ: أَبَاهُ، وَعَائِشَةَ، وَرَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَفِينَةَ، وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ وَغَيْرَهُمْ، وَقَدِمَ الشَّامَ وَافِدًا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِبَيْعَةِ وَالِدِهِ لَهُ، ثُمَّ عَلَى الْوَلِيدِ، وَعَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَلَمْ يَكُنْ أَحدٌ فِي زَمَانِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَشْبَهَ بِمَنْ مَضَى مِنَ الصَّالِحِينَ فِي الزُّهْدِ وَالْقَصْدِ وَالْعَيْشِ مِنْهُ. تُوُفِّيَ سَالِمٌ فِي أَوَّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَةٍ. تاريخ الإسلام (3/49).

[4] في (ن): "من".

[5] في (ن): "بن".

[6] زَيْدُ بنُ أَسْلَم: مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَيُكَنَّى أَبَا أُسَامَةَ. أبوه: أسلم العدوي مولى عمر. عد في المخضرمين -والمخضرم- من أدك الجاهلية وزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم ولم يره. وكان ثقة. مات سنة ثمانين وقيل: بعد سنة ستين وهو ابن أربع عشرة ومائة. انظر: الإصابة (1/388، 104).

[7] قوله: (في) سقط في (ن).

[8] في (ن): "بالكتاب مني".

كتاب في رق، فإن كنت صاحبنا فذاك، وإلا لم يضرك شيء، فكتبت له على ديره وما فيه، فأتاه بثياب ودراهم، فدفعها إليه، ثم أوكف أتانًا[1]، وقال: سر عليها، فإنك لا تمر بقوم إلا سقوها وعلفوها وأضافوك، فإذا بلغت مأمنك فاضرب وجهها مدبرة، فإنهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إليّ، قال عمر: فركبتها، فكان كما قال، حتى لحقت أصحابي، فضربتها مدبرة وانطلقت معهم، فلما أتى الشام في خلافته، جاءه ذلك الرجل بالكتاب، فلما رآه عرفه، ثم قال: جاء ما لا مذهب لعمر عنه، ثم أقبل على أصحابه فحدثهم الحديث.

وعند سيف ما يخالف بعض ما تقدم، ورأيت أن أضم إليه شيئًا منه. فمن ذلك: أن عمر، كتب إلى يزيد بن أبي سفيان بعد مصالحة أهل الأردن، واجتماع عسكر الروم بأجنادين وبيسان[2] وغزة[3]: أن يسرح معاوية إلى قيسارية[4].

وكتب إليه عمر: أما بعد، فإني قد[5] وليتك قيسارية، فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا، نعم المولى ونعم النصير..

فسار معاوية في جنده حتى نزل على أهل قيسارية[6]، فهزمهم وحصرهم، ثم إنهم جعلوا يزاحفونه[7]

---

[1]) أوكف أتانًا: الأتان أنثى الحمار، وأوكف الحمارَ: إذا شد عليه الوِكاف. والمعنى: جعل عليها مثل السرج. شمس العلوم (11/72).

[2]) بَيْسَانُ: مدينة بالأردنّ بالغور الشامي، ويقال هي لسان الأرض، وهي بين حوران وفلسطين، وبها عين الفلوس يقال إنها من الجنة، وهي عين فيها ملوحة يسيرة. وقال في المعالم الأثيرة: " ومدينة بيسان كانت تقع على بعد نحو ستة أكيال من ضفة نهر الأردن وتنخفض 131 مترا عن سطح البحر وتبعد عن القدس 127 كيلا. . . وقد هدمها اليهود لعنهم الله، وأقاموا مكانها مستعمرة سنة 1949 م باسم «بيت شعن» أو بيت شان". معجم البلدان (4/527)، المعالم الأثيرة (1/68).

[3]) غَزَّة: بلدة كنعانية عربية قديمة، من أقدم مدن العالم، وهي مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقلّ، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان. معجم البلدان (4/202)، المعالم الأثيرة (1/209).

[4]) قَيْسارِيّةُ: بلد على ساحل بحر الشام تعدّ في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، وكانت قديما من أعيان أمهات المدن واسعة الرّقعة طيبة البقعة كثيرة الخير والأهل وأما الآن فليست كذلك وهي بالقرى أشبه منها بالمدن. وقال في المعالم الأثيرة: "مدينة قديمة على شاطئ فلسطين، فتحها معاوية بن أبي سفيان". معجم البلدان (4/421)، المعالم الأثيرة (1/228).

[5]) قوله: (قد) سقط في (ن).

[6]) في (ن): "عليها".

[7]) يزاحفونه: الزَّحْف جماعة يزحَفُون إلى عدوِّهم بمَرَّة، فهُم الزَّحْف والجميع زُحُوف. العين (3/163).

فلا يزاحفونه مـرةً إلا هـزمهم وردهم إلى حصـنهم، ثم زاحفـوه[1] آخـر ذلـك وخرجـوا من صياصيهم[2]، فاقتتلوا في حفيظة[3] واستماتة، فبلغ قتلاهم في المعركة ثمانين ألفًا، وكملها في هزيمتهم مائة ألف، وبعث بالفتح إلى عمر فأتاه البريد ليلاً فجمع الناس وأباتهم على الفرح، وكان معاوية قبل الفتح وبعده يجلس الأسرى عنده ويقول: ما صنعوا بأسرانا صنعنا بأسراهم مثله، فمنع بذلك من [277/ب] العبث بأسرى المسلمين، وأمر عمر عمرو بن العاص بصدم الأرطبون[4] وكان جمع الروم بأجنادين[5]، فلما توجه معاوية إلى قيسارية صمد عمرو[6] إلى الأرطبون ومن بإزائه، وخرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته، وولى مجنبتيه ابن عمرو وجنادة بن تميم[7]، واستخلف أبا الأعور[8] على الأردن، ونزل عليهم بأجنادين، وهم في حصونهم وخنادقهم، وعليهم الأرطبون، وكان أدهى الروم، وأبعدها غورًا وأنكاها فعلاً، وكان وضع بالرملة[9] جندًا عظيمًا، وبإيلياء جندًا عظيمًا، وكتب عمرو بالخبر إلى عمر، فلما جاءه كتابه قال: قد رمينا[10] أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج[11].

---

[1]() في (ن): "لاحقوه".

[2]() الصَيَاصي: الحصون. الصحاح (3/1044).

[3]() التَحَفُّظ: قِلّة الغَفْلة حَذَراً من السَّقْطة في الكلام والأمور. يقال: هو ذو حفيظة. وأهل الحفائظ: المحامون من وراء إخوانهم، مُتعاهدونَ لأمورهم، مانِعونَ لعَوْراتِهم. العين (3/198).

[4]() الأرطبون: كلمة أعجمية، ولم أقف على معناها فيما تيسر لي الاطلاع عليه من معاجم اللغة، ولعل معناها صاحب المكر والدهاء، وقد تسمى بها أحد قادة الرومان المشهورين بالدهاء والخديعة والمكر في الشام أيام الفتوحات الإسلامية في خلافة عمر– رضي الله عنه–، وقد اشتهر عن عمر كلمته: "قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج". يقصد بذلك أن كلا القائدين أدهى الرجال في قومه. وكان يقصد بأرطبون العرب عمرو بن العاص. انظر: تاريخ الطبري (3/605).

[5]() في (ن): زيادة: "وأمر علقمة بن مجزز بصدم القنقار وكان على الروم يغزوهم".

[6]() في (ن): "صعد عمر".

[7]() جنادة بن تميم: المالكي الكناني. ذكر سيف في الفتوح أن عمرو بن العاص أمّره على إحدى المجنّبتين في القتال يوم أجنادين سنة خمس عشرة. وقد تقدم أنهم كانوا لا يؤمّرون [أيام عمر] إلا الصّحابة. الإصابة في تمييز الصحابة (1/609).

[8]() هو أبو الأعور السلمي، وقد تقدمت ترجمته ص (101).

[9]() الرَّمْلَةُ: مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت رباطا للمسلمين. وكانت قصبتها قد خربت الآن [هذا كان في زمن ياقوت الحموي]، ولقد عمرت بعد ذلك وأصبحت إحدى مدن فلسطين الكبرى، وعمرت بالسكان، ثم خربت سنة 1947 م عندما أحاطت بها قوى العدوان من كل أقطارها. انظر: معجم البلدان (3/69)، والمعالم الأثيرة (1/130).

[10]() في (ن): "رمتنا".

[11]() ذكره ابن المبرد الحنبلي في محض الصواب (2/ 436).

وأقام عمرو على أجنادين، لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا لسعيه[1] الرسل، فدخل عليه، كأنه رسول، فأبلغه ما يريد، وسمع كلامه حتى عرف ما أراد، وتأمل حصونه، فقال أرطبون في نفسه: والله إن هذا لعمرو، أو إنه للذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله، ثم دعا حرسيا[2] فساره[3]، فقال: اخرج فقم بمكان كذا فإذا مر بك فاقتله، وفطن له عمرو، [278/أ] فقال له: قد سمعت مني وسمعت منك، وقد وقع ما قلت مني موقعًا، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكانفه[4] ويشهدنا أموره، فأرجع فآتيك بهم الآن، فإن رأوا مثل الذي أرى فقد رآه أهل العسكر ورآه الأمير، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم، وكنت على رأس أمرك. قال: نعم، ودعا رجلاً فساره، وقال: اذهب إلى فلان، يعني ذلك الحرسي، فرده إليّ، فرجع إليه الرجل، وقال لعمرو: انطلق فجئني بأصحابك، فخرج[5] عمرو ورأى أن لا يعود لمثلها، وعلم الرومي أنه خدعه فقال: هذا أدهى الخلق، وبلغت عمر فقال: غلبه عمرو.

ثم ناهده[6] عمرو وقد عرف مأخذه، فالتقوا بأجنادين، فاقتتلوا قتالاً شديدًا كقتال اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم، ثم انهزم أرطبون في الناس، فأوى إلى إيلياء، ونزل عمرو أجنادين ثم انطلق علقمة بن مجزز[7] فحصر القيقار[8] بغزة، وجعل يراسله فلم يشفه أحد مما يريد، ففعل كما فعل عمرو ووقع له معه سلمًا ووقع[9] لعمرو مع الأرطبون سواء وكامنه[10] بمثل خديعة عمرو.

---

[1]() في (ن): "تشفيه". وهو الصواب. انظر الاكتفاء (2/ 311).

[2]() الحَرَسِيُّ بِفَتْحِ الرَّاءِ: وَاحِدُ الحُرَّاس والحَرَس، وَهُمْ خَدَمُ السُّلْطَانِ المرتَّبون لحِفْظه وحِرَاسَتِهِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (1/367).

[3]() فساره: همس إليه في أذنه بكلام لا يسمعه غيره. والإسْرار: أسرَّ إليه حديثًا. وأسرَّ الشيءَ: أي أخفاه. شمس العلوم (5/2928).

[4]() لنكانفه: كَنَف الشيءَ كنفًا: إذا حفظه وحاطه. شمس العلوم (9/5912).

[5]() في (ن): "فرجع".

[6]() ناهده: تناهد القومُ فِي الْحَرْب، إذا تناهضوا لَهَا. وكل ناهض فَهُوَ ناهد. ونهدتُ إلى الْقَوْم، إذا قُمْت إِلَيْهِم. جمهرة اللغة (2/687).

[7]() علقمة بن مجزّز: بْن الأعور بْن جعدة بْن مُعَاذ عَمْرو بْن مدلج الكناني المدلجي أحد عمال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جيش، واستعمل عَبْد اللَّه بْن حذافة السهمي عَلَى سرية، وكان رجلاً فِيهِ دعابة. وبعث عُمَر بْن الخطاب علقمة فِي جيش إِلَى الحبشة، فهلكوا كلهم. أسد الغابة (3/584).

[8]() في (ن): "القنقار". وهو أحد قادة الروم، وفي الاكتفاء: القيقار، وهو القيقار بن نسطورس. انظر الكامل في التاريخ (2/ـ 345)، والاكتفاء (3/280).

[9]() في (ن): "مثلما وقع".

[10]() في (ن): "سرًا ونجا منه". ولعل الصواب: سوءًا ونجا منه بمثل خديعة عمرو.

ولما أتى أرطبون إيلياء، أفرج له المسلمون حتى دخلها، ثم أزالهم إلى أجنادين، وكتب إلى عمرو: بأنك صديقي ونظيري، (و) [1] أنت في قومك مثلي في قومي، والله لا تفتتح من فلسطين شيئًا بعد أجنادين، فارجع فلا تعنّ[2] فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة، فدعا عمرو رجلاً يتكلم بالرومية، فأرسله إلى أرطبون، وأمره أن يتنكر ويقرب ويستمع ما يقول، حتى يخبره به إذا رجع، وكتب إلى أرطبون: جاءني كتابك، وأنت نظيري، ومثلي في قومك، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي، وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد، وأستعدي عليك فلانًا وفلانًا وفلانًا لوزرائه، فأقرئهم كتابي، ولينظروا فيما بيني وبينك.

فأتاه الرسول بالكتاب، بمشهد من أولئك النفر، فاقترأه، فضحكوا وتعجبوا، وأقبلوا على أرطبون، فقالوا: من أين علمت أنه ليس بصاحبها؟ قال: صاحبها رجل اسمه عمر، ثلاثة أحرف، فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر. وكتب إليه[-أي عمر][3] يستمده، ويقول: إني أعالج حربًا كؤودًا[4]، وبلادًا ادخرت لك، فلما جاء عمر الكتاب، علم أن عمرًا لم يقل إلا بعلم، فنادى في الناس، ثم خرج بهم حتى نزل الجابية.

(ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ثم دخلها ودخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء ويقال أنه لبى حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود عليه السلام وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة في الغد فقرأ في الأولى سورة ص وسجد فيها والمسلمون معه وقرأ في الثانية سورة بني إسرائيل ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار فأشار إليه كعب أن يجعل المسجد من ورائها فقال له ضاهيت[5] اليهودية، ثم جعل المسجد قبلي بيت المقدس ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وكسائه وفعل معه المسلمون وكانت الروم جعلت الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود حتى إن المرأة كانت ترسل بخرق

---

[1]) زيادة في (ن).

[2]) تعنّ: عَنَى عَناءً وتَعَنَّى: نصب. المحكم والمحيط الأعظم (2/247).

[3]) قوله: (أي عمر) سقط في (ن).

[4]) كؤودا: عقبةٌ كَؤودٌ: شاقَّةُ المصعَدِ. وتكادني الشيء وتكاءدني، أي شق علي، تفاعل وتفعل بمعنى. الصحاح (2/529).

[5]) ضاهيت: ساويت. معجم اللغة العربية المعاصرة (2/1141).

حيضـها من داخـل الحوز[1] فتلقى في الصـخرة وذلـك لما كـانت اليهـود عـاملت[2] بـه القمامـة، وهي المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب فجعلوا يكبون على قبره القمامة، وكذلك فلذلك سمي ذلك الموضع القمامة، وانتسخت[3] هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هنالك والذي كتب كتاب الصلح معاوية وشهد فيه هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف[4].

ثم كتب لأهل لد[5] ومن هنالك كتابًا آخر وضرب عليهم الجزية ودخلوا[6] فيما صالح عليه أهل إيلياء وفر الأرطبون إلى بلاد مصر فكان بها حتى فتحى[7] عمرو ففر إلى البحر فكان يلي بعض السرايا الذين يقاتلون المسلمين فظفر به رجل من قيس[8] فقطع يد القيسي فقتله القيسي وقال في ذلك:

فإن يكن أرطبون الروم أفسدها	**فإن فيها بحمد الله منتفعًا**
وإن يكن أرطبون الروم قطعها	**فقد تركت بها أوصاله قطعًا**

وقد خالف أهل السير سيفًا وذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان في سنة ست عشرة وهو الراجح وعليه الأئمة).

[278/ب] وعن[9] كتب فتوح الشام: ثم خرج عمر من الشام مقبلاً إلى المدينة، فلما دنا منها استقبله الناس يهنئونه بالفتح والنصر، فجاء حتى دخل مسجد رسول الله ﷺفصلى ركعتين عند المنبر، ثم صعد المنبر، واجتمع[10] الناس إليه، فقام، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺوقال: يا[11] أيها الناس، إن

---

[1]() الحوز: مَرافِقُ الدَّار وَمنَافِعُها. لِسَان الْعَرَب (5/342).

[2]() في (ن): "قابلت".

[3]() قوله: (وانتسخت) سقط من (ن).

[4]() البداية والنهاية (7/ 65).

[5]() لُدٌّ: جمع ألدّ، والألدّ الشديد الخصومة: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين ببابها يدرك عيسى ابن مريم الدجال فيقتله. وقال في المعالم الأثيرة أنها الآن مدينة في فلسطين. معجم البلدان (5/15)، المعالم الأثيرة (1/ 235).

[6]() في (ن): "ودخل".

[7]() في (ن): "فتحها". وهو الصواب.

[8]() تقدم التعريف بها ص (73).

[9]() في (ن): "وفي".

[10]() في (ن): "وجمع".

[11]() (يا) سقط في (ن).

الله قد اصطنع عند هذه الأمة أن يحمدوه ويشكروه، وقد أعز دعوتها وجمع كلمتها، وأظهر فلجها[1]، ونصرها على الأعداء، وشرفها ومكن لها في الأرض، وأورثها بلاد المشركين وديارهم وأموالهم، فأحدثوا لله ﷻشكرًا يزدكم، واحمدوه على نعمه عليكم يدمها لكم، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين. ثم نزل.

وأقام أبو عبيدة بالشام بعد خروج عمر.

وفي تاريخ ابن كثير في سنة سبع عشرة أن جمعًا من الروم عزموا على حصار أبي عبيدة بحمص واستجاشوا[2] بأهل الجزيرة وخلق ممن هناك، فبعث أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه من قنسرين وكتب إلى عمر بذلك فاستشار[3] أبو عبيدة المسلمين في مناجزة الروم أو التحصن في البلد حتى يجيء أمر عمر فكلهم أشار بالتحصن إلا خالد فإنه أشار بالمناجزة، فعصاه وأطاعهم، وتحصن بحمص، وأحاط به الروم بحمص وكل بلد من البلدان مشغول أهله بأمرهم ولو تركوا ما هم فيه وأقبلوا إلى حمص لانخرم[4] النظام في الشام كله[5].

وكتب عمر إلى سعد أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو يسيرهم (إلى حمص) [6] من يوم يقدم عليه الكتاب نجدةً لأبي عبيدة فإنه محصور وكتب إليه أن يجهز جيشًا إلى الجزيرة الذين مالؤوا[7] الروم على حصار أبي عبيدة ويكون أميرهم عياض بن تميم[8] فخرج الجيشان من الكوفة [279/أ] مع القعقاع في أربعة آلاف نحو حمص نجدةً لأبي عبيدة وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة فبلغ الجابية وقال ابن إسحاق إنما بلغ سرغ[9] وهو أشبه[10].

---

[1]() فلجها: الفُلجُ: الظَّفر بمن تُخاصِمهُ. العين (6/128).

[2]() استجاشوا: استجاش فلانا: طلب منه جيشا. تكملة المعاجم العربية (2/360).

[3]() في (ن): "واستشار".

[4]() انْخَرَمَ: أَيِ انْشَقَّ. النهاية في غريب الحديث والأثر (2/27).

[5]() البداية والنهاية (7/ 87).

[6]() ما بين القوسين زيادة في (ن).

[7]() مالؤوا: تحازب الْقَوْم إِذا مالأ بَعضهم بَعْضًا. جمهرة اللغة (1/276).

[8]() عياض بن تميم: عِيَاضُ بْنُ حِمَارِ بْنِ أَبِي حِمَارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ وَمَعَهُ نَجِيبَةٌ يُهْدِيهَا لَهُ، فَقَالَ: «أَأَسْلَمْتَ»؟ قَالَ: لَا. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ نَهَانَا أَنْ نَقْبَلَ زَبَدَ الْمُشْرِكِينَ». قَالَ: فَأَسْلَمَ، فَقَبِلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ. فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، الرَّجُلُ مِنْ قَوْمِي أَسْفَلَ مِنِّي يَشْتُمُنِي فَأَنْتَصِرُ مِنْهُ؟ ، فَقَالَ: «الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَكَاذَبَانِ». معجم الصحابة (2/278).

فلما بلغ أهل الجزيرة الذين مع الروم على حمص أن الجيش قد طرق بلادهم انشمروا[1] إلى بلادهم وفارقوا الروم وسمعت الروم بقدوم أمير المؤمنين عمر لنصره بالله عليهم فضعف جأشهم[2] جدًا، وأشار خالد على أبي عبيدة أن يبرز إليهم فيقاتلهم ففعل ذلك أبو عبيدة ففتح الله عليه ونصره وهزمت الروم هزيمة فظيعة وذلك قبل ورود عمر عليهم وقبل وصول الأمداد إليهم بثلاث ليال فكتب أبو عبيدة إلى عمر وهو بالجابية يخبره بالفتح وأن المدد وصل إليهم بعد ثلاث ليال وسأله هل يدخلهم في القسم معهم مما أفاء الله عليهم فجاء الجواب بأن يدخلهم معهم، فأشركهم أبو عبيدة في الغنيمة فإن العدو إنما ضعف وإنما انشمر عند المدد من خوفهم منهم فأشركهم أبو عبيدة في الغنيمة وقال عمر جزا الله أهل الكوفة خيرًا يجمعون حوزتهم[3] ويمدون أهل الأمصار..

وحكي عن ابن جرير أن عمر لما وصل إلى سرغ أو الجابية والأول أشهر تلقاه أمراء الأجناد أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وخالد بن الوليد إلى سرغ فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام فاستشار عمر المهاجرين والأنصار فاختلفوا عليه فمن قائل أنت قد جئت لأمر فلا ترجع عنه، ومن قائل لا نرى أن تقدم لوجود أصحاب رسول الله ﷺ على هذا الوباء فيقال: إن عمر أمر الناس بالرجوع من الغد فقال له أبو عبيدة: "أفرار من قدر الله؟". قال: [279/ب] "نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو هبطت واديًا ذا عدوتين إحداهما مخصبة[4] [5]

9() سَرْغُ: هو أوّل الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حاجّ الشام، وهناك لقي عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، أمراء الأجناد، بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة. قال الدباغ: في «بلادنا فلسطين ج 1»، هي المدوّرة اليوم، مركز الحدود بين الأردن والسعودية، من طريق حارة عمار. . وهناك لقي عمر من أخبره بطاعون الشام. معجم البلدان (3/211)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/139).

10() البداية والنهاية (10/ 36).

1() انشمروا: انْشَمَرَ لِلْأَمْرِ وَتَشَمَّرَ أَيْ تَهَيَّأَ. مختار الصحاح (1/168). وهو أيضًا من المضي والنفوذ أي مضوا وعادو إلى بلادهم. لسان العرب مادة شمر.

2() الجَأْش: النَّفْس، رجل شَدِيد الجَأْش، أَي شَدِيد النَّفْس. جمهرة اللغة (2/1041).

3() حوزتهم: الحوزة، أي المجمع والناحية. معجم مقاييس اللغة (2/117).

4() في (ن): "مجدبة". ولعل الصواب: "مخصبة".

5() أَرضٌ مُخْصَبَةٌ، أَي: ذاتُ خَصْباءَ. معجم ديوان الأدب (1/283).

والأخرى محدبة[1] [2] فإن رعيت الحصبة[3] رعيتها بقدر الله وإن أنت رعيت الحدبة[4] رعيتها بقدر الله"، ثم قال لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة.

قال ابن إسحاق في روايته وهو في الصحيح وكان عبد الرحمن بن عوف متعنتًا[5] في بعض شأنه فلما قدم قال إن عندي من ذلك علمًا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه»[6]، فحمد الله عمر - يعني لكونه وافق رأيه - ورجع.

وهكذا ذكر سيف والصحيح أن طاعون عمواس[7] قد اختلف في ضبطها فضبطها الحافظ أبو عمر المقدسي[8] بفتح العين والميم وجوز سكون الميم، وفي المراصد رواه الزمخشري[9] بكسر أوله وثانيه وعين تفتح أوله وثانيه؛ لأن الطاعون ابتدأ منها، وفي معجم البكري[10] بفتح أوله

---

[1] () في (ن): "مجدبة".

[2] () كأن المقصود به والله أعلم: أرض بها ريح الحدب تدق الظَّهْر وتشقه. انظر: الفائق في غريب الحديث (3/101).

[3] () في (ن): "الخصبة". وهو الصواب.

[4] () في (ن): "الجدبة". وهو الصواب.

[5] () في (ن): "متعنيا".

[6] () أخرجه البخاري في كتاب الطب - باب ما يذكر في الطاعون (5729)، ومسلم في كتاب الآداب - باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها (2219).

[7] () عِمَوَاسُ: وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ثم فشا في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة، رضي الله عنهم. بقيت حتى سنة 1967 م بيد العرب، وفي سنة 1967 م هدم الأعداء بيوتها وأجلوا سكانها، و لم يبق للقرية أثر ولا عين. معجم البلدان (4/157)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/202).

[8] () أبو عمر المقدسي: مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن قُدامة بْن مِقْدام بْن نصر، الإمام القدوة الزّاهد، أَبُو عُمَر المقدسيّ الجَمّاعيليّ، [المتوفى: 607 هـ] سمع الْكثير وروى وَكَانَ يحفظ الْخرقِيّ ويكتبه من حفظه وَيعرف الفرايض والنحو مَعَ الزّهْد الْعَظِيم وَالْعِبَادَة وَالصِّيَام وَالصَّدَقَة. الوافي بالوفيات (2/83).

[9] () الزمخشري: محمود بن عمر الزمخشري المفسر النحوي، كان في غاية المعرفة بفنون البلاغة وتصرف الكلام وكتابه أساس البلاغة من أحاسن الكتب وكتابه الفائق في غريب الحديث من أنفس الكتب. وأما التفسير فقد أولع الناس به وبحثوا عليه وبينوا دسائسه وأفردوها بالتصنيف ومن رسخت قدمه في السنة وقرأ طرفًا من اختلاف المقالات انتفع بتفسيره و لم يضره ما يخشى من دسائسه. توفي سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة. لسان الميزان (6/4).

[10] () البكري: أَبُو عُبَيْدٍ، عَبْد اللهِ بن عَبْدِ العَزِيْزِ بنِ مُحَمَّدٍ البَكْرِيّ، نَزِيْلُ قُرْطُبَة. حَدَّثَ عَنْ: أَبِي مَرْوَانَ بن حَيَّانَ، وَأَبِي بَكْرٍ المصْحَفِي، وَأَجَازَ لَهُ أَبُو عُمَرَ بنُ عَبدِ البَر، وَكَانَ رَأْسًا فِي اللُّغَة وَأَيَّامِ النَّاس. صَنَّف فِي أَعْلاَم النُّبُوَّة، وَعَمِلَ شَرحًا "لأَمَالِي" القَالِي، وَكِتَاب "اشتقَاق الأَسْمَاء" وَكِتَاب "مُعْجَم ما استعجم من البلدان والأماكن"، وكتاب "النبات". وَكَانَ مِنْ أَوعيَة الفَضَائِل. سير أعلام النبلاء (14/114).

وثانيه، وعن الأصمعي[1]، سُمي الطاعون بذلك؛ لقولهم عم وآس، كان سنة ثمان عشرة، وهو قول ابن إسحاق وأبي معشر وغير واحد، قال ابن كثير وبنى خطه[2] عليها.

ذكر شيء من أخبار طاعون عمواس:

قال محمد بن إسحاق عن شعبة[3] عن المختار بن عبد الله البجلي[4] عن طارق بن شهاب[5] قال أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة[6] يتحدث عنده فلما جلسنا قال لا تخفوا[7] فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم ولا عليكم أن تنزهوا[8] عن هذه القرية لتخرجوا[9] في فتح[10] بلادكم ونزهها[11] حتى يرفع هذا البلاء فإني سأخبركم بما يكره مما يتقى.

من ذلك[12] أن يظن من خرج أنه لو أقام مات ويظن من أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه

[280/أ] فإذا لم يظن ذلك هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج وأن يتنزه عنه إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس فلما استثقل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة يستخرجه منه أن

---

[1] () الأصمعي: هو عبد الملك بن قُرَيب بن علي بن أَصْمَع بن أَعْيَا بن سعد بن عبْد بن غَنْم بن قُتَيبة بن مَعْن بن سعد مَناة الباهليّ. كان الأصمعي المذكور صاحب لغة ونحو، وإمامًا في الأخبار والنوادر والملح والغرائب. وفيات الأعيان (3/170).

[2] () لم أقف على معناها فيما وقفت عليه.

[3] () شعبة: بن الحجاج بن ورد مولى بنى عتيك كنيته أبو بسطام كان مولده سنة ثلاث وثمانين وكان ممن عنى بعلم السنن وسعى في طلبها وواظب على درسها وداوم على الرحلة فيها وعرج على الأقوياء من الثقات وجرح الضعفاء في الروايات وكان يسكن البصرة زمانا وواسط حينا مات سنة ستين ومائة وكان قد رأى الحسن وعليه عمامة سوداء وهو صغير رؤية لا تدخله في جملة أصحابه. مشاهير علماء الأمصار (1/280).

[280/ب] [4] () مخارق بْن عَبْد اللَّهِ البجلي: هُوَ جد المغيرة بْن زياد بْن المخارق الموصلي شهد مع جرير بْن عَبْد اللَّهِ البجلي فتح ذي الخلصة قَالَ أَبُو زكريا: وَحدثنا المغيرة بْن الخضر بْن زياد، عن أشياخه: أنهم قدموا من الكوفة إِلَى الموصل مع من قدم من بجيلة. أسد الغابة (5/115).

[5] () طارق بن شهاب: بن عبد شمس بن سلمة الأحمسي البجلي الكوفي من صغار الصحابة، رأى النبي صلى الله عليه وسلم وغزا في خلافة أبي بكر الصديق، روى عن بعض الصحابة، كان معدودًا من العلماء مع كثرة جهاده، مات سنة 83 هـ، وقيل: 82 هـ. انظر أسد الغابة (2/452).

[6] () الكُوفَةُ: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسمّيها قوم خدّ العذراء، قال أبو بكر محمد ابن القاسم: سميت الكوفة لاستدارتها أخذا من قول العرب: رأيت كُوفانا وكَوفانا، بضم الكاف وفتحها، للرميلة المستديرة، وقيل: سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم: قد تكوّف الرمل. معجم البلدان (4/490).

[7] () تخفوا: الحاء والفاء ثلاثة أصول: الأول ضرب من الصوت، والثاني أن يطيف الشيء بالشيء، والثالث شدة في العيش. معجم مقاييس اللغة (2/14)

[8] () تنزهوا: تَنَزَّهَ عن الشيء، إذا تباعد عنه. إصلاح المنطق (1/224).

[9] () في (ن): "فتخرجوا".

[10] () في (ن): "فسيح".

[11] () نزهها: النُزْهَةُ معروفةٌ، ومكانٌ نَزِهٌ. وقد نزِهَتِ الأرضُ بالكسر. وخرجنا نتنزَّه في الرياض، وأصله من البعد. الصحاح تاج اللغة (6/2252).

[12] () في (ن): "بذلك"

سلام عليك أما بعد فإنه[1] قد[2] عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك بها فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا أن لا تضعه من يدك حتى تقبل إلي قال فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء فقال: يغفر الله لأمير المؤمنين ثم كتب إليه يا أمير المؤمنين إني قد عرفت حاجتك إلي وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبةً عنهم فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاه فخلني من عزيمتك يا أمير المؤمنين ودعني وجندي فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة؟ قال: لا وكأن قد. قال ثم كتب إليه: "سلام عليك أما بعد، فإنك أنزلت الناس أرضًا عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة[3]"، قال أبو موسى فلما أتاه كتابه دعاني فقال يا أبا موسى إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى فاخرج فارتد للناس منزلاً حتى أتبعك بهم فرجعت إلى منزلي لأرتحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت فرجعت إليه فقلت والله لقد كان في أهلي حدث فقال: لعل صاحبتك قد أصيبت؟ فقلت: نعم، فأمر ببعيره فرفع[4] له فلما وضع رجله في غرزه طعن فقال والله لقد أصبت ثم سار بالناس حتى نزل بالجابية ورفع عن الناس الوباء.

وقال ابن إسحاق عن أبان بن صالح[5] عن شهر بن حوشب[6] عن راية رجل من قومه وكان قد خلف على أمه بعد أبيه وكان قد شهد طاعون عمواس فذكر قصة خطبة أبي عبيدة ثم معاذ وسعد وذهائمهم[7] من سياق وقال فيه فلما مات معاذ استخلف[8] على الناس عمرو بن العاص فقام خطيبًا

---

[1]() قوله: "فإنه" سقط في (ن)

[2]() في (ن): "فقد"

[3]() أصل التَّنْزِيه الْبعد مِمَّا فِيهِ الأدناس والقرب إِلَى مَا فِيهِ الطَّهَارَة والبراءة وَمِنْه قَول عمر "..الْجَابِيَة أَرض نَزِهة"، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: "وَأَرَادَ بالنزهة الْبعد من ذَلِك [يعني الوباء]". ثمَّ كثر اسْتِعْمَال النَّاس النزهة فِي كَلَامهم حَتَّى جعلوها فِي الْبَسَاتِين والخُضَر وَمَعْنَاهُ رَاجع إِلَى ذَلِك الأَصْل. غريب الحديث (3/81).

[4]() في (ن): "فرحل". وهو الصواب.

[5]() أبان بن صالح: بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عُبَيْدٍ. يقولون إن أبا عبيد من سبي خزاعة الذين أغار عليهم النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم بني المصطلق. فوقع إلى أسيد بن أبي العيص بن أمية وصار بعد إلى عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية فأعتقه. وقتل صالح بن عمير بالري. بيتتهم الأزارقة. فقتلوا في عسكرهم زمن الحجاج. وَوُلِدَ أَبَانُ بْنُ صَالِحٍ سَنَةَ سِتِّينَ وَمَاتَ بِعَسْقَلانَ سَنَةَ بِضْعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. الطبقات الكبرى (6/327).

[6]() تقدمت ترجمته ص (116).

[7]() في (ن): "وذهائهم". ولم يظهر لي المراد بذلك.

[8]() في هامش (ن): فلما مات معاذ استخلف عمرو بن العاص فر وفر الناس من الطاعون ورفعه الله منهم فبلغ عمر بن الخطاب ذلك من رأي عمرو بن العاص فوالله ما كرهه وكفى بهذا الفرار من الطاعون والأودية والجزام.

فقال أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتحصنوا منه في الجبال فقال أبو وائل الهذلي[1] والله لقد صحبت رسول الله ﷺ فأنت شر من حماري هذا فقال والله ما أرد عليك ما تقول وأيم الله لا نقيم عليه قال ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ورفعه الله عنهم قال فبلغ عمر بن الخطاب ذلك من رأي عمرو بن العاص فوالله ما كرهه.

ثم إن أبا عبيدة لما أصيب بالطاعون دعا المسلمين فدخلوا عليه فقال لهم إني موصيكم بوصية فإن قبلتموها لا تزالوا بخير ما بقيتم وبعد ما تهلكون أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا، وتصدقوا، وحجوا واعتمروا، وتواصلوا، واصدقوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تلهكم الدنيا، فإن امرأً لو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مثل مصرعي هذا الذي ترون، إن الله قد كتب الموت على بني آدم، فهم ميتون، فأكيسهم أطوعهم لربه، وأعملهم ليوم معاده.

ثم قال لمعاذ بن جبل: يا معاذ، صل بالناس، فصلى معاذ بهم، ومات[2] أبو عبيدة، رحمة الله عليه، فقام معاذ في الناس فقال: يا أيها الناس، توبوا إلى الله[3] توبةً نصوحًا، فإن عبدًا إن يلق الله تائبًا من ذنبه كان حقًّا على الله أن يغفر له ذنوبه، ومن كان عليه دين فليقضه، فإن العبد مرتهن[4] بدينه[5]، من أصبح منكم مصارمًا[6] مسلمًا فليلقه[7] فليصالحه، إذا لقيه، وليصافحه، فإنه لا ينبغي لمسلم أن [281/أ]
يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام، والذنب في ذلك عظيم عند الله، وإنكم أيها المسلمون قد فجعتم[8] برجل، والله ما أزعم أني رأيت منكم عبدًا من عباد الله قط أقل غمرًا[9]، ولا أبرأ صدرًا، ولا أبعد من

---

[1]() أبو وائلة الهذلي: قال ابن عساكر: له صحبة، وشهد فتوح الشام، وشهد طاعون عمواس. الإصابة (7/369).

[2]() في الهامش (ن): توفي أبو عبيدة بطاعون عمواس.

[3]() في (ن): "من ذنوبكم".

[4]() مرتهن: ارتهن بالأمرِ: تقيّد به. معجم اللغة العربية المعاصرة (2/952).

[5]() في (ن): "بذنبه".

[6]() مصارم: صارمَ يُصارم، مُصارمةً، فهو مُصارِم، والمفعول مُصارَم. صارم فلانٌ فلانًا: قاطَعَه. والمراد: من كان منكم مقاطعًا مسلمًا. معجم اللغة العربية المعاصرة (2/1293).

[7]() في (ن): "فلقيه".

[8]() فجعتم: الفجيعَةُ: الرزيّةُ. وقد فَجَعَتْهُ المصيبةُ، أي أوجعتْه. وكذلك التَفْجيعُ. ونزلت بفلان فاجعة. وتفجعت له، أي توجعت. الصحاح (3/1256).

[9]() غمرا: الغِمر: الحقد. جمهرة اللغة (2/781).

الغائلة[1]، ولا أنصح للعامة، ولا أشد عليهم شفقةً وتحننًا منه، فترحموا عليه، ثم احضروا الصلاة عليه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، والله لا يلي عليكم مثله أبدًا.

فاجتمع الناس، وأخرج أبو عبيدة، ودخل معه قبره معاذ وعمرو والضحاك[2]، ثم قال معاذ: رحمك الله أبا عبيدة، فوالله لأُثنين عليه بما علمت، والله لا أقولها باطلاً، وأخاف أن يلحقني من الله مقت[3]، كنت والله ما علمت من الذاكرين الله كثيرًا، ومن الذين يمشون على الأرض هونًا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، ومن الذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا، وكنت والله ما علمت من المخبتين[4] المتواضعين، ومن الذين يرحمون اليتيم والمسكين، ويبغضون الجفاة المتكبرين.

ولم يكن أحد (من الناس) [5] أشد جزعًا عليه منه، ولا أكثر (حزنًا) [6].

ثم إنه (قال) [6] اللهم أعط معاذًا وآل[7] معاذ من هذا الطاعون النصيب الأوفر، ثم صلى ورجع إلى منزله، فوجد ابنه عبد الرحمن قد طعن[8]، فلما رآه قال: يا أبت [قال تعالى][9] ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ[10] ﴾[11].

---

[1]() الغائِلَةِ: الشَّرّ. معجم ديوان الأدب (3/365).

[2]() في (ن): "بن قيس".

[3]() مقت: مَقَتَهُ مَقْتًا: أبغضه، فهو مَقيتٌ وممقوتٌ. الصحاح تاج اللغة (1/266).

[4]() المخبتين: الخَبْتُ: المطمئن من الأرض فيه رمل. والإخباتُ. الخشوع. يقال: أَخْبَتَ لِلهِ. وفيه خَبْتَةٌ، أي تواضع. الصحاح تاج اللغة (1/247).

[5]() ما بين القوسين سقط من (ن).

[6]() ما بين القوسين زيادة في (ن).

[7]() ما بين القوسين زيادة من (ن).

[8]() في (ن): "وابن".

[9]() أصابه الطاعون. جمهرة اللغة (2/917).

[10]() لم يكتبها المؤلف فرأيت وضعها، وتمييز كلام الله عن غيره.

[11]() المِرْيةُ الشَّكُّ، وَمِنْهُ الامْتراء والتَّماري فِي القُرآن، يُقَالُ: تَمارى يَتَمارى تَمارِياً، وامْتَرَى امْتِراءً إذا شكَّ. لسان العرب (15/278).

[12]() سورة البقرة، آية 147.

قال: يا بني [قال تعالى][1] ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2]، فلم يلبث(إلا قليلاً) [3] حتى مات، وصلى عليه ودفنه.

فلما رجع إلى منزله طعن، فاشتد به الوجع، واختلف (إليه) [4] أصحابه فقال: اعملوا وأنتم في مهلة وحياة وفي بقية من آجالكم، من قبل أن تمنوا العمل فلا تجدوا إليه سبيلاً، وأنفقوا مما عندكم من قبل أن تهلكوا وتدعوا ذلك ميراثًا لمن بعدكم، واعلموا أنه ليس لكم من أموالكم إلا ما أكلتم [281/ب] وشربتم ولبستم وأنفقتم فأعطيتم[5] فأمضيتم، وما سوى[6] فللوارثين.

ولما حضره الموت قال لجاريته: ويحك، انظري، هل أصبحنا؟ فنظرت، فقالت: لا، ثم تركها ساعة، ثم قال: انظري، فقالت: نعم، فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، ثم قال: مرحبًا بالموت، مرحبًا بزائر جاء على فاقة[7] لا أفلح من ندم، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكنني كنت أحب البقاء لمكابدة[8] الليل الطويل، وطول الساعات في النهار، ولظمأ الهواجر[9]، في الحر الشديد، ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر.

فلما اقترب أمره قال: أجلسوني، فأجلس، ثم قال: بئس ساعة الكذب هذه، حدثني[10] [282/أ] رسول الله ﷺ حديثًا، فكنت أكتمكموه مخافة أن تتكلوا، فأما الآن فإني لا أكتمكموه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنه لا يموت عبد من عباد الله وهو يشهد أن لا إله إلا

---

[1]() لم يكتبها المؤلف فرأيت وضعها، وتمييز كلام الله عن غيره.

[2]() سورة الصافات، آية 102.

[3]() ما بين القوسين سقط في (ن).

[4]() ما بين القوسين زيادة في (ن).

[5]() في (ن): "وأعطيتم".

[6]() في (ن): "وما سوى ذلك".

[7]() فاقة: (الْفَاقَةُ) الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ. مختار الصحاح (1/244).

[8]() المكابدة: كابد الأمورَ: إذا قاساها بشدة. شمس العلوم (9/5750).

[9]() الهواجر: جمع هاجِرَةٌ، أي شدِيدةُ الحرِّ. تهذيب اللغة (15/18).

[10]() في الهامش: حديث عظيم رواه معاذ عن رسول الله ﷺ.

الله وحده لا[1] »[2] [3] يرحمه الله، واستخلف عمرو بن العاص، فصلى عليه، ودخل في قبره، فلما خرج قال: رحمك الله يا معاذ، فقد كنت ما علمناك من نصحاء المسلمين ومن خيارهم، وكنت مؤدبًا للجاهل، شديدًا على الفاجر، رحيمًا بالمؤمنين، وأيم الله لا يستخلف من بعدك مثلك، عمرو بن العاص، وذلك في سنة ثمان عشرة، وكان معاذ كتب إلى عمر ينعي أبا عبيدة: أما بعد، فاحتسب أمرًا كان لله أمينًا، وكان الله[4] في نفسه عظيمًا، وكان علينا وعليك يا أمير المؤمنين عزيزًا، أبا عبيدة بن الجراح، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسبه، وبالله نثق له، كتبت إليك وقد فشا الموت، وهذا الوباء في الناس، ولن يخطئ أحد أجله، من لم يمت فسوف يموت، جعل الله ما عنده خيرًا لنا من الدنيا وإن أبقانا أو أهلكنا فجزاك الله عن جماعة المسلمين وعن خاصتنا وعامتنا رحمته[5] ومغفرته ورضوانه وجنته، والسلام عليك ورحمة الله.

قال: فوالله ما هو إلا أن قرأه عمر بكى بكاءً شديدًا، ونعى أبا عبيدة إلى جلسائه، فما رأيت جماعة المسلمين جزعوا على رجل منهم جزعهم على أبي عبيدة، ثم جاء كتاب عمرو ينعي فيه معاذ بن جبل فجزع عليه عمر جزعًا شديدًا، وبكى عمر والمسلمون، وحزنوا عليه حزنًا عظيمًا.

وقال عمر يرحم الله معاذًا، والله لقد رفع الله بهلاكه من هذه الأمة علمًا جمًا، ولرب مشورة له صالحة قد قبلناها منه، ورأيناها أدت إلى خير وبركة، ورب علم أفادناه، وخير دلنا عليه، جزاه الله جزاء الصالحين.

---

[1]() أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب في التلقين (3116)، وابن ماجة في كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله (3796).

[2]() في (ن): "شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ويؤمن بالرسل وما جاءت به أنه حق ويؤمن بالجنة والنار إلا أدخله الله الجنة وحرمه على النار ثم مات من ساعته".

[3]() في الهامش: وفاة معاذ بن جبل بطاعون عمواس.

[4]() في (ن): "والله".

[5]() في (ن): "رحمة الله".

وفرق عمر عند ذلك كور الشام، فبعث عبد الله بن قرط الثمالي[1] على حمص، وعزل حبيب بن مسلمة[2]، واستعمل على دمشق أبا الدرداء، واستعمل يزيد بن أبي سفيان على الجنود التي كانت بالشام، ثم عزل ابن قرط وولى عبادة بن الصامت[3].

---

[1]() تقدمت ترجمته ص (63).

[2]() حبيب بن مسلمة: بن مالك القرشي الفهري: الأمير أبو عبد الرحمن – وقيل: أبو مسلمة – القرشي، الفهري. له: صحبة، ورواية يسيرة. جاهد في خلافة أبي بكر، وشهد اليرموك أميرا، وسكن دمشق، وكان مقدم ميسرة معاوية نوبة صفين. وكان في غزوة تبوك ابن إحدى عشرة سنة. وولي أرمينية لمعاوية، فمات بها، سنة اثنتين وأربعين. وله نكاية قوية في العدو. سير أعلام النبلاء (3/ 188).

[3]() انظر الاكتفاء (2/ 317).

ذكر فتح[1] قيسارية[2]:

على ما ذكره أصحاب فتوح الشام خلافا لما ذكره سيفي[3] مساقًا زمانًا، ذكروا أن عمر بن الخطاب ﷺكتب إلى يزيد بن أبي سفيان: أما بعد، فقد وليتك أجناد الشام كله، وكتبت إليهم أن [282/ب] يسمعوا لك ويطيعوا، فاخرج، فعسكر بالمسلمين، ثم سر بهم إلى قيسارية، ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك، فإنه لا ينفعني افتتاح ما افتتحتم من أرض الشام مع مقام أهل قيسارية فيها، وهم عدو لكم، إلى جانبكم، وإنه لا يزال قيصر طامعًا في الشام ما بقي فيها واحد من أهل طاعته ممتنعًا، ولو قد افتتحتموها قطع الله رجاءه من جميع الشام، والله فاعل ذلك وصانع به للمسلمين، إن شاء الله. فخرج يزيد، فعسكر بالمسلمين، وجاء كتاب عمر إلى أمراء الأجناد: بأن لا تعصوا[4] له أمرًا، وكتب يزيد إلى أمراء الأجناد: أما بعد، فإني قد ضربت على الناس بعثًا، أريد أن أسير بهم إلى قيسارية، فاخرجوا من كل ثلاثة رجلاً، وعجلوا إشخاصهم[5] إلى إن شاء الله، والسلام.

فلم يمكث حتى توافت عنده عساكر الأجناد كلها، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن كتاب أمير المؤمنين عمر المبارك الفاروق، أتاني يحثني على المسير إلى قيسارية، وأن أدعوهم إلى الإسلام، أو يدخلوا فيما دخل فيه أهل الكور من أهل الشام، فيؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن أبوا نزلت عليهم، فلم أزايلهم[6] حتى أقتل مقاتلتهم، وأسبي ذراريهم، فسيروا رحمكم الله إليه، فإني أرجو أن يجمع الله لكم الغنيمة في الدنيا والأجر في الآخرة. فارحلوا[7]، ووجه إلى حبيب بن مسلمة أن سر في المقدمة، فقد جعلتك عليها، ثم امض حتى تنزل بأهل قيسارية، فإني أسرع شيء في أثرك لحاقًا بك.

---

[1]() قوله: (ذكر) سقط في (ن). ولعله خطئًا إملائي.

[2]() انظر: الاكتفاء (2/318)، تاريخ فتوح الشام (276- 283).

[3]() في (ن): "سيف". وهو الصواب.

[4]() في (ن): "يعصوا".

[5]() إشخاصهم: الشُّخوص: السير من بلد، إلى بلد. العين (4/165).

[6]() أزايلهم: أفارقهم. زايل فلانًا: فارقه. معجم اللغة العربية المعاصرة (2/1071).

[7]() في (ن): "فارتحلوا".

فمضى في جماعة عظيمة من المسلمين، وبها جموع من بطارقة الروم وفرسانهم وأشداءهم، وكل من كره الدخول في دين الإسلام من النصارى، ومن كره الجزية، ومن بقي من أهل تلك المواطن [283/أ] الذين كانوا يقاتلون المسلمين فلما أقبل ودنا من الحصن، خرج إليه منها فرسان ورجال، فنضحوهم بالنشاب[1]، وحملت خيلهم على المسلمين، فانحاز حبيب وخيله، حتى انتهى إلى يزيد، فنزل يزيد وجعل على ميمنته عبادة بن الصامت، وعلى الميسرة الضحاك بن قيس[2]، وردّ حبيبًا على الخيل، ومشى يزيد في الرجال، فحمل عليهم، فاقتتلوا طويلاً قتالاً شديدًا، ثم بعث إلى الضحاك: أن احمل على ميمنتهم، فحمل عليهم، فهزمهم، وقتل منهم مقتلةً عظيمةً، وبعث إلى عبادة بن الصامت، أن أحمل على ميسرتهم، فحمل عليهم، فثبتوا له، فقاتلهم طويلاً، وقتل منهم مقتلةً عظيمةً، ثم تحاجزوا، وانصرف عبادة إلى موقفه، فحرض أصحابه ووعظهم، ثم قال: يا أهل الإسلام، إني كنت أحدث النقباء[3] سنًا، وأبعدهم أجلاً، وقد قضى الله أن أبقاني حتى قاتلت هذا العدو معكم، وإني أسأل الله أن يريني وإياكم أحسن ثواب المجاهدين، والله الذي نفسي بيده ما حملت قط في عصابة من المؤمنين على جماعة من المشركين إلا خلوا لنا العرصة، وأعطانا الله عليهم الظفر غيركم، فما بالكم حملتم على هؤلاء فلم تزيلوهم.

وإن عمر لما بلغه شدة قتال أهل اليرموك لكم قال: سبحان الله، أو قد واقفوهم[4]؟! ما أظن المسلمين إلا قد غلوا، ولو[5] لم يغلوا ما واقفوهم، ولظفروا بغير مئونة، والله إني لخائف عليكم خصلتين: أن تكونوا غللتم[6]، أو لم تناصحوا الله في حملتكم، فشدوا عليهم يرحمكم الله معي إذا شددت، فلا والله لا أرجع إلى موقفي هذا إن شاء الله ولا أزايلهم حتى يهزمهم الله أو أموت دونهم.

ثم حمل عليهم، وحملت معه الميمنة على ميسرة الروم، فصبروا لهم حتى تطاعنوا بالرماح، واضطربوا بالسيوف، واختلفت أعناق الخيل، فلما رأى ذلك عبادة ترجل، ثم نادى عمير بن سعد [283/ب]

---

[1]() فنضحوهم: النضح: الرش. والنُشَّابُ: السهامُ والمعنى. ضربوهم بالنبل. الصحاح (1/224).

[2]() تقدمت ترجمته ص (74).

[3]() النُّقَبَاء: جمع نقيب وَهُوَ مقدم قومه والناظر عَلَيْهِم والنقباء المذكورون فِي أَصْحَاب النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من الْأَنْصَار الَّذين تقدمُوا لأخذ الْبيعَة لنصرة النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قيل سموا بذلك لضمانهم إِسْلَام قَومهمْ ونصرتهم النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم. مشارق الأنوار (2/23).

[4]() واقفوهم: تصدوا لهم. المواقفة: واقفه في القتال والمناظرة مواقفةً ووِقافًا. شمس العلوم (11/7262).

[5]() قوله: (لو) سقط في (ن).

[6]() غل يغل غلا إذا خان. وقال في العين: الغُلُولُ: خيانة الفيء. العين (4/348)، جمهرة اللغة (1/159).

الأنصاري[1] [2] في المسلمين: يا أهل الإسلام إن عبادة بن الصامت سيد المسلمين، وصاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزل وترجل، فالكرة الكرة إلى رحمة الله والجنة، واتقوا عواقب الفرار، فإنها تقود إلى النار.

وأقبل المسلمون إلى عبادة[3] وهو يجالدهم، وقد كانوا أحاطوا به، فحمل عليهم، فقصف بعضهم على بعض، فأزالوهم عن موقفهم، ثم شدوا عليهم، وحمل حبيب على من يليه، ثم حمل يزيد بن أبي سفيان بجماعة المسلمين عليهم، فانهزموا انهزامًا شديدًا، ووضع المسلمون سلاحهم وسيوفهم حيث أحبوا منهم، وأتبعوهم يقتلونهم كيف شاءوا، حتى حجزوهم[4] في حصنهم، وقد قتلوا من رؤسائهم وبطارقتهم وفرسانهم مقتلة عظيمة، ثم أقاموا عليهم فحصروهم وقطعوا عنهم المادة[5]، وضيقوا عليهم، وحاصروهم أشد الحصار، فلما طال عليهم البلاء تلاوموا، وقال بعضهم لبعض: اخرجوا بنا إليهم نقاتلهم حتى نظفر بهم أو نموت كرامًا، فاستعدوا في مدينتهم، وخرجوا على تعبئتهم، والمسلمون غارون لا يشعرون أنهم يخرجون إليهم، وقد كانوا أذلوهم وضيقوا عليهم حتى جهدوا، وظنوا أنهم أوهن أمرًا، وأضعف من أن يخرجوا، فما راع المسلمين إلا وأهل قيسارية يضاربونهم بالسيوف بأجمعهم إلى جانب[6] عسكرهم، فجال المسلمون جولة منكرة.

ثم خرج يزيد مسرعًا يمشي إليهم[7]، حتى إذا دنا منهم جالدهم طويلاً، وتتامت[8] [9] إليه خيل [284/أ] المسلمين ورجالتهم، وخرج المسلمون على راياتهم وصفوفهم، فلما كثروا عنده أمر الخيل فحملت عليهم، ونهض بالرجال في وجوههم، ثم حمل هو عليهم فانهزموا انهزامًا قبيحًا شديدًا، وقتلهم

---

[1]() قوله: (الأنصاري) سقط في (ن).

[2]() عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيُّ: يقال له: نسيج وحده، استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على حمص، وكان أبوه سعد شهد بدرا، وهو سعد القارئ، الذي جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. معرفة الصحابة لأبي نعيم (4/2086).

[3]() في (ن): "قتادة".

[4]() في (ن): "أحجزوهم".

[5]() من المدد، يقال: أمد الْأَمِير الْجَيْش بمدد. جمهرة اللغة (1/114).

[6]() في (ن): "جنب".

[7]() في (ن): "بهم".

[8]() في (ن): "وساقت".

[9]() تتامت: تَتَام الْقَوْم جاؤوا كلهم وتموا. المعجم الوسيط (1/89).

المسلمون قتلاً ذريعًا، وركب بعضهم بعضًا، فبعض دخل[1] المدينة، وبعض ذهبوا على وجوههم فلم يدخلوها[2]، وقتل الله منهم في المعركة نحوًا من خمسة آلاف، فلما رأى يزيد ما أنزل الله بهم من الخزي والقتل، وما صيرهم إليهم من الذل، قال لمعاوية: أقم عليها حتى يفتحها الله، وانصرف يزيد عنها[3].

فلم يلبث معاوية عليها[4] إلا يسيرًا حتى فتحها الله على يديه، وذلك سنة تسع عشرة، وكانت هي وجلولاء[5] في سنة واحدة، وفرح المسلمون بذلك فرحًا شديدًا، لأنه لم يبق بالشام في[6] أقصاها وأدناها عدو حينئذ، وصار الشام كله في أيدي المسلمين.

وكتب يزيد بالفتح إلى عمر وقص عليه القصة، فلم يلبث يزيد في دمشق إلا سنةً حتى هلك[7] رضي الله عنه، وذلك[8] في سنة تسع عشرة، والشام كله مستقيم أمره.

وكان يزيد شريفًا فاضلاً حليمًا عاقلاً رقيقًا، حسن السيرة، محببًا في المسلمين، ولما ثقل وأشرف على الموت استخلف أخاه معاوية على الشام، وكتب إلى عمر: أما بعد، فإني كتبت[9] إليك كتابي هذا وإني أظن أني في أول يوم من الآخرة، وآخر يوم من الدنيا، فجزاك الله عنا، وعن جميع المسلمين خيرًا، وجعل جناته لنا ولك مآبًا ومصيرًا، فابعث إلى عملك بالشام من أحببت، فأما أنا[10] فقد استخلفت عليهم معاوية بن أبي سفيان.

فلما أتى كتابه عمر مع خبر موته، جزع جزعًا شديدًا، وكتب إلى معاوية بولايته على الشام، ويقال: كان أبوه أبو سفيان عند عمر لما جاء البريد، فقال له عمر: أحسن الله عزاءك في يزيد، فقال

[284/ب]

---

(1) في (ن): "أهل".

(2) في (ن): "يدخلوا".

(3) قوله: (عنها) سقط في (ن).

(4) قوله: (عليها) سقط في (ن).

(5) جَلُولاء: قال في معجم البلدان: "طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا ويجري بين منازل أهل بعقوبا ويحمل السفن إلى باجسرا، وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة 16، فاستباحهم المسلمون، فسمّيت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون". معجم البلدان (2/156).

(6) في (ن): "من".

(7) في هامش النسخة (ن): (وفاة يزيد بن أبي سفيان سنة تسعة عشرة).

(8) قوله: (وذلك) سقط في (ن).

(9) في (ن): "أبتعث".

(10) في (ن): "فإني".

له أبو سفيان: من وليت مكانه يا أمير المؤمنين؟ قال: أخاه معاوية، قال: وصلتك رحم يا أمير المؤمنين. فأقام معاوية على الشام أربع سنين، بقية خلافة عمر، ثم[1] أقره عليها عثمان اثنتي عشرة سنة، مدة خلافته، ثم كان منه بعد وفاة عثمان رضي الله عنه، ما هو معلوم.

ذكر[2] فتح مصر[3]:

من عند ابن عبد الحكم عمن سمى من شيوخه قال لما قدم عمر، الجابية خلا به عمرو بن العاص، فاستأذنه[4] في المسير إلى مصر، وكان عمرو قد دخلها في الجاهلية وله في دخولها قصة غريبة، وذلك أنه كان[5] قدم بيت المقدس لتجارة في نفر من قريش، وكانت رعية إبلهم نوبا[6] بينهم، فبينا عمرو [285/أ] يرعاها مر به شماس[7] من الروم، من أهل الإسكندرية[8]، قدم للصلاة في بيت المقدس وللسياحة[9] في جبالها، فاستسقى عمرًا وقد أصابه عطش شديد في يوم شديد الحر، فسقاه ونام الشماس مكانه، وكانت إلى جنبه حفرة، فخرجت منها حية عظيمة، فبصر بها عمرو، فنزع لها بسهم فقتلها، فلما استيقظ الشماس ونظر إلى الحية سأل عمرًا عنها، فأخبره أنه رماها فقتلها، فأقبل الشماس فقبل رأسه، وقال: قد أحياني الله بك مرتين، مرة من شدة العطش، ومرة من هذه الحية، فما أقدمك هذه البلاد؟ قال: قدمت مع أصحاب لي نطلب الفضل في تجارتنا، فقال له الشماس: وكم تراك ترجو أن تصيب في تجارتك؟ قال: رجائي أن أصيب ما اشترى به بعيرًا، فإني لا أملك إلا بعيرين، فأملي أن أصيب بعيرًا ثالثًا، فقال له الشماس: كم الدية فيكم؟ قال: مائة من الإبل، قال الشماس لسنا أصحاب إبل، إنما نحن أصحاب دنانير.

---

[1]() في (ن): "و".

[2]() قوله: "ذكر" سقط في (ن)

[3]() انظر: الاكتفاء للكلاعي (2/322)، تاريخ الطبري (4/ 104- 112)، البداية والنهاية (7/ 107- 110)، الكامل (2/ 405- 408).

[4]() في (ن): "واستأذنه".

[5]() قوله: "كان" سقط في (ن).

[6]() نوبا: يعني بالتناوب. وَجمعه النَّوْبة، نُوَب. تهذيب اللغة (15/352).

[7]() شماس: من يقوم بِالْخدمَةِ الكنسية ومرتبته دون القسيس. المعجم الوسيط (1/494)

[8]() الإسكَنْدَرِيَّة: مدينة مصرية عريقة تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وهي ثاني أكبر مدينة مصرية من الناحية الاستراتيجية، بناها الإسكندر بن فيلفوس الرومي. معجم البلدان (1/182). وهي اليوم مدينة مشهورة بمصر.

[9]() في (ن): "السياحة".

قال: تكون ألف دينار، فقال له الشماس: إني رجل غريب في هذه البلاد، وأنا أريد الرجوع إلى بلادي، فهل لك أن تتبعني إلى بلادي، ولك عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين لأن[1] الله عز وجل أحياني بك مرتين؟

فقال له عمرو: وأين بلادك؟ قال: مصر، في مدينة يقال لها: الإسكندرية، فقال له عمرو[2]: لا أعرفها، و لم أدخلها قط، فقال له الشماس: لو دخلتها لعلمت أنك لم تدخل قط مثلها، فقال عمرو: تفي لي بما تقول؟ فقال الشماس: نعم، لك عليّ العهد والميثاق أن أفي لك، وأن أردك إلى أصحابك، فقال عمرو: كم يكون مكثي في ذلك؟ قال: شهرًا تنطلق معي ذاهبًا عشرًا، وتقيم[3] عندنا عشرًا وترجع في عشر، ولك عليّ أن أحفظك ذاهبًا، وأن أبعث معك من يحفظك راجعًا، فقال له عمرو: أنظرني حتى أشاور أصحابي.

فانطلق إلى أصحابه[4]، فأخبرهم الخبر وقال: أقيموا عليّ حتى أرجع إليكم ولكم عليّ العهد أن أعطيكم شطر ذلك، على أن يصحبني رجل منكم آنس به، فقالوا: نعم[5]، وبعثوا معه رجلاً منهم.

فانطلقا مع الشماس إلى مصر، حتى انتهى إلى الإسكندرية، فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الأموال ما أعجبه، ونظر إلى الإسكندرية وعمارتها وجودة بنائها، وكثرة أهلها، وما بها من الأموال، فازداد عجبًا.

ووافق[6] ذلك فيها عيدًا[7] عظيمًا، يجتمع فيه ملوكهم وأشرافهم، ولهم أكرة[8] من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم ويتلقونها بأكمامهم، وفيما اختبروا منها على ما وضعها من مضى منهم أنها من وقعت في كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم. وأكرم عمرًا الشماس الإكرام كله، وكساه ثوب ديباج ألبسه[9] إياه، وجلس معه في ذلك المجلس مع الناس حيث يترامون بالأكرة وهم يتلقونها [285/ب]

[1]) في (ن): "فإن".

[2]) قوله: "له عمر" سقط في (ن).

[3]) في (ن): "وتقم".

[4]) قوله: "أصحابه" سقط في (ن).

[5]) قوله: "فقالوا نعم" مكررة في (ن).

[6]) في (ن): "لقي".

[7]) في (ن): "عيدًا فيها".

[8]) الأُكْرةُ: حفرة تحفر إلى جنب الغدير والحوض ليصفى فيها الماء والجميع: الأُكَر. العين (5/404).

[9]) في (ن): "وألبسه".

بأكمامهم، فرمى بها رجل منهم، فأقبلت تهوي حتى وقعت في كم عمرو، فتعجبوا من ذلك، وقالوا: ما كذبَتنا هذه الأكرة قط إلا هذه المرة، أترى هذا الأعرابي يملكنا؟ هذا ما لا يكون أبدًا.

وإن ذلك الشماس مشى في أهل الإسكندرية، وأعلمهم بأن عمرًا أحياه مرتين، وأنه ضمن له ألفي دينار، وسألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم، ففعلوا ودفعوها إلى عمرو، فانطلق هو وصاحبه، وبعث معهما الشماس دليلاً ورسولاً، وزودهما وأكرمهما، حتى رجعا إلى أصحابهما، فدفع إليهم عمرو فيما بينهم ألف دينار، وأمسك لنفسه ألفًا.

قال: فكان أول مال اعتقدته وتأثلته[1].

فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها، ورأى[2] فيها ما علم به أنها أفضل البلاد وأكثره مالاً.

فلما خلا عمرو بأمير المؤمنين مقدمه الجابية لقسمة تركات المسلمين بعد عمواس قال: يا أمير المؤمنين ائذن لي فأسير إلى أرض[3] مصر، فإنك إن فتحتها كانت قوةً للمسلمين وعونًا لهم، وهي أكثر الأرضين أموالاً، وأعجزه عن القتال، فتخوف عمر وكره ذلك، فلم يزل عمرو يعظم أمرها في نفسه ويخبره بحالها، ويهون عليه فتحها، حتى ركن لذلك عمر، فعقد له على أربعة آلاف رجل، كلهم من عك[4]، وقال: سيروا وأنا مستخير الله في مسيرك، وسيأتيك كتابي سريعًا، فإن لحقك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئًا من أرضها فانصرف، وإن دخلتها قبل أن يأتيك كتابي ثم جاءك فامض لوجهتك، واستعن بالله واستنصره.

فمضى عمرو من جوف الليل، و لم يشعر به أحد من الناس، واستخار عمر ربه، فكأنه تخوف على المسلمين في وجههم[5] ذلك، فكتب إلى عمرو: أن انصرف بمن معك من المسلمين إن أدركك [286/أ] كتابي قبل أن تدخل مصر، فأدرك الكتاب عمرًا وهو برفح[6]، فتخوف إن هو أخذه فقرأه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر، فلم يأخذ الكتاب من الرسول، وسار حتى مر بقرية صغيرة فيما بين

1() تأثلته: يُقَال تأثّل فلَان مَالا: اتّخذه. المخصص لابن سيده (3/449).

2() في (ن): "وأري".

3() قوله: "أرض" سقط في (ن).

4() عَكٌّ: قبيلة يضاف إليها مخلاف باليمن ومقابله مرساها دهلك، قال أبو القاسم الزجاجي: سميت بعكّ حين نزولها، واشتقاقها في اللغة جائز أن يكون من العكّ وهو شدّة الحرّ. معجم البلدان (4/142).

5() في (ن): "توجههم".

رفح والعريش[1]، فسأل عنها، فقيل: إنها من مصر، فدعا بالكتاب فقرأه، فإذا فيه: أن انصرف بمن معك من المسلمين، فقال لمن حوله: ألستم تعلمون أن هذه من مصر؟ قالوا: بلى، قال: فإن أمير المؤمنين عهد إليّ وأمرني إن لحقنى كتابه و لم أدخل مصر أن أرجع، و لم يلحقني حتى دخلت أرض[2] مصر، فسيروا على بركة الله.

ويقال: بل كان عمرو بفلسطين، فتقدم في أصحابه إلى مصر بغير إذن، فكتب إليه عمر ينكر عليه ذلك، فجاءه كتابه وهو دون العريش، عريش مصر، فلم يقرأ الكتاب حتى بلغ العريش فقرأه، فإذا فيه: من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، أما بعد، فإنك سرت إلى مصر بمن معك، وبها جموع الروم، وإنما معك نفر يسير، ولعمري لو كانوا ثكل[3] أمك ما سرت بهم، فإن لم تكن بلغت مصر فارجع.

فقال عمرو: الحمد لله، أية أرض هذه؟ قالوا: من مصر، فتقدم كما هو.

ويقال: بل كان عمرو في جنده[4] على قيسارية مع كل من كان بها من أجناد المسلمين، وعمر بن الخطاب إذ ذاك بالجابية، فكتب سرًا واستأذن إلى مصر، وأمر أصحابه فتنحوا كالقوم الذين يريدون أن يتجولوا من منزل إلى منزل قريب، ثم سار بهم ليلاً، فلما فقده أمراء الأجناد استنكروا الذي فعل، ورأوا أنه قد غرر[5]، فرفعوا ذلك إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه: «أما بعد، فإنك قد غررت بمن معك، فإن أدركك كتابي و لم تدخل مصر فارجع، وإن أدركك كتابي وقد دخلت فامض، واعلم أني ممدك».

[6] () رَفَحٌ: منزل في طريق مصر بعد الداروم بينه وبين عسقلان يومان للقاصد مصر، وهي الآن البلد العربي الفلسطيني، آخر حدود فلسطين في الجنوب، وهي اليوم من قطاع غزة، بينها وبين غزة ثلاثون كيلا. معجم البلدان (3/54)، المعالم الأثيرة (1/128).

[1] () العَرِيْش: هي مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل. وهي قرية من حدود فلسطين، وجلّ سكانها من قبائل غزة وخان يونس ورفح، ورابطتهم بأهل جنوب فلسطين أقوى من رابطتهم بأهل مصر، بل هم في طباعهم ولهجة كلامهم فلسطينيون. معجم البلدان (4/113)، المعالم الأثيرة (1/190).

[2] () قوله: "أرض" سقط في (ن).

[3] () ثكل: الثُكْلُ: فِقدانُ المرأة ولدَها. الصحاح تاج اللغة (4/1647).

[4] () في (ن): "من عنده".

[5] () غرر: الغَارُّ: الغَافِل، والذي يَغُرُّ غَيرَه. تهذيب اللغة (8/16).

[286/ب] ويقال: إن عمر كتب إلى عمرو بعدما فتح الشام: أن اندب الناس إلى المسير معك إلى مصر، فمن خف معك فسر به. وبعث به مع شريك بن عبدة[1]، فندبهم عمرو، فأسرعوا إلى الخروج معه، ثم إن عثمان بن عفان دخل على عمر، فذكر له ما كتب به إلى عمرو، فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، إن عمرًا له جرأة، وفيه إقدام وحب للإمارة، فأخشى أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة، فيعرض المسلمين للهلكة[2]، رجاء فرصة لا يدرى أتكون أم لا. فندم عمر على كتابه إشفاقًا مما قال عثمان، فكتب إلى عمرو يأمره بنحو ما تقدم، فلما بلغ المقوقس ذلك توجه نحو الفسطاط[3] يجهز الجيوش على عمرو، وأقبل عمرو حتى إذا كان بجبال الحلال[4] نفرت معه راشدة[5] وقبائل من لخم[6]، وأدركه النحر وهو بالعريش، فضحى يومئذ عن أصحابه بكبش.

وكان رجل ممن خرج معه قد أصيب بجمله، فأتاه يستحمله، فقال له[7] عمرو: تحمل مع أصحابك حتى نبلغ أوائل العامر، فلما بلغوا العريش جاءه، فأمر له بجملين، ثم قال: لن تزالوا بخير ما رحمتكم أئمتكم، فإذا لم يرحموكم هلكتم وهلكوا.

فتقدم عمرو، فكان أول موضع قوتل فيه الفرما[8]، قاتلته الروم قتالاً شديدًا، نحوًا من شهر، ثم فتح الله على يديه.

---

[1] () شريك بن عبدة: بن مغيث بن عجلان البلوي. من ولد يحيى ابن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، حليف للأنصار. قيل: إنه شهد مع أبيه أحدًا، وهو أخو البراء بن مالك لأمه، وهو الذي قذفه هلال بن أمية بامرأته. قيل: إنه أول من لاعن في الإسلام. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (2/705).

[2] () في (ن): "الهلاك".

[3] () الفُسْطَاطُ: اسم المدينة التي بناها عمرو بن العاص رضي الله عنه، وتقع الفسطاط في إقليم مصر على ساحل النيل في طرفه الشمالي الشرقي، قبل القاهرة بحوالي ميلين وفي تسميتها قصة. انظر: معجم البلدان (4/261).

[4] () الحلال: جبل في طريق مصر من الشام دون العريش إلى الشام، وكان من منازل بني راشدة، فلما قصد عمرو بن العاص فتح مصر نفرت منه بنو راشدة من جبل الحلال. معجم البلدان (2/280).

[5] () راشدة بن مالك: بطن من لخم، من القحطانية، وهو خالفة بن أُدّ بن نُمارَة. كانوا ينزلون بالبَقَّارة، الوَرَّادة، والعريش. ومن منازلهم أيضا: الحلال، وهو جبل في طريق مصر، من الشام، دون العريش، إلى الشام. والى راشدة هؤلاء ينسب جامع راشدة بظاهر فسطاط مصر. معجم قبائل العرب (2/413).

[6] () تقدم التعريف بها ص (99).

[7] () قوله: "له" سقط في (ن).

[8] () الفَرَمَا: مدينة على الساحل من ناحية مصر، ينسب إليها أبو علي الحسين بن محمد بن هارون ابن يحيى بن يزيد الفرمي، وأما الفرما فحصن على ضفّة البحر لطيف لكنه فاسد الهواء وخمه لأنه من كل جهة حوله سباخ تتوحّل فلا تكاد تنضب صيفا ولا شتاء، وليس بها زرع ولا ماء يشرب إلا ماء المطر فإنه يخزن في الجباب ويخزنون أيضا ماء النيل. معجم البلدان (4/255).

وكان بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له: «أبو ميامين»، فلما بلغه قدوم عمرو كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا تكون[1] للروم دولة، وأن ملكهم قد انقطع، ويأمرهم بتلقي عمرو، فيقال: إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ عونًا لعمرو. لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى نزل القواصر[2]، ثم تقدم لا يدافع[3] إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبيس[4]، فقاتلوه بها نحوًا من شهر حتى فتح الله عليه، ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف، حتى أتى أم دنين[5] فقاتلوه بها قتالاً شديدًا، وأبطأ عليه الفتح، [287/أ] فكتب إلى عمر يستمده، فأمده بأربعة آلاف.

وجاء رجل إلى عمرو فقال: اندب معي خيلاً[6] حتى آتي الروم من ورائهم عند القتال، فأخرج معه خمسمائة فارس، فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بني وائل قبل الصبح. ثم صلوا الصبح، وركبوا، وغدا عمرو على القتال، فقاتلوهم من وجوههم، وحملت الخيل التي كان وجه من ورائهم واقتحمت عليهم فانهزموا. فسار عمرو حتى نزل على الحصن، فحاصرهم حتى سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ويفتحوا له الحصن، ففعل ذلك، وفرض عليهم لكل رجل من أصحابه دينارًا وجبةً وبرنسًا وعمامةً وخفين.

فجاء النفر من القبط يستأذنونه إلى قراهم وأهليهم، وقد كان نفر منهم تحدثوا قبل ذلك ورجل من لخم[7] يسمعهم، فقال بعضهم لبعض: ألا تعجبوا من هؤلاء القوم، يعنون المسلمين، يقدمون على جموع الروم، وإنما هم في قلة من الناس. فأجابهم رجل منهم: إن هؤلاء القوم[8] لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه، حتى يقتلوا خيرهم. فأنكر عليه اللخمي قوله وأراد حمله إلى عمرو، فرغب إليه أصحابه وغيرهم حتى خلصوه، فلما استأذن أولئك النفر عمرًا قال لهم: كيف رأيتم أمرنا؟ قالوا: لم

---

[1] في (ن): "يكون".

[2] القَوَاصِرُ: كأنه جمع قوصرة التمر: موضع بين الفرما والفسطاط نزله عمرو بن العاص في طريقه إلى فتح مصر. معجم البلدان (4/411).

[3] في (ن): "يدفع".

[4] بِلْبيسُ: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام، فتحت في سنة 18 أو 19 على يد عمرو بن العاص. معجم البلدان (1/479).

[5] أُمُّ دُنَيْن: موضع بمصر ذكره في أخبار الفتوح، قيل: هي قرية كانت بين القاهرة والنيل اختلطت بمنازل ربض القاهرة. معجم البلدان (1/251).

[6] في (ن): "جندًا".

[7] تقدم التعريف بها ص (99).

[8] قوله: "القوم" سقط في (ن).

نر إلا حسنًا. فقال ذلك الرجل لعمرو مثل مقالته تلك. فغضب عمرو وأمر به، فطلب إليه أصحابه وأخبروه أنه لا يدري ما يقول، حتى خلصوه، فلما بلغ عمرو أقبل[1] عمر بن الخطاب عجب من قول ذلك القبطي، وأرسل في طلبه، فوجده قد هلك.

قال[2]: فلما طعن عمر بن الخطاب قلت: هو ما قال القبطي، فلما حدثت أن قاتله نصراني[3] قلت: لم يَعْنِ هذا، إنما عني من قتله المسلمون، فلما قتل عثمان، علمت أن ما قال حق.

قال ابن عبد الحكم: وسمعت غير هذا في فتح القصر، وهو أن عمرًا أحصرهم[4] في القصر الذي يقال له: باب أليون[5] حينا[6]، يصبحهم ويمسيهم بالقتال، فلما أبطأ[7] استمد عمر بن الخطاب بأربعة [287/ب] آلاف رجل[8]، على كل ألف رجل يقوم مقام ألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، وسلمة[9] بن مخلد[10]. أو خارجة بن حذافة[11]. وقال: «إن معك اثني عشر ألفًا، ولن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة». وقيل: إنما أمده بالأربعة فقط، وقيل: إن عمر أشفق على عمرو، فأرسل الزبير في أثره باثني عشر ألفًا، فشهد معه الفتح. ولما[12] قدموا نصب عمرو المنجنيق[13] وألح. وكان

---

[1] في (ن): "قتل". وهو الصواب.

[2] قوله: "قال" سقط في (ن).

[3] من المعلوم أن قاتل عمر رضي الله عنه هو أبو لؤلؤة المجوسي، واسمه فيروز، وقد جاءت بعض الأخبار كما في تاريخ الطبري (4/ 190)، وفي الاكتفاء (2/ 603)، تفيد بأنه نصراني، وتحقيق ذلك كما ذكر الطبري في تاريخه (4/ 136)، وابن كثير في البداية والنهاية (7/ 154) أن أبا لؤلؤة كان نهاونديًا، فأسرته الروم أيام فارس، وأسره المسلمون بعد، فنسب إلى حيث سبي. فهو بهذا الاعتبار يكون مجوسي الأصل، رومي الدار.

[4] في (ن): "أحضرهم".

[5] أَلْيُونُ: اسم قرية بمصر كانت بها وقعة في أيام الفتوح، وإليها يضاف باب أليون المذكور في موضعه. معجم البلدان (1/248).

[6] في (ن): "عينا".

[7] في (ن): "فلما أبطأ عليه".

[8] قوله: "رجل" سقط في (ن).

[9] في (ن): "مسلمة". وهو الصواب.

[10] مسلمة بْن مخلد: بْن الصامت بْن نيار الأنصاري الخزرجي الساعدي. وَكَانَ مولده حين قدم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة مهاجرا، وشهد بعد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتح مصر، وَسَكَّنها، ثُمَّ تحول إِلَى المدينة، وَكَانَ من أصحاب معاوية، وشهد معه صفين، واستعمله معاوية عَلَى مصر والمغرب، وهو أول من جمعا لَهُ. أسد الغابة (5/168).

[11] خارجة بن حذافة: بن غانم. قال ابن ماكولا: له صحبة، وشهد فتح مصر، وكان أمير ربع المدد الذين أمد بهم عمر بن الخطاب عمرو بن العاص، وكان على شرطة مصر في خلافة عمر، وفي خلافة معاوية، قتله عمرو بن بكير الخارجي بمصر، وهو يعتقد أنه عمر بن العاص. سير أعلام النبلاء (2/538).

[12] في (ن): "فلما".

[13] المَنْجَنِيقُ والمِنْجَنِيقُ، بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا، والمَنْجَنُوق: القَذَّاف، الَّتِي تُرْمَى بِهَا الْحِجَارَةُ. لسان العرب (10/338).

قد دخل القصر إلى صاحبه فتناظرا في أمرهم، ثم قال: أخرج وأستشير أصحابي، فدس صاحب الحصن إلى الذي على الباب إذا مر به عمرو أن يلقى عليه صخرةً فيقتله[1].

فأشعر بذلك عمرًا رجل من العرب، فرجع عمرو[2] إلى صاحب الحصن، فقال: إني أريد أن آتيك بنفر من أصحابي حتى يسمعوا منك مثل الذي سمعت، فقال في نفسه: قتل جماعة أحب من قتل واحد، فأرسل للذي على الباب أن يكف.

وقال الزبير لما أبطأ الفتح: إني أهب نفسي لله وأرجو أن يفتح الله بذلك، فوضع سلّمين[3] إلى جانب الحصن ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر معه السيف، وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفًا أن ينكسر. ولما اقتحم [288/أ] الزبير ومن تبعه وكبر، وكبر من معه وأجابهم المسلمون من خارج، لم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموه جميعًا، فهربوا، وعمد[4] الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه، واقتحمه المسلمون، فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه سأل عمرًا الصلح ودعاه إليه، على أن يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين على كل رجل منهم، فأجابه إلى ذلك.

وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر.

وروي[5] أنه لما حاصر المسلمون باب أليون وكان به جماعة من الروم وأكابر من القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس شهرًا، ورأوا الجد والحرص على فتحه، خافوا أن يظهروا عليهم، فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط، وخرجوا من باب القصر القبلي ودونهم جماعة يقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة، موضع الصناعة اليوم، وقطعوا الجسر أمام النيل.

وقيل أن الأعيرج تخلف بالحصن، وهو[6] رجل من الروم، والسفن ملصقة بالحصن، فخاف الأعيرج الفتح فركبها هو وأهل القوة والشرف ولحقوا بالمقوقس بالجزيرة. فأرسل المقوقس إلى عمرو:

---

[1]() انظر الاكتفاء (2/ 328).

[2]() قوله: "عمرو" سقط في (ن).

[3]() في (ن): "سلمًا". وهو الصواب.

[4]() في (ن): "فعمد".

[5]() في (ن): "ويروى".

[6]() في (ن): "فبرز".

إنكم قوم قد ولجتم[1] بلادنا وألححتم[2] على قتالنا، وطال مكثكم في أرضنا، وإنما أنتم عصبة يسيرة وقد أظلتكم الروم معهم العدة والسلاح، وأحاط بكم هذا النيل[3]، وإنما أنتم أسارى في أيدينا، فابعثوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم، فلعله أن يأتي الأمر فيما[4] بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه، ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفًا[5] لطلبتكم ورجائكم.

فلما أتت عمرًا الرسل بهذا حبسهم عنده يومين حتى خاف[6] عليهم المقوقس، وإنما أراد عمرو أن يروا حال المسلمين، ثم رد الرسل وقال لهم: إنه ليس بيني وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال: إما دخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا، وإما أبيتم فأعطيتم[7] الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإما جاهدناكم [288/ب] بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم[8] وهو خير الحاكمين.

فلما رجعوا قال لهم المقوقس: كيف رأيتم؟ قالوا: رأينا قومًا الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة إنما جلوسهم[9] على التراب، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد منهم، يغسلون بالماء أطرافهم، ويخشعون في صلاتهم.

فقال المقوقس: والذي يحلف به لو[10] أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ولا يقوى على قتالهم أحد، و[11] لئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض.

---

[1]() ولجتم: وَلَجَ يَلِجُ وُلوجًا ولِجَةً، أي دخل. الصحاح تاج اللغة (1/347).

[2]() في (ن): "ألحتم".

[3]() في (ن): "القتل".

[4]() قوله: "فيما" سقط في (ن).

[5]() قوله: "مخالفًا" سقط في (ن).

[6]() في (ن): "كان".

[7]() في (ن): "فأعطيناكم".

[8]() قوله: " وبينكم" سقط في (ن).

[9]() في (ن): "حديثهم".

[10]() قوله: "لو" سقط في (ن).

[11]() قوله: "و" سقط في (ن).

فرد إليهم رسله: أن ابعثوا لنا[1] رسلاً منكم نعاملهم[2] ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم. فبعث عمرو عشرة: أحدهم عبادة بن الصامت، وأمره أن يكون مكلم القوم وأن لا يجيبهم إلى شيء إلا إلى إحدى هذه الخصال الثلاث.

وكان عبادة أسود طويلاً، طوله عشرة أشبار، فلما دخلوا عليه تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده، فقال: نحّوا عني هذا الأسود، وقدموا غيره يكلمني. فقالوا: إن هذا الأسود أفضلنا رأيًا وعلمًا، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا، وإنما نرجع جميعًا إلى قوله ورأيه، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به، وأمرنا أن لا نخالفه.

قال: كيف رضيتم أن يكون أفضلكم، وإنما ينبغي أن يكون دونكم؟

قالوا: كلا، إنه وإن كان أسود، فإنه من أفضلنا موضعًا، وأفضلنا سابقةً وعقلاً ورأيًا، وليس ينكر السواد فينا.

قال[3] له المقوقس: تقدم يا أسود وكلمني برفق فإني أهاب سوادك، وإن اشتد كلامك عليّ ازددت لذلك هيبة.

فتقدم فقال: قد سمعت مقالتك، وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل كلهم أشد سوادًا مني وأفظع منظرًا، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي، وأنا قد وليت وأدبر شبابي، وإني مع ذلك، بحمد [289/أ]
الله، ما أهاب مائة رجل من عدوي ولو استقبلوني جميعًا، وكذلك أصحابي، وذلك أنا إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه، وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا، ولا طلبًا للاستكثار منها، إلا أن الله عز وجل، قد أحل لنا ذلك، وجعل ما غنمنا منه حلالاً، وما يبالي أحدنا أكان له قنطار من الذهب أم كان لا يملك إلا درهمًا؛ لأن[4] غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته لليله ونهاره، وشملة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله واقتصرنا على هذا الذي يتبلغ به ما كان في الدنيا؛ لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة، وبذلك أمرنا ربنا، وأمرنا به نبينا، وعهد

---

[1] في (ن): "إلينا".

[2] في (ن): "نقابلهم".

[3] في (ن): "فقال".

[4] في (ن): "فإن".

إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته، ويستر عورته، وتكون همته وشغله في رضى ربه وجهاد عدوه.

فلما سمع المقوقس كلامه قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا قط؟ قد هبت منظره، وإن قوله لأهيب من منظره، وإن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها. ثم أقبل على عبادة فقال: أيها الرجل قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك[1]، ولعمري ما بلغتم إلا بما ذكرت، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا بحبهم الدنيا ورغبتهم فيها، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده، قوم يعرفون بالنجدة والشدة، لا يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم، ولن تطيقوهم [289/ب]
لضعفكم (وقلتكم) [2] وقلة ما بأيديكم، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين، ولأميركم مائة دينار، ولخليفتكم ألف دينار، فتقبضوها وتنصرفوا إلى بلادكم، قبل أن يغشاكم ما لا قبل لكم به.

فقال عبادة: يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم، وأنا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا بالذي يخوفنا، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقًّا فذلك والله أرغب ما يكون في قتالكم، وأشد لحرصنا عليكم؛ لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه، وإن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه وجنته، وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك، وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين: إما أن تعظم بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا، وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[3]، وما منا من[4] رجل إلا وهو يدعو ربه صباحًا ومساءً أن يرزقه الله الشهادة وألا يرده إلى بلاده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده، وليس لأحد منا همّ فيما خلفه، وقد استودع كل

[1]) في (ن): "أصحابي".

[2]) ما بين القوسين زيادة في (ن).

[3]) قوله: "من" سقط في (ن).

[4]) سورة البقرة، آية 249.

[290/أ]

واحد[1] منا ربه[2] أهله وولده، وإنما همنا ما أمامنا، وأما قولك: إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا، فنحن في أوسع السعة، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه، فانظر الذي تريد فبينه لنا[3]، فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث، فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك بالباطل، بذلك أمرني الأمير، وبه أمره أمير المؤمنين، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل إلينا: إما أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدين[4] لا يقبل الله غيره، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته، أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه، فإن (فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا، وكان أخانا في الله، فإن) [5] قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة، ورجعنا عن قتالكم، و لم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم، وإن[6] أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدًا ما بقينا وبقيتم، ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم في ذمتنا، وكان لكم به عهد علينا، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم. هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينكم غيره، فانظروا لأنفسكم.

فقال المقوقس: هذا ما لا يكون أبدًا، ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيدًا ما كانت الدنيا! فقال له عبادة: هو ذلك فاختر ما شئت!

فقال المقوقس: أفلا تجيبوننا إلى خصلة غير هذه الخصال الثلاث؟

فرفع المقوقس[7] يديه فقال: لا ورب هذه السماء، ورب هذه الأرض، وربنا، ورب كل شيء، ما لكم عندنا خصلة غيرها، فاختاروا لأنفسكم، فالتفت المقوقس إلى أصحابه، فقال: قد فرغ القوم، فماذا ترون؟ فقالوا: ويرضى أحد بهذا الذل؟ أمّا ما أرادوا من دخولنا في دينهم فهذا ما لا يكون

---

[1]) قوله: "واحد" سقط في (ن).

[2]) في (ن): "الله".

[3]) قوله: "فبينه لنا" سقط في (ن).

[4]) قوله: "الدين" سقط في (ن).

[5]) ما بين القوسين سقط من (ن).

[6]) قوله: "وإن" سقط في (ن).

[7]) في (ن): "عبادة".

أبدًا، أن نترك دين المسيح ابن مريم وندخل في دين غيره لا نعرفه، وأما ما أرادوا أن يسبونا ويجعلونا عبيدًا فالموت أيسر من ذلك، لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مرارًا كان أهون علينا.

[290/ب] فقال المقوقس لعبادة: قد أتى القوم فما[1] ترى؟ فراجع أصحابك على أن نعطيكم في مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفوا.

فقام عبادة وأصحابه، فقال المقوقس عند[2] لمن حوله: أطيعوني وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث، فوالله ما لكم بهم طاقة، ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم كارهين.

فقالوا: وأي خصلة نجيبهم إليها؟

قال: أنا أخبركم، أما دخولكم في دين غير دينكم فلا آمركم به، وأما قتالكم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم، ولن تصبروا صبرهم، ولا بد من الثالثة. قالوا: فنكون لهم عبيدًا أبدًا؟

قال: نعم، أن تكونوا عبيدًا منبسطين في بلادكم، آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم، خير لكم من أن تموتوا من آخركم، وتكونوا عبيدًا تباعون وتمزقون في البلاد مستعبدين أبدًا أنتم وأهلوكم وذراريكم. قالوا: فالموت أهون علينا، وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط والجزيرة، وبالقصر من القبط والروم جمع كثير.

فألح المسلمون عند ذلك بالقتال على من في القصر، حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم، فقتل منهم خلق كثير، وأسر من أسر، وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة، وصار المسلمون قد أحدق بهم الماء[3] من كل جهة لا يقدرون على التقدم نحو[4] الصعيد[5] ولا إلى غيره ذلك[6] من القرى، والمقوقس يقول لأصحابه: ألم أعلمكم هذا وأخفه عليكم؟ ما تنتظرون، فوالله لتجيبن إلى ما أرادوا طوعًا أو لتجيبنهم إلى ما هو أعظم منه كرهًا، فأطيعوني من قبل أن تندموا.

---

[1]() في (ن): "بما".

[2]() قوله: "عند" سقط في (ن).

[3]() في (ن): "الناس".

[4]() في (ن): "إلى".

[5]() الصَّعيدُ: بمصر بلاد واسعة كبيرة فيها عدة مدن عظام منها أسوان، وهي أوّله من ناحية الجنوب، ثمّ قوص وقفط وإخميم والبهنسا وغير ذلك، وهي تنقسم ثلاثة أقسام: الصعيد الأعلى وحدّه أسوان وآخره قرب إخميم، والثاني من إخميم إلى البهنسا، والأدنى من البهنسا إلى قرب الفسطاط. معجم البلدان (3/408).

[6]() قوله: "ذلك" سقط في (ن).

فلما رأوا منهم[1] ما رأوا، وقال لهم المقوقس ما قال، أذعنوا بالجزية، ورضوا بها على صلحٍ يكون بينهم يعرفونه. فأرسل المقوقس إلى عمرو: إني لم أزل حريصًا على إجابتك إلى خصلة من الخصال التي أرسلت إليّ بها فأبى ذلك عليّ[2] من حضرني من الروم والقبط، فلم يكن لي أن أفتات[3] عليهم في أموالهم، وقد عرفوا نصحي لهم وحبي صلاحهم فرجعوا إلى قولي، فأعطني أمانًا أجتمع أنا وأنت، [191/أ] أنا في نفر من أصحابي، وأنت في نفر من أصحابك، فإن استقام الأمر بيننا تم ذلك لنا جميعًا، وإن لم يتم رجعنا إلى ما كنا عليه.

فاستشار عمرو أصحابه في ذلك، فقالوا: لا نجيبهم إلى شيء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا، وتصير كلها لنا فيئًا وغنيمةً كما صار لنا القصر وما فيه.

فقال عمرو: قد علمتم ما عهد إليّ أمير المؤمنين في عهده، فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد إليّ فيها أجبتهم إليها وقبلت منهم، مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم.

فاجتمعوا على عهد بينهم، واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط[4] دينارين دينارين، على كل نفس، شريفهم ووضيعهم، ومن بلغ الحلم منهم، وليس على الشيخ الفاني، ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم، ولا النساء شيء. وعلى أن للمسلمين عليهم النزل بجماعتهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك[5] كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يعرض لهم في شيء منها، فشرط هذا كله على القبط خاصة.

وأحصوا عدد القبط من بلغ منهم الجزية ومن افترض عليهم الديناران. رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة، فكان جميع من أحصي يومئذ بمصر[6] أعلاها وأسفلها من جميع القبط أكثر من ستة آلاف ألف نفس، فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار كل سنة.

---

[1]) في (ن): "منه".

[2]) في (ن): "علي ذلك".

[3]) أفتات: افْتاتَ بأَمْره أَي مضى عَلَيْهِ وَ لم يَسْتَشِرْ أحدًا. تهذيب اللغة (14/236).

[4]) قوله: "من القبط" سقط في (ن).

[5]) قوله: "من ذلك" سقط في (ن).

[6]) في (ن): "بمصر يومئذ".

وشرط المقوقس للروم أن يخيروا، فمن أحب أقام على مثل هذا لازمًا له ذلك مفترضًا عليه، مما أقام بالإسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج، وعلى أن للمقوقس الخيار في الروم خاصة حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل، فإن قبل ذلك [291/ب] ورضيه جاز عليهم وإلا كانوا جميعًا على ما كانوا عليه[1].

وكتب المقوقس إلى ملك الروم يعلمه بذلك، فكتب إليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه، ويرد عليه ما فعل ويقول في كتابه[2]:

إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفًا، وبمصر من عدد القبط ما لا يحصى، فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا[3] فإن عندك بمصر من الروم وبالإسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف، معهم العدة والقوة، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت، فعجزت عن قتالهم، وضعفت[4] أن تكون أنت ومن معك من الروم أذلاء في حال القبط، ألا قاتلتهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظفر بهم، فإنهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة[5]، فناهضهم القتال ولا يكن لك رأي غير ذلك.

وكتب ملك الروم بمثل ذلك إلى جماعة الروم.

فقال المقوقس لما أتاه كتابه[6]: والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا، إن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا، وذلك أنهم قوم الموت أحب إليهم من الحياة، يقاتل الرجل منهم وهو مستقتل، يتمنى أن لا يرجع إلى أهله ولا بلده، ولا ولده، ويرون أن لهم أجرًا عظيمًا فيمن قتلوا منا، ويقولون إنهم إن قتلوا دخلوا الجنة، وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة إلا بقدر بلغة العيش من الطعام واللباس، ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها، فكيف نستقيم نحن وهؤلاء، وكيف صبرنا معهم، واعلموا معشر الروم أني والله لا أخرج مما دخلت فيه وصالحت العرب عليه، وإني لأعلم أنكم سترجعون غدًا إلى قولي ورأيي، وتتمنون أن لو كنتم أطعتموني، وذلك أني قد [292/أ]

[1]() انظر الاكتفاء (2/ 335).

[2]() قوله: "في كتابه" سقط من (ن).

[3]() في (ن): "عليها".

[4]() في (ن): "جبنت".

[5]() في (ن): "حاصلة".

[6]() قوله: "لما أتاه كتابه" سقط في (ن).

عانيت[1] ورأيت وعرفت ما لم يعاني[2] الملك و لم يره و لم يعرفه، ويحكم أما يرضى أحدكم أن يكون آمنًا في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة؟

ثم أقبل المقوقس على عمرو بن العاص فقال له: إن الملك قد كره ما فعلت وعجزني، وكتب إليّ وإلى جماعة الروم أن لا نرضى بمصالحتك، أمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم، و لم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه، وإنما سلطاني على نفسي ومن أطاعني، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم، و لم يأت من قبلهم نقض وأنا متمم لك على نفسي، والقبط متممون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه وعاهدتهم، وأما الروم فأنا منهم بريء، وأنا أطلب إليك أن تعطيني ثلاث خصال.

قال عمرو: وما هن؟

قال: لا تنقض بالقبط، وأدخلني معهم وألزمني ما لزمهم، فقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاهدتك عليه وهم متممون لك ما تحب. وأما الثانية: إن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئًا[3] وعبيدًا، فإنهم أهل لذلك؛ لأني نصحتهم فاستغشوني، ونظرت لهم فاتهموني. وأما الثالثة: أطلب إليك أن إذا مت أن تأمرهم يدفنوني في أبي يحنس[4] بالإسكندرية.

فأنعم له عمرو بذلك وأجابه إلى ما طلب، على أن يضمنوا له الجسرين جميعًا، ويقيموا لهم الأنزال والضيافة والأسواق والجسور ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية، ففعلوا.

(ويقال: إن المقوقس إنما صالح عمرو بن العاص على الروم وهو محاصر الإسكندرية) [5].

وخرج عمرو بن العاص بالمسلمين حين أمكنهم الخروج، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط قد أصلحوا لهم الطريق وأقاموا لهم الجسور والأسواق، وصارت لهم القبط أعوانًا، فاستعدت الروم [292/ب] واستجاشت[6]، وقدمت عليهم مراكب كثيرة فيها جمع كثير بالعدة والسلاح، فخرج إليهم عمرو من

1() في (ن): "عاينت".

2() في (ن): "يعاين".

3() في (ن): "قنا".

4() أبي يُحَنّس: اسم كنيسة بالإسكندرية سميت دَيْرُ يُحَنّس: قال الشابشتي: هذا الدير بسمنود من أعمال حوف مصر. معجم البلدان (2/543).

5() ما بين القوسين سقط من (ن).

6() استجاشت: استجاش فلانا: طلب منه جيشا. تكملة المعاجم العربية (2/360).

الفسطاط متوجهًا نحو الإسكندرية حتى بلغ ترنوط[1]، فلقي فيها طائفة من الروم فقاتلوه قتالاً خفيفًا فهزمهم الله، ومضى حتى لقي جمع الروم بكوم شريك[2]، فاقتتلوا ثلاثة أيام ثم فتح الله على المسلمين وولى الروم.

وقيل: بل أرسل عمرو شريك بن سمي[3] في آثارهم، فأدركهم عند الكوم فقاتلهم وهزمهم. ويقال: بل ألجأوه إلى الكوم وأحاطوا به الروم[4]، فلما رأى ذلك أمر أبا ناعمة الصدفي[5] صاحب الفرس الأشقر الذي يقال له: أشقر صدف، فكان لا يجارى، فانحط عليهم فلم يدركوه، حتى أتى عمرًا فأخبره، فأقبل نحوه. وسمعت به الروم فانصرفت.

ثم التقوا بسلطيس[6] فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فهزمهم الله، ثم التقوا بالكريون[7] فاقتتلوا بضعة عشر يومًا.

وعلى المقدمة عبد الله بن عمرو، وحامل اللواء وردان[8] مولى عمرو، فأصابت عبد الله جراحات كثيرة، فقال: يا وردان لو تقهقرت قليلاً لتصيبن الروح. فقال وردان: الروح أمامك وليس هو خلفك. فتقدم عبد الله، وجاء رسول أبيه يسأله عن جراحه، فأنشأ يقول:

أقول إذا ما النفس جاشت ألا ... عليك قليلاً تحمدي أو تلامي[9]

---

[1] () تَرْنُوطُ: قرية بين مصر والإسكندرية كان بها وقعة بين عمرو بن العاص والروم أيام الفتوح، وهي قرية كبيرة جامعة على النيل، فيها أسواق ومسجد جامع وكنيسة خراب كبيرة، وأكثر فواكه الإسكندرية. معجم البلدان (2/27).

[2] () كَوْمُ شريك: قرب الإسكندرية كان عمرو بن العاص أنفذ فيه شريك بن سمي أحد وفد مراد الذين قدموا على رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، كان على مقدمة عمرو وفتح مصر فكثرت عليه الروم بهذا الموضع فخافهم على أصحابه فلجأ إلى هذا الكوم فاعتصم به ودافعهم حتى أدركه عمرو بن العاص وكان قريبا منه فاستغرّهم فسمي كوم شريك بذلك، قال البكري: هو موضع من أسفل الأرض، وأسفل الأرض: هي كورة الإسكندرية، والقلزم والطور، وأيلة وما دنا منها. معجم البلدان (4/495)، المعالم الأثيرة (1/233).

[3] () شريك بن سميّ: الغطيفي المرادي: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان على مقدمة عمرو بن العاص في فتح مصر. تاريخ ابن يونس المصري (1/234).

[4] () قوله: "الروم" سقط في (ن).

[5] () مالك بن ناعمة: أبو ناعمة الصّدفيّ المصري شهد الفتح بالشام، ثم شهد فتح مصر. قال ابن يونس: شهد فتح مصر، من أصحاب عمر بن الخطاب، وهو صاحب الفرس الذي يقال له: أشقر صدف. مختصر تاريخ دمشق (24/72).

[6] () سُلْطَيْسُ: من قرى مصر القديمة كان أهلها أعانوا على عمرو بن العاص لما فتح مصر والإسكندرية فسباهم، ثمّ ردّهم عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، على القرية. معجم البلدان (3/236).

[7] () كِرْيَوْنُ: اسم موضع قرب الإسكندرية أوقع به عمرو بن العاص أيام الفتوح بجيوش الروم. معجم البلدان (4/458).

[8] () وَرْدَانُ: مولى عمرو بن العاص. ويكنى أبا عبيد الله. وقد روي عنه أيضًا وبه سميت السوق التي بمصر سوق وردان. الطبقات الكبرى (7/354).

فرجع الرسول فأخبره بقوله. فقال عمرو: هو ابني حقًا.

وصلى يومئذ بالناس صلاة الخوف، بكل طائفة ركعة وسجدتين.

قال[1]: ثم فتح الله على المسلمين، وقتلوا من الروم مقتلةً عظيمةً، واتبعوهم حتى بلغوا الإسكندرية [293/أ] فتحصنوا بها، وكانت عليهم حصون لا ترام، حصن دون حصن، فنزل المسلمون ما بين حلوة[2] إلى قصر فارس إلى ما وراء ذلك، ومعهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة، ورسل[3] ملك الروم تختلف إلى الإسكندرية في المراكب بمادة الروم.

ويروى[4] أن عمرًا أقام بحلوة شهرين ثم تحول إلى المقس[5]، فخرجت عليه الخيل من ناحية البحيرة حيث كانت مستترة بالحصن فواقعوه، فقتل من المسلمين بكنيسة الذهب اثنا عشر رجلاً، وكان ملك الروم يعظم ظهور المسلمين على الإسكندرية ويقول: لئن غلبونا عليها لقد هلكت الروم، وانقطع ملكها، وتجهز للخروج إليها ليباشر قتالها بنفسه، وأمر أن لا يتخلف عنه أحد من الروم، وقال: ما بقاء الروم بعد الإسكندرية؟ فلما فرغ من جهازه[6] صرعه الله فأماته وكفى المسلمين مؤنته. وكان[7] موته في سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين، فانكسرت شوكة الروم.

ورجع جمع كبير ممن كان توجه إلى الإسكندرية، واستأسدت العرب عند ذلك وألحت بالقتال على الإسكندرية، فقاتلوهم قتالاً شديدًا، وخرج طرف من الروم من باب حصنها فحملوا على الناس وقتلوا رجلاً من مهرة[8] فاحتزوا رأسه وانطلقوا به، فغضب المهريون وقالوا: لا ندفنه أبدًا[9] إلا

9() انظر الاكتفاء (2/ 338).

1() قوله: "قال" سقط في (ن).

2() حُلْوَة: موضع بمصر نزل فيه عمرو بن العاص أيام الفتوح. معجم البلدان (2/294).

3() في (ن): "فأرسل".

4() في (ن): "وروي".

5() المَقْسُ: بين يدي القاهرة على النيل، وكان قبل الإسلام يسمى أمّ دنين، وكان فيه حصن ومدينة قبل بناء الفسطاط، وحاصرها عمرو بن العاص وقاتله أهلها قتالا شديدا حتى افتتحها في سنة 20 للهجرة. معجم البلدان (5/175).

6() في (ن): "ذلك".

7() في (ن): "وذلك".

8() مَهْرَةُ: قبيلة وهي مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة تنسب إليهم الإبل المهريّة وباليمن لهم مخلاف يقال بإسقاط المضاف إليه. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (3/1151).

9() قوله: "أبدا" سقط من (ن).

برأسه. قال عمرو: كأنكم تتغضبون على من يبالي بغضبكم، احملوا على القوم إذا خرجوا فاقتلوا رجلاً منهم ففعلوا ذلك فرمت الروم برأس المهري.

وقاتل عمر[1] بالإسكندرية يومًا[2] قتالاً شديدًا، فلما استحر القتال بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد[3] فصرعه الرومي، وألقاه عن فرسه، وأهوى إليه بسيفه ليقتله حتى حماه رجل من أصحابه. وكان مسلمة لا يقاوم بسبيله ولكنها مقادير، ففرحت بذلك الروم وشق على المسلمين، وغضب عمرو، وكان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن فقال عمرو: ما بال الرجل المسته[4] الذي يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم؟ فغضب مسلمة ولم يراجعه، ثم اشتد القتال حتى اقتحموا الحصن فقاتلهم العرب في الحصن، ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعًا من الحصن إلا أربعة نفر فيهم عمرو بن العاص ومسلمة بن مخلد، أغلق الروم عليهم باب الحصن وحالوا بينهم وبين أصحابهم ولا يدرون من هم.

فلما رأى ذلك عمرو وأصحابه لجأوا إلى ديماس[5] من حماماتهم فتحرزوا به فأمرت الروم روميًا فكلمهم[6] بالعربية فقال لهم: إنكم قد صرتم بأيدينا أسارى فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم فامتنعوا ثم قال لهم: إن في أيدي أصحابكم منا رجالاً أسروهم ونحن نعطيكم العهود أن نفادي بكم أصحابنا ولا نقتلكم، فأبوا عليهم.

فلما رأى الرومي ذلك منهم قال: هل لكم إلى خصلة نصف فيما بيننا وبينكم: أن تعطونا العهد و[7] نعطيكم مثله على أن يبرز منكم رجل ومنا رجل، فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا، وأمكنتمونا من أنفسكم، وإن غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم إلى أصحابكم. فرضوا بذلك [294/أ] وتعاهدوا عليه، فبرز رجل من الروم وثقوا بنجدته وشدته، وقالوا لعمرو وأصحابه وهم في الديماس ليبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد عمرو أن يبرز فمنعه مسلمة وقال: يا هذا تخطئ مرتين، تشذ من

---

[1]() في (ن): "عمرو". وهو الصواب.

[2]() في (ن): "يومئذ". وهو الصواب.

[3]() تقدمت ترجمته ص (147).

[4]() المسته: مصدر الأَسْتَه: كبير الاست. والاست: العَجُزُ. شمس العلوم (5/2967).

[5]() ديماس: الدِّيماس: الحمّام. تهذيب اللغة (12/264). ومن معانيها: السرب المظلم. لسان العرب مادة (دمس).

[6]() في (ن): "يكلمهم".

[7]() قوله: "و" سقط من (ن).

أصحابك وأنت أميرهم وإنما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك لا يدرون ما أمرك[1]، ثم لا ترضى حتى تبارز وتتعرض للقتل، فإن قتلت كان ذلك بلاء على أصحابك؟ مكانك وأنا أكفيك إن شاء الله! دونك فربما فرجها الله بك، فبرز إليه والرومي[2] فتجاولا ساعة ثم أعانه الله عليه فقتله، فكبر مسلمة وأصحابه، ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه، ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا تدري الروم أن أمير القوم فيهم، حتى بلغهم ذلك فأسفوا وأكلوا أيديهم تغيظًا فاستحى[3] عمرو مما كان قال لمسلمة، وسأله أن يستغفر له، ففعل وقال عمرو: والله ما أفحشت قط إلا ثلاث مرات، مرتين في الجاهلية وهذه الثالثة، وما منها مرة إلا وقد ندمت وما استحييت من واحدة منهن مثل ما استحييت مما قلت لك ووالله إني لأرجو أن لا أعود إلى الرابعة ما بقيت.

وأقام عمرو يحاصر الإسكندرية أشهرًا، فكتب إليه عمر بن الخطاب،: أما بعد، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، إنكم تقاتلونها منذ سنتين، وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله، تبارك وتعالى، لا ينصر قومًا إلا بصدق نياتهم، وقد كنت وجهت إليه[4] أربعة نفر، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألفٍ على ما كنت أعرف، إلا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم، ورغبهم في الصبر والنية، وقدم أولئك النفر الأربعة في صدور الناس، ومر الناس جميعًا أن تكونوا[5] لهم صدمة كصدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل الرحمة ووقت الإجابة، وليضج الناس إلى الله ويسألوه النصر على عدوهم.

فجمع عمرو الناس وقرأه عليهم، ودعا النفر الأربعة فقدمهم أمام الناس، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين، ثم يرغبوا إلى الله ويسألوه النصر، ففعلوا، ففتح الله عليهم.

---

[1]) في (ن): "أمرهم".

[2]) قوله: "والرومي" سقط من (ن).

[3]) في (ن): "فاستحيى".

[4]) في (ن): "إليك".

[5]) في (ن): "يكونوا".

ويقال[1] إنه استشار مسلمة[2] فقال له: أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعقد[3] له على الناس، ويكون هو الذي يباشر القتال ويكفيكه.

قال عمرو: ومن ذلك؟ قال: عبادة بن الصامت. فدعاه عمرو، فأتاه وهو راكب[4] على فرسه، [294/ب] فلما دنا منه أراد النزول، فعزم عليه أن لا ينزل، وقال: ناولني سنان رمحك، فناوله إياه، فنزع عمرو عمامته عن رأسه وعقد له وولاه[5] القتال، فتقدم عبادة مكانه فصاف الروم فقاتلهم، ففتح الله عليه الإسكندرية في يومه ذلك[6].

ويقال: أن عمرًا أفكر في نفسه فقال: إن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا من أصلح أوله، يعني الأنصار، فدعا عبادة بن الصامت فعقد له، ففتح الله الإسكندرية على يديه من[7] يومه ذلك، وهو يوم الجمعة مستهل المحرم من سنة عشرين وقيل: إحدى وعشرين.

(وكان فتح الإسكندرية يوم الجمعة مستهل شهر المحرم من سنة عشرين) [8].

وخلف عمرو بالإسكندرية ألف رجل من أصحابه، وقد هرب الروم برًا وبحرًا، واتبع من هرب منهم برًا، فرجع من كان هرب في البحر إلى الإسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب.

وبلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعًا ففتحها، وكتب إلى عمر بن الخطاب، أن الله قد فتح علينا الإسكندرية عنوة[9] بغير عقد ولا عهد، فكتب إليه عمر يقبح رأيه ويأمره ألا يجاوزها[10].

---

[1]() بياض في (ن).

[2]() في (ن): "مسيلمة".

[3]() في (ن): "فيعقد".

[4]() في (ن): "راكبا".

[5]() في (ن): "دواه".

[6]() انظر الاكتفاء (2/ 341).

[7]() في (ن): "في".

[8]() ما بين القوسين سقط من (ن).

[9]() عنوة: العنوة: القهر. العين (2/252).

[10]() في (ن): "يتجاوزها".

وعن ابن لهيعة[1]: هذا هو فتح الإسكندرية الثاني، وأن سببه أن بوابًا بها يقال له: بسامة سأل عمرًا الأمان على نفسه وأرضه وأهل بيته ويفتح له الباب، فأجابه عمرو إلى ذلك وفتح[2] له الباب، فدخل من ناحية قنطرة سليمان، وكان مدخله الأول من الباب الذي من ناحية كنيسة الذهب، ثم انتقضوا سنة خمس وعشرين.

وجاءت الروم عليهم منويل الخصي[3]، بعثه هرقل في المراكب حتى أرسوا بالإسكندرية فأجابهم من بها من الروم، فخرج إليهم عمرو في البر والبحر، فقاتلهم قتالاً شديدًا، فهزمهم الله وقتل منويل، و لم يكن المقوقس تحرك ولا نقض. وهذا انتقاض ثان بعد الذي كان في زمان عمر، وهذا في زمان عثمان. [295/أ]

وقيل: إن جميع من قتل من المسلمين إلى أن فتحت الإسكندرية في طولها اثنان وعشرون رجلاً.

وبعث عمرو معاوية بن حُديج[4] وافدًا إلى عمر بن الخطاب يبشره بالفتح، فقال: ألا تكتب معي؟ فقال: وما أصنع بالكتاب، ألست رجلاً عربيًا تبلغ الرسالة وما رأيت وحضرته؟

فلما قدم على عمر أخبره بفتح الإسكندرية، فخر عمر ساجدًا وقال: الحمد لله.

وعن معاوية أنه قال: قدمت المدينة في الظهيرة فأنخت راحلتي بباب المسجد، ثم دخلت المسجد، فبينا أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب فرأتني شاحبًا عليّ ثياب السفر، فأتتني فقالت: من أنت؟ فقلت: أنا معاوية بن حديج رسول عمرو بن العاص. فانصرفت عني، ثم أقبلت تشتد، فقالت: قم فأجب أمير المؤمنين. فدخلت فإذا عمر يتناول رداءه فقال: ما عندك؟ فقلت: خير يا أمير المؤمنين، فتح الله الإسكندرية، فخرج معي إلى المسجد فقال للمؤذن: أذن في الناس الصلاة جامعة، فاجتمع الناس ثم قال لي[5]: قم فأخبر أصحابك. فقمت فأخبرتهم، ثم صلى ودخل منزله

---

[1] () ابن لهيعة: عبد الله بن لَهِيعة بن عقبة الحضرمي أبو عبد الرحمن المصري، القاضي، صدوق من السابعة خلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما، وله في مسلم بعض شيء مقرون مات سنة أربع وسبعين وقد ناف على الثمانين. تقريب التهذيب (1/319).

[2] () في (ن): "ففتح".

[3] () قائد جيوش الروم على الإسكندرية. تاريخ خليفة بن خياط (1/158).

[4] () معاوية بن حُديج: بمهملة وفي الآخرة جيم مصغرا، ابن جفنة من تجبيب السكوني. يعد في المصريين. وحديثه عندهم. ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه، وذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة. كان أمير الغزو في أفريقية. وذهبت إحدى عينيه في غزوة النوبة ومات سنة 52 هـ. طبقات ابن سعد: (7/ 503)، والإصابة (6/ 147).

[5] () قوله: "لي" سقط من (ن).

واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال: يا جارية، هل من طعام؟ فأتت بخبز وزيت، فقال: كل، فأكلت على حياء، ثم قال: كل فإن المسافر يحب الطعام، فلو كنت آكلاً لأكلت معك. فأصبت على حياء، ثم قال: يا جارية، هل من تمر؟ فأتت بتمر في طبق، فقال: كل، فأكلت على حياء، ثم قال ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟ [1] قال: قلت: أمير المؤمنين قائل[2]. قال: بئس ما قلت، أو بئس ما ظننت. لئن نمت بالنهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟

ثم كتب عمرو بعد ذلك إلى عمر: أما بعد، فإني فتحت مدينةً لا أصف (لك) [3] ما فيها، غير أني أصبت أربعة آلاف مُنْيَة[4] بأربعة آلاف حمام، وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية، وأربعمائة ملهى للملوك. [295/ب]

وقيل أنه وجد فيها اثني عشر ألف بقّال يبيعون البقل الأخضر. وترحل من[5] الإسكندرية في الليلة التي دخلها عمرو سبعون ألف يهودي خافوا من دخوله، وكان عدة (من) [6] بها من الروم مائتي ألف من الرجال، فلحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن، وكان بها مائة مركب من الكبار يحمل فيها ثلاثون ألفًا بما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل، وبقي من بقي ممن يؤدي الخراج، ستمائة ألف سوى النساء والصبيان.

ويروى أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال للقبط: إن من كتمني كنزًا عنده فقدرت عليه قتلته. فذكر لعمرو أن قبطيًا من أهل الصعيد يقال له: بطرس عنده كنز، فأرسل إليه فسأله، فأنكر[7]، فحبسه عمرو، وسأل: هل تسمعونه يسأل عن أحد؟ فقالوا: سمعناه يسأل عن راهب بالطور[8]، فأخذ خاتم بطرس وكتب على لسانه بالرومية إلى ذلك الراهب: أن ابعث إليّ بما عندك، وختم بخاتمه، فجاء

---

[1]() قوله: "ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟ " سقط من (ن).

[2]() قائل: القَيلولة: نَومَةُ نصف النَّهَار. تهذيب اللغة (9/232).

[3]() ما بين القوسين زيادة في (ن).

[4]() لعلها منية الناقة، فيكون المعنى أنه أصاب أربعة ألاف ناقة.

[5]() في (ن) "عن".

[6]() ما بين القوسين زيادة في (ن).

[7]() في (ن) "فأنكره".

[8]() الطُور: هذا الجبل المشرف على نابلس، وبالقرب من مصر عند موضع يسمى مدين جبل يسمى الطور. معجم البلدان (4/47).

الرسول من عند الراهب بقلة شامية مختومة بالرصاص، فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها: يا بني، إن أردتم ما لكم فافتحوا تحت الفسقية[1] الكبيرة. فأرسل عمرو إلى الفسقية فحبس عنها الماء، وقلع البلاط الذي تحتها، فوجد فيها اثنين وخمسين أردبًا ذهبًا مضروبًة، فضرب عمرو رأس القبطي عند باب المسجد، فأخرج القبط كنوزهم مخافة أن يقتلوا.

قالوا وإنما استحل ماله لأنه كان يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب إليهم بذلك، وفي سياق سبق مخالفة لما تقدم وهذا أحسن سياقًا وأوفى كلامًا فاقتصرت عليه. [296/أ]

ولما تم الفتح بعث عمرو بن العاص جرائد خيل[2] إلى القرى التي حول الفسطاط، فأقامت الفيوم[3] سنة لا يعلم المسلمون مكانها، حتى أتاهم رجل فذكرها لهم، فأرسل عمرو معه ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفي[4]، فلما سلكوا في المجابة لم يروا شيئًا، فهموا بالانصراف، فقالوا[5]: لا تعجلوا، سيروا فإن كان كذبًا فما أقدركم على ما أردتم. فلم يسيروا إلا قليلاً حتى طلع لهم سواد الفيوم فهجموا عليها، فلم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم.

وبنى عمرو المسجد، وكان ما حوله حدائق وأعنابًا، فنصبوا[6] الحبال حتى استقام لهم، ووضعوا أيديهم، فلم يزل عمرو قائمًا حتى وضعوا القبلة، ووضعها هو ومن حضر معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذ فيه منبرًا. فكتب إليه عمر بن الخطاب: «أما بعد. فإنه بلغني (أنك) [7] اتخذت منبرًا ترقى به[8] على رقاب المسلمين، أو ما بحسبك أن تقوم قائمًا والمسلمون تحت عقبيك، فعزمت عليه لما كسرته». واختط الناس المنازل بالفسطاط.

---

[1]() الفَسْقِية: حَوْض من الرخام وَنَحْوه مستدير غَالِبا تمج الماء فِيهِ نافورة وَيكون فِي الْقُصُور والحدائق والميادين. المعجم الوسيط (2/689).

[2]() الجَرِيدة من الخيل: خيل جرِّدت للغزو. شمس العلوم (2/1056).

[3]() الفَيُّوم: ولاية غربية بمصر بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهي في منخفض الأرض كالدارة، ويقال إن النيل أعلى منها. معجم البلدان (4/286).

[4]() ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفي: يكنى أبا مليل، شهد فتح مصر، وكان رئيسًا في خلع عثمان وقتله، وكان صهرًا لوردان مولى عمرو بن العاص، وابنه سعيد بن ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفي، فقيه ولي القضاء بمصر على كره في أيام هشام بن عبد الملك، جلس في المسجد وتقدم الخصوم إليه فما نطق بحرف فأعفى عن القضاء. الإكمال في رفع الارتياب (2/333).

[5]() في (ن) "فقال".

[6]() في (ن) "فنصب".

[7]() ما بين القوسين زيادة في (ن).

[8]() في (ن) "فيه".

وذكر ابن عبد الحكم أن عمر، رضي الله عنه، كتب أن يختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص، ويظهروا مناطقهم[1]، ويجزوا[2] نواصيهم، ويركبوا على الأكف[3] عرضًا، ولا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه الموسى[4]، ولا يضربوا على النساء، ولا على الولدان، ولا يدعوهم يتشبهون[5] بالمسلمين في لبوسهم.

وعن الليث[6] أن المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم[7] بسبعين ألف دينار، فعجب عمرو من ذلك فقال: أكتب في ذلك (كتابًا) [8] إلى أمير المؤمنين، فأجابه عمر بن الخطاب: سله لم أعطاك به ما أعطاك، وهي لا تزدرع[9] ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها. فسأله عمرو، فقال: [296/ب] إنا لنجد صفتها في الكتب أن فيها[10] غراس الجنة، فكتب بذلك إلى عمر، فأجابه: إنا لا نعلم غراس الجنة إلا المؤمنين، فأقبر فيها (من) [11] مات قِبلك من المسلمين ولا تبعه بشيء. فكان أول من دفن فيها رجل من المعافر[12] يقال له: عامر، فقيل: عمرت.

وفرض عمرو لرباط الإسكندرية ربع الناس، يقيمون ستة أشهر ثم يعقبهم ربعًا آخر ستة أشهر، وربعًا في السواحل، والنصف الثاني مقيمون معه.

---

[1] المناطِقُ: واحدُها مِنْطَقٌ، يقالُ، مِنْطَقٌ ونِطاقٌ، كَمَا يُقالُ، مِئْزَرٌ وإِزَارٌ ومِلْحَفُ ولِحَافٌ وَمِسْرَدٌ وَسِرَادٌ، وَقَدْ تَنَطَّقَتِ المَرْأَةُ: إذا شَدَّتْ نِطَاقَها عَلَى وَسَطِهَا. تهذيب اللغة (9/24).

[2] يجزوا: يحلقوا. والجز هو قطع الشيء ذي القوى الكثيرة الضعيفة. يقال: جززت الصوف جزا. معجم مقاييس اللغة (1/414).

[3] الأكف: جمع كاف، يقال للبعير إذا كبِر فقصُرت أسنانه حتَّى تكاد تذهب: هو كافٌّ. والناقةُ كافٌّ أيضًا. الصحاح (4/1422).

[4] كناية عن البلوغ.

[5] في (ن) "يتشبهوا".

[6] الليث: بن سعد أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث، وكان ثقة سريا سخيا، قال الليث: كتبت من علم محمد ابن شهاب الزهري علما كثيرا، وطلبت ركوب البريد إليه إلى الرصافة، فخفت أن لا يكون ذلك لله تعالى فتركته. وقال الشافعي رضي الله عنه: الليث بن سعد أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. وفيات الأعيان (4/128).

[7] المقَطَّمُ: وهو الجبل المشرف على القرافة مقبرة فسطاط مصر والقاهرة. معجم البلدان (5/176).

[8] ما بين القوسين زيادة في (ن).

[9] المزْدَرَعُ مَوضِع الزِّرَاعَة. تهذيب اللغة (2/79).

[10] في (ن) "أنها".

[11] ما بين القوسين زيادة في (ن).

[12] المعافر: بفتح أوّله وثانيه، بعده فاء وراء مهملة: موضع باليمن، تنسب إليه الثّياب المعافريّة. معجم ما استعجم (4/1241).

(وقيل) [1] بل كان عمر بن الخطاب يرسل كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالإسكندرية وكانت الولاة لا تغفلها، ولا يأمنون الروم عليها.

وكان عمرو يقول: ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة، ونيل مصر سيد الأنهار، سخر الله له كل نهر من المشرق والمغرب، فإذا أراد الله أن يجريه أمر الأنهار أن تمده بمائها، وفجر له الأرض عيونًا، فإذا انتهت جريته إلى ما أراد سبحانه أوحى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره.

ولما دخل بؤنة من أشهر العجم، أتاه أهلها فقالوا له: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سُنّة لا يجرى إلا بها. فقال: وما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان لاثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عهدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أبويها، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النهر. فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما قبله. فأقاموا ذلك الشهر والشهرين اللذين بعده لا يجري قليلاً ولا كثيرًا حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه: قد أصبت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها في [297/أ] داخل النيل.

ففتح عمرو البطاقة فإذا فيها: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر: أما بعد، فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك.

فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم[2] الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها؛ لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل، فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله، عز وجل، ستة عشر ذراعًا في ليلة. وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر.

---

[1]() ما بين القوسين زيادة في (ن).

[2]() قوله: "يوم" سقط من (ن).

ذكر فتح أنطابلس[1] [2]:

وهي بفتح الألف بعدها نون ساكنة وبعد الطاء المهملة ألف بعدها موحدة مضمومة[3] ولام مضمومة وسين مهملة وسماه[4] بالرومية خمس المدن مدينة بين الإسكندرية وبرقة[5].

قال ابن عبد الحكم: كان البربر بفلسطين زمن داود عليه السلام، فخرجوا منها متوجهين إلى الغرب حتى انتهوا إلى لوبية[6] بالضم ثم السكون وباء موحدة وتحتية مشددة مدينة بين الإسكندرية وبرقة، ومراقية[7] بالفتح والقاف المكسورة وتحتية المخففة[8] إذا قصد القاصد إفريقية فأول بلد يلقاه مراقية ثم لوبية وهما كورتان[9] من كور مصر الغربية، فتفرقوا هنالك[10]، فتقدمت زناتة[11] ومغيلة[12] إلى الغرب وسكنوا الجبال وتقدمت لواتة[13] فسكنت

---

[1]() أَنْطَابُلُس: مدينة بين الإسكندرية وبرقة. معجم البلدان (1/266). وفي موسوعة ويكيبيديا: "وهي الآن مدينة الدار البيضاء بليبيا".

[2]() انظر: الاكتفاء (2/354)، فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم (ص 170، 171).

[3]() قوله: "مضمومة" سقط من (ن).

[4]() في (ن) "ومعناه".

[5]() بَرْقَةُ: بفتح أوله والقاف: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. معجم البلدان (1/389).. وفي موسوعة ويكيبيديا: "هي الجزء الشرقي من ليبيا الحالية".

[6]() لُوبِيَةُ: مدينة بين الإسكندرية وبرقة، وقال أبو الريحان البيروني: كان اليونانيون يقسمون المعمورة بأقسام ثلاثة تصير أرض مصر مجتمعا لها فما مال عنها وعن بحر الروم نحو الجنوب فاسمه لوبية ويحدها بحر أوقيانوس المحيط الأخضر من جانب المغرب وبحر مصر من جهة الشمال وبحر الحبش من جهة الجنوب وخليج القلزم وهو بحر سوف أي البردي من جانب المشرق وهذا كله يسمى لوبية، والقسم الآخر اسمه أورقي، والآخر آسيا. معجم البلدان (5/ 25).

[7]() مَرَاقِيَةُ: إذا قصد القاصد من الإسكندرية إلى إفريقية فأول بلد يلقاه مراقية ثم لوبية، ينسب إليها أبو محمد عبد الله بن أبي رومان عبد الله بن يحيى بن هلال الإسكندري المراقي. معجم البلدان (5/94). وفي موسوعة ويكيبيديا: "قرية سياحية تقع بالساحل الشمالي بمصر".

[8]() في (ن) "مخففة".

[9]() كورتان: الكورَةُ: المدينة. الصحاح (2/810).

[10]() في (ن) "هناك".

[11]() بنو زناتة: ويقال لهم زناتة باسم ابيهم، وهم بطن من البتر من البربر ببلاد المغرب. نهاية الأرب (ص: 273).

[12]() بنو مغيلة: بطن من بني فاتن بن ضربة بن السرا من البربر، ذكرهم في العبر، وذكر الحمداني ان مغيلة بن بربر بن قيدار، قال الحمداني: هم بالبهنساوية وأكثرهم ببلد المغرب، وقيدار بن إسماعيل بن إبراهيم. نهاية الأرب (ص: 424)

[13]() لَوَاتَةُ: من أكبر قبائل البربر وأكثرها بطوناً، ومنها في بلاد المغرب الخلق الذين لا يحصون، وبالديار المصرية. قلائد الجمان (ص: 172).

أرض أنطابلس وهي برقة بفتح الموحدة والقاف بينهما راء مهملة اسم صقع[1] كبير. يشمل[2] على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية بعد[3] مدينتها أنطابلس، وانتشروا فيه حتى بلغوا السوس[4] بسينين مهملتين أولاهما مضمومة اسم لأماكن منها بلد بالمغرب وقبلي[5] كورة مدينتها طنجة[6] وبالمغرب موضع يسمى السوس الأقصى مدينة كورة مدينتها طرقلة[7].

بينها وبين السوس الأولى مسيرة شهرين، ونزلت هوارة[8] مدينة لبدة[9] [10]، ونزلت نفوسة[11] مدينة صبرة[12] بفتح الصاد المهملة وسكون الموحدة ثم راء، وجلا من كان فيها من الروم من أجل ذلك. [297/ب]

فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية، على أن يبيعوا من أبنائهم في جزيتهم.

1() في (ن) "الصقع".

2() في (ن) "يشتمل".

3() قوله: "بعد" سقط من (ن).

4() السُّوس الأقصى: مدينة على ساحل بحر الأوقيانوس المغربي، وهي آخر مدينة من عمارة العالم في المغرب. مدينة عظيمة بها ذهب وفير، وأهلها بعيدون عن طباع الناس. ولا يصل إليها إلا القليل من الغرباء؛ ويكثر في بلاد البربر، النمور التي يصيدها البربر ويحملون جلودها إلى مدن المسلمين. حدود العالم من المشرق إلى المغرب (1/181).

5() في (ن) "وقيل".

6() طَنْجَةُ: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم وبلاد البربر، وهي آخر حدود إفريقية، وبينها وبين القيروان ألفا ميل. معجم البلدان (4/43).

7() طَرْقَلَةُ: مدينة بالمغرب من نواحي البربر في البرّ الأعظم وهي قصبة السوس الأقصى. معجم البلدان (4/32).

8() بنو هوارة: بطن من اوزيغ أو زيفة من البرنس من البربر، وهم بنو هوارة بن اوزيغ بن برنس بن بربر، وقال الحمداني: انهم من ولد بربر بن قيدار بن اسماعيل بن إبراهيم عليه السلام. وذكر في مسالك الأبصار: أن منازلهم بالديار المصرية وبالبحيرة، ومن الإسكندرية غربا إلى العقبة الكبيرة من برقة. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي (1/441).

9() في (ن) "كندة".

10() لَبْدَةُ: مدينة بين برقة وإفريقية، وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة وهو حصن من بنيان الأول بالحجر والآجرّ وحوله آثار عجيبة. معجم البلدان (5/10). وفي موسوعة ويكيبيديا: "تبعد 120 كم شرق مدينة طرابلس عاصمة ليبيا".

11() نُفُوْسة: قَبيلَة من البربر فِي بِلَاد الْمغرب وَقيل نَفوسة بِفَتْح النُّون وَالْمَشْهُور بهَا أهاب بن مَازِن النفوسي الْبَرْبَرِي الْفَقِيه الْمَالِكِي. اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري (3/320).

12() صَبْرَةُ: بلد قريب من مدينة القيروان وتسمى المنصوريّة من بناء مناد بن بلكّين، سمّيت بالمنصور بن يوسف بن زيري بن مناد. معجم البلدان (3/391). وفي موسوعة ويكيبيديا: "حي صبرة المنصورية التابع لمدينة القيروان بتونس".

ووجه عقبة بن نافع[1] حتى بلغ زويلة[2] بفتح الزاي وكسر الواو ثم تحتية بعدها لام بلدان بالمغرب المشهور منهما السودانين بلاد السودان وإفريقية[3]، فافتتحها بصلح، وصار ما بين برقة وزويلة سلما[4] للمسلمين.

ذكر فتح أطرابلس[5] [6]:

وهي أطرابلس المغرب يقال بين --- في آخر أرض شرقًا وأول أرض إفريقية[7].

قال ابن عبد الحكم: ثم سار عمرو حتى نزل أطرابلس في سنة اثنتين وعشرين، فنزل القبة التي على الشرف من شرقيها، فحاصرها شهرًا لا يقدر منهم على شيء، فخرج رجل من بني مدلج[8] ذات يوم[9] من عسكر عمرو متصيدًا في سبعة نفر، فمضوا غربي[10] المدينة فأصابهم الحر في رجوعهم، فأخذوا على ضفة البحر، وكان لاصقًا بسور المدينة، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور، وسفن الروم شارعة في مرساها إلى بيوتهم، فنظر المدلجي وأصحابه، فإذا البحر قد غاض[11] من

---

[1] () عقبة بن نافع: بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظّرب بن أمية ابن الحارث بن فهر القرشي، يقال: إن له صحبة، ولم يصح. شهد فتح مصر، واختط بها. وولى المغرب لمعاوية، ويزيد بن معاوية. وهو الذي بنى قيروان إفريقية، وأنزلها المسلمين. قتلته البربر ب «تهودة» من أرض المغرب سنة ثلاث وستين. وولده بمصر والمغرب. تاريخ ابن يونس المصرى (1/349).

[2] () زَوِيلَة: أو زويلة السودان مقابل أجدابية في البرّ بين بلاد السودان وإفريقية. معجم البلدان (3/159). وفي موسوعة ويكيبيديا: "هي قرية في جنوب غرب ليبيا".

[3] () إفْرِيقِيَّة: وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس، والجزيرتان في شماليها، فصقلية منحرفة إلى الشرق والأندلس منحرفة عنها إلى جهة المغرب. قال عاتق البلادي: "وهي التي تسمى الآن بتونس". معجم البلدان (1/228)، وانظر: معجم المعالم الجغرافية (1/252).

[4] () في (ن) "سكنا".

[5] () أَطْرَابُلُس: مدينة في آخر أرض برقة وأول أرض إفريقية. معجم البلدان (1/217).

[6] () انظر الاكتفاء (2/355)، فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم (ص 171- 173).

[7] () في (ن) "وهي أطرابلس المغرب ويقال نعير حمز في رحبة أرض شرقا وأول أرض أفريقية".

[8] () بنو مدلج: نسبة إلى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة، بطن كبير من كنانة، وهم من القافة الذين يلحقون الأولاد بالآباء، منهم سراقة بن جعشم، وقيل سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي. الأنساب للسمعاني (12/148).

[9] () قوله: "ذات يوم" سقط من (ن).

[10] () قوله: "غربي" سقط من (ن).

[11] () غاض: غاضَ الماءُ يَغِيضُ غَيْضًا ومَغِيضًا ومَغاضًا وانْغاضَ: نقَص أَو غارَ فذهب. لسان العرب (7/201).

جهة المدينة، ووجدوا مسلكًا إليها من الموضع الذي حسر[1] عنه البحر، فدخلوا منه[2] حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا[3]، فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم، وأبصر عمرو وأصحابه السلمة في جوف المدينة، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم، فلم يفلت الروم إلا بما خف لهم من مراكبهم، وغنم عمرو ما كان في المدينة.

وكان من بصبرة[4] متحصنين، وهي المدينة العظمى، فلما بلغهم محاصرة عمرو أطرابلس، وأنه لم يصنع فيهم شيئًا ولا طاقة له بهم أمنوا.

فلما ظفر عمرو بأطرابلس جرد خيلاً كثيفةً من ليلته، وأمرهم بسرعة السير، فصبحت خيله مدينة صبرة وهم غافلون وقد فتحوا أبوابها لتسرح ماشيتهم، فدخلوها فلم ينج منهم أحد، واحتوى [298/أ] أصحاب عمرو على ما فيها[5].

وكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب: إن الله، عز وجل، قد فتح علينا أطرابلس، وليس بينها وبين أفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن نغزوها ويفتحها الله على يديه فعل.

فكتب إليه عمر: لا، إنها ليست بأفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت.

وكان عمرو يبعث[6] الجريدة من الخيل[7] فيصيبون الغنائم من أطراف أفريقية ويرجعون.

ثم أتى عمرًا كتاب المقوقس وكان عاهده أن لا يكتمه أمر الحرب[8] يذكر فيه أن الروم يريدون نكث العهد ونقض ما كان بينهم وبينه فانصرف عمرو راجعًا مغادرًا[9] لما بلغه.

---

[1]) حسر: حَسَرْتُ كُمِّي عن ذراعي احْسِرُهُ حَسْرًا: كشفت. والانْحِسارُ: الانكشاف. الصحاح تاج اللغة (2/629).

[2]) قوله: "منه" سقط من (ن).

[3]) في (ن) "فكبروا".

[4]) تقدم التعريف بها ص (166).

[5]) فتوح مصر والمغرب (ص: 198، 199).

[6]) في (ن) "يرسل".

[7]) الجَرِيدة من الخيل: خيل جرِّدت للغزو. شمس العلوم (2/1056).

[8]) في (ن) "أمرا يحدث".

[9]) في (ن) "مبادر".

ذكر نقض أهل الإسكندرية[1]:

قال ابن الحكم[2]: وفي سنة خمس وعشرين عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص[3] عن مصر، وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح. وقد كانت الإسكندرية انتقضت، وجاءت الروم عليهم منويل الخصي[4] في المراكب حتى أرسوا بالإسكندرية، فأجابهم من بها من الروم، و لم يكن المقوقس تحرك ولا نكث، فحينئذ سأل أهل مصر عثمان، أن يقر عمرًا حتى يفرغ من قتال الروم، فإن له معرفة في الحرب وهيبة في العدو، ففعل[5].

فخرج إليهم عمرو في البر والبحر، وضوى[6] إلى المقوقس من أطاعه من القبط. و لم يطع أحد من الروم. فقال خارجة بن حذافة[7] لعمرو: ناهضهم قبل أن يكثر مددهم ولا آمن أن تنتقض مصر كلها. قال عمرو: لا، ولكن دعهم حتى يسيروا إليّ، فإنهم يصيبون من مروا به فيجزي[8] الله بعضهم ببعض، فخرجوا من الإسكندرية ومعهم من نقض من أهل القرى، فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها، ويأكلون أطعمتها، وينتهبون ما مروا به، فلم يعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس[9]، فلقوهم [298/ب] في البر والبحر، فبدأت الروم والقبط فرموا بالنشاب في الماء رميًا شديدًا، حتى أصاب النشاب يومئذ فرس عمرو فعقر[10] فنزل عنه، ثم خرجوا من البحر، فاجتمعوا هم والذين في البر فنضحوا المسلمين بالنشاب، فاستأخر المسلمون عنهم شيئًا، وحملوا حملة ولى المسلمون منها، وانهزم شريك بن سمي[11] في خيله.

---

[1] انظر: الاكتفاء (2/356).

[2] في (ن) "عبد الحكم".

[3] في (ن) "عمرو بن العاص عثمان بن عفان".

[4] تقدمت ترجمته ص (160).

[5] انظر: فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (1/202).

[6] ضَوَى: إليه: أي أوى. شمس العلوم (6/4017).

[7] تقدمت ترجمته ص (145).

[8] في (ن) "فيخزي". ولعله الصواب.

[9] نَقْيُوس: قرية بين الفسطاط والإسكندرية كانت بها وقعة لعمرو بن العاص والروم لما نقضوا. معجم البلدان (5/303).

[10] عقر: يقال: عقرت الفرس، أي كسعت قوائمه بالسيف. وفرس عقير ومعقور. وخيل عقرى. معجم مقاييس اللغة (4/90).

[11] تقدمت ترجمته ص (155).

وكانت الروم قد جعلت صفوفًا خلف صفوف، وبرز يومئذ بطريق ممن جاء من أرض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب، فبرز إليه رجل من زبيد[1] يقال له: حومل[2][3] ويكنى أبا مذحج[4]، فاقتتلا طويلاً برمحين يتطاردان، ثم ألقى البطريق الرمح وأخذ السيف، وألقى حومل[5] الرمح وأخذ سيفه، وكان يعرف بالنجدة، وجعل عمرو يصيح: أبا مذحج فيجيبه: لبيك، والناس على شاطئ النيل في البر على تعبئتهم وصفوفهم، فتجاولا ساعةً بالسيفين، ثم حمل عليه البطريق فاحتمله وكان نحيفًا، ويخترط[6] حومل خنجرًا كان في منطقته أو في ذراعه فيضرب به نحر العلج أو ترقوته[7]، فأثبته ووقع عليه فأخذ سلبه، ثم مات حومل بعد ذلك بأيام، فرئي عمرو يحمل سريره حتى دفنه بالمقطم. ثم شد المسلمون عليهم فكانت هزيمتهم، وطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية، ففتح الله عليهم وقتل منويل الخصي[8] .

وقتلهم عمرو حتى أمعن في مدينتهم، فكلم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم، وبنى في ذلك الموضع مسجدًا، وهو الذي يقال له مسجد الرحمة، لرفع عمرو السيف هنالك.

وكان عمرو حلف: لئن أظفره الله عليهم ليهدمن سورها حتى تكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان، فهدمه كله وجمع ما أصاب منهم، فجاءه من أهل تلك القرى من لم يكن نقض، فقالوا: قد كنا على صلحنا، ومرّ علينا هؤلاء اللصوص فأخذوا متاعنا ودوابنا وهو قائم في يديك، فرد عليهم [299/أ] عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه البينة.

وقال بعضهم لعمرو: ما حل لك ما صنعت بنا، وكان لنا عليك أن تقاتل عنا لأنا في ذمتك و لم ننقض، فأما من نقض فأبعده الله. فندم عمرو وقال: يا ليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من الإسكندرية.

---

[1] () تقدم التعريف بها ص (96).

[2] () في (ن) "حرمل".

[3] () لم أقف له على ترجمة فيما وقفت عليه.

[4] () لم أقف له على ترجمة فيما وقفت عليه.

[5] () في (ن) "حرمل".

[6] () يخترط: اخْتَرَطَ السَّيْفَ: استَلَّهُ من غِمدِهِ. تاج العروس (19/241).

[7] () ترقوته: التَّرْقُوَةُ: وهو وصل عظم بين ثغرة النحر والعاتق في الجانبين. العين (5/126).

[8] () تقدمت ترجمته ص (162).

قال: وكان سبب النقض أن صاحب أخناء قال لعمرو: أخبرنا ما علينا من الجزية فنصبر لها، فقال عمرو وهو يشير إلى ركن كنيسة: لو أعطيتني من الركن إلى السقف ما أخبرتك، إنما أنتم خزانة لنا، إن كثر علينا كثرنا عليكم وإن خفف عنا خففنا عنكم، فغضب وخرج إلى الروم فقدم بهم، وهزمهم الله، وأسر ذلك النبطي، فأتي به إلى عمرو، فقال له الناس: اقتله، فقال: لا، بل انطلق وجئنا بجيش آخر.

وقيل: إنه لما أتى توّجَه[1] وسَوَّره[2] وكساه برنس[3] أرجوان[4]، وقال له: ايتنا بمثل هؤلاء، فرضي بأداء الجزية.

فقيل له: لو أتيت ملك الروم؟ فقال: لو أتيته لقتلني وقال: قتلت أصحابي.

قال: (و) [5] مشت الروم إلى قسطنطين بن هرقل[6] سنة خمس وثلاثين فقالوا: تترك الإسكندرية في أيدي العرب وهي مدينتنا الكبرى؟ فقال: ما أصنع بكم وما تقدرون أن تتماسكوا ساعة إذا لقيتم العرب؟ فاخرج على أن نموت، فتبايعوا على ذلك، وخرج في ألف مركب يريد الإسكندرية، فبعث الله عليهم ريحًا عاتيةً فأغرقتهم، إلا قسطنطين نجا بمركبه[7] فألقته الريح بصقلية[8]، فسألوه عن أمره فأخبرهم، فقال: شأمت النصرانية وأفنيت رجالها، فلو دخل العرب علينا لم نجد من يردهم، ثم صنعوا له الحمّام ودخلوا عليه ليقتلوه، فقال: ويلكم تذهب رجالكم وتقتلون ملككم؟

قالوا: كأنه غرق معهم، ثم قتلوه وخلوا من كان معه في المركب.

---

[1] توّجَه: التاجُ: الإكليلُ. تقول: تَوَجَّهُ فَتَتَوَّجَ، أي ألبسه التاجَ فلبِسهُ. يقال: العمائم تيجان العرب. الصحاح تاج اللغة (1/301)

[2] سَوَّره: ألبسه الأَسَاوِرُ جَمْعُ أَسْوِرَةٍ وأَسْوِرَةٌ جمعُ سِوَارٍ، وَهُوَ سِوَارُ المرأَة وسُوَارُها. لسان العرب (4/388).

[3] برنس: البُرْنُس: كلّ ثوب رأسه منه مُلْتَزِق به. العين (7/343).

[4] أُرْجُوان: وَهُوَ صَبغ أَحْمَر، قد تكلّمت بِهِ الْعَرَب قَدِيما. جمهرة اللغة (3/1236).

[5] ما بين القوسين زيادة في (ن)

[6] قسطنطين بن هرقل: أمبراطور القسطنطينية وهو ابن هرقل الثاني ملك الروم. تاريخ دمشق (29/39)

[7] في (ن) "غرابة"

[8] صِقِلِّيَّةُ: من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية، وهي مثلثة الشكل بين كلّ زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيّام، وقيل: دورها مسيرة خمسة عشر يوما، وإفريقية منها بين المغرب والقبلة، وبينها وبين ريو، وهي مدينة في البر الشمالي الشرقي الذي عليه مدينة قسطنطينيّة. معجم البلدان (3/416). وهي الآن جزيرة كبيرة في البحر المتوسط.

[299/ب] **ذكر غزو أفريقية وفتحها**[1]:

قال: ولما ولي عبد الله بن أبي سرح، كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في إمرة عمرو، فيصيبون من أطراف أفريقية ويغنمون، فكتب إلى عثمان وأخبره بقربها من حوز[2] [3] المسلمين، واستأذنه في غزوها، فندب عثمان الناس إلى ذلك بعد المشورة، فلما اجتمعوا أمّر عليهم الحارث بن الحكم[4] إلى أن يقدموا على عبد الله، فيكون الأمر إليه، فخرج إليها، وكان اسم ملكها: حوير[5]، كان هرقل استخلفه فخلعه، وكان سلطانه ما بين أطرابلس إلى طنجة، ومستقر ملكه يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة[6]، فلما التقوا ولى جرجير[7]، فقتله عبد الله بن الزبير، وهرب الجيش، فبعث عبد الله السرايا، فأصابوا غنائم كثيرة، فسأله رؤساء أفريقية على أن يأخذ منهم مالاً على أن يخرج من بلادهم، فقبل منهم ورجع إلى مصر.

ويقال: أن جرجير لما وقع القتال أبرز بنته وكانت من أجمل النساء[8]، فقال: من يقتل عبد الله بن سعد فله نصف ملكي وأزوجه ابنتي؟ فبلغ ذلك عبد الله فقال: أنا أصدق من العلج، وأوفى بالعهد! من يقتل جرجيرًا فله ابنته، فقتله عبد الله بن الزبير، فدفع إليه عبد الله ابنته.

وبلغ منهم الفارس يومئذ بعد إخراج الخمس ثلاثة آلاف دينار، وللراجل ألف، وكانوا عشرين ألفًا.

---

[1]() الاكتفاء (2/358)، المنتظم لابن الجوزي (4/ 343- 345).

[2]() في (ن) "حرز".

[3]() حوز: الحاء والواو والزاء أصل واحد، وهو الجمع والتجمع، يقال لكل مجمع وناحية حوز وحوزة. وحمى فلان الحوزة، أي المجمع والناحية. مقاييس اللغة (2/117).

[4]() الحارث بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس الأموي أخو مروان سمع أبا هريرة وكان ممن حضر الدار مع عثمان في الحصار. انظر: تاريخ دمشق (11/412).

[5]() في (ن) "جوير".

[6]() قَرْطاجَنّةُ: قيل: إن اسم هذه المدينة قرطا وأضيف إليها جنّة لطيبها ونزهتها وحسنها: بلد قديم من نواحي إفريقية، وهي على ساحل البحر، بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا. وقال عاتق البلادي: "مدينة كانت على ساحل البحر الأبيض من ساحل أفريقية في ما يسمى اليوم بتونس، وكان – فيما روى ياقوت – بينها وبين مدينة تونس اثنا عشر ميلا. وهي بلدة تجاور اليوم تونس مما يلي الشمال حتى كاد عمرانهما يتماس، وهي من القرى السياحية في الجمهورية التونسية. معجم البلدان (4/323)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (1/252).

[7]() تقدمت ترجمته ص (88).

[8]() في (ن) "الناس".

وبعث بالفتح عبد الله بن الزبير فوصل على راحلته من أفريقية في عشرين ليلة، ولما دخل على عثمان أخبره بلقائهم العدو، وبما كان، فأعجبه وقال: هل تستطيع أن تخبر الناس بهذا؟ قال: نعم، فأخذ بيده حتى انتهى به إلى المنبر ثم قال: اقصص عليهم ما أخبرتني، فتلكأ[1] عبد الله بدءًا، ثم تكلم بكلام أعجبهم من بلاغته وفصاحته ووجازته، بحيث أن الزبير كان قد وجد في نفسه من أمر عثمان له بالقيام وإخبار الناس خوفًا أن لا يبلغ الذي يحق[2] عليه والذي يجمل، فلما تكلم وصمت، نهض [300/أ] إليه[3] الزبير فقبل بين عينيه وقال: يا بني، إذا نكحت المرأة فانكحها على شبه أبيها أو أخيها تأتك بأحدهما، والله ما زلت تنطق[4] بلسان أبي بكر الصديق حتى صمتّ[5].

وكان عثمان[6] قد أرسل مع ابن أبي سرح عبد الله بن نافع بن عبد القيس[7]، وعبد الله بن نافع بن الحصين[8]، وأمرهما بالمسير إلى الأندلس[9]، وأمرهما بالاجتماع مع ابن أبي سرح على صاحب أفريقية، ثم يسيران إلى الأندلس، فلما كان الاستيلاء على صاحب أفريقية سارا من فورهما، وأتياها من قبل البحر.

وكان عثمان رحمه الله[10] قد كتب إلى من انتدب إلى[11] الأندلس: «أما بعد: فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن لم تفتحوها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر، والسلام».

[1] تلكأ: أَبْطَأَ وَتَوقَّف واعْتَل، وامْتَنَع. تاج العروس (1/425).

[2] في (ن) "يجب".

[3] قوله: "إليه" سقط من (ن).

[4] في (ن) "ينطق".

[5] انظر الاكتفاء (2/ 360- 361).

[6] هو ابن عفان رضي الله عنه.

[7] لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[8] لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[9] الأَنْدُلُس: جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في الأحوال، وأرض الأندلس من على البحر تواجه من أرض المغرب تونس، والى طبرقة إلى جزائر بني مزغنّاي ثم إلى نكور ثم إلى سبتة ثم إلى أزيلي ثم إلى البحر المحيط. معجم البلدان (1/262). وهي الأراضي التي تشكل اليوم إسبانيا والبرتغال.

[10] قوله: "رحمه الله" سقط من (ن).

[11] في (ن) "من".

ذكر صلح النوبة[1]:

ثم غـزا ابن أبي سـرح الأسـاود وهـم النوبة[2] في سـنة إحـدى وثلاثين، فقـاتلوه قتـالاً شـديدًا، وأصـيبت يومئـذ عين معاوية بن حـديج، وأبي شمر بن أبرهة[3]، وحويـل بن ناشـرة[4]، فسـموا رمـاة الحدق، فهادنهم عبد الله إذ لم يطقهم. فصالحهم على ثلاثمائة رأس وستين رأسًا في كل سنة. وقيل: على أربعمائة منها لفيء المسلمين ثلاثمائة وستون، ولوالي البلد أربعون، وإنما كانت هدنة لا عهد ولا ميثاق.

ذكر البحر والغزو فيه[5]:

ذكر الطبري عن سيف: ألح معاوية بن أبي سفيان على عمر بن الخطاب في غزو البحر وقرب الروم من حمص، وإن قرية من قرى حمص سمع أهلها نباح كلابهم حتى إذا كاد ذلك يأخذ بقلب عمر أحب أن يزود[6] عنه، فكتب إلى عمرو بن العاص: صف لي البحر وراكبه، فإن نفسي تنازعني إليه، وأشتهي خلافها، فكتب إليه عمرو: إني رأيت خلقًا كبيرًا يركبه خلق صغير، إن سكن خوّف [300/ب] القلوب، وإن تحرك راع[7] العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه كدود على عود، إن مال غرق وإن نجا فرق[8].

فلما جاءه الكتاب كتب إلى معاوية: لا والذي بعث محمدًا بالحق بشيرًا ونذيرًا لا أحمل فيه مسلمًا أبدًا.

---

[1]() انظر: الاكتفاء (2/362)، فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم (ص 188، 189).

[2]() النُّوبَة: بلاد النوبة ست مراحل، وبها قبائل من البربر من لواتة وغيرهم، وقد نسب إليهم قوم من أهل العلم، وبعد ذلك بلاد فزان والسودان. معجم البلدان (5/342).

[3]() أبو شمر بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميري ثم الأبرهي. ذكر الرّشاطيّ عن الهمدانيّ في أنساب حمير أنه وفد على النبي صلى اللَّه عليه وسلّم، وقتل مع علي بصفّين. وقال ابن منده: يقال له صحبة، ويوجد ذكره في الأخبار. وذكر غيرهما أنه وفد في عهد عمر فتزوّج بنت أبي موسى الأشعري. ويحتمل أن يكون وفد أولا، ثم رجع إلى بلاده، ثم وفد لما استنفرهم عمر إلى الجهاد. الإصابة (7/175).

[4]() حيويل بن ناشرة بن عامر بن أيم: بن الحارث الكنعيّ، أبو ناشرة. له إدراك، وهو جد قرّة بن عبد الرحمن بن حيويل. أدرك النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلّم ولم يره، شهد فتح مصر، وشهد صفّين مع معاوية. وله رواية عن عمرو بن العاص، وكان أعور أصيبت عينه يوم دنقلة سنة إحدى وثلاثين مع ابن أبي سرح. الإصابة في تمييز الصحابة (2/160).

[5]() انظر: تاريخ الرسل والملوك للطبرى (4/ 258- 261).

[6]() في (ن) "يرد".

[7]() رَاع: راعه رَوْعًا: أي أفزعه، قال الله تعالى: عَنْ إبراهيم الرَّوْعُ. وراعه: أي أعجبه. شمس العلوم (4/2681).

[8]() انظر تاريخ الطبري (4/ 259)، والاكتفاء للكلاعي (2/ 363).

فلما ولي عثمان لم يزل به معاوية، حتى عزم على ذلك، وقال له: لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، خيرهم، فمن اختار الغزو طائعًا فاحمله وأعنه.

ففعل ذلك معاوية، واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحارثي[1]، فغزا خمسين غزاةً من بين صائفة وشاتية في البر والبحر، ولم يغرق معه أحد في البحر ولا نكب[2]، وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده، ولا يبتليه بمصاب أحد منهم، ففعل الله ذلك له، حتى إذا أراد الله[3] أن يصيبه وحده، خرج في قارب طليعة، فانتهى إلى البر من أرض الروم، وعليه سؤال[4] يعبرون ذلك المكان، فتصدق عليهم، فرجعت امرأة من السؤال إلى قريتها، فقالت للرجال: هل لكم في عبد الله بن قيس؟ قالوا: وأين هو؟

قالت: في المرفأ، قالوا: أي عدوة الله، ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس؟ فوبختهم، وقالت: أنتم أعجز مني! أو يخفى عبد الله على أحد؟ فبادروا فهجموا عليه، فقاتلوه وقاتلهم، فأصيب وحده، وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه، حتى أرفوا[5]، والخليفة فيهم سفيان بن عوف الأودي[6] [7]، فخرج فقاتلهم[8]، فضجر وجعل يعبث[9] بأصحابه ويشتمهم، فقالت جارية عبد الله: واعبد الله، ما هكذا كان يقول حين تقاتل! فقال سفيان: وكيف كان يقول؟ قالت: «الغمرات ثم ينجلين[10] »؛ فجعل سفيان يقول ذلك وترك ما كان يقول، وقيل لتلك المرأة: بأي شيء عرفتيه؟

فقالت: بصدقته، أعطى[11] كما يعطي[12] الملوك، ولم يقبض قبض التجار. [301/أ]

---

[1] عبد اللَّه بن قيس الكندي: حليف بني فزارة الحارثي. له إدراك، وكان معاوية يرسله في غزو البحر، فغزا خمسين غزوة ما بين صائفة وشاتية لم ينكب فيها، ولم يغرق معه أحد إلى أن قتل سنة ثلاث أو أربع وخمسين. وكان أول ما غزا سنة سبع وعشرين. الإصابة (5/74).

[2] نكب: النكبة جراحة من وقوعه من دابة ومن وقعة سلاح نفسه ونحوه. مجمع بحار الأنوار (5/648).

[3] قوله: "الله" سقط من (ن).

[4] سُؤَّالٌ: جمعُ سائِلٍ كرُمَّانٍ. تاج العروس (29/159).

[5] أرفوا: أَرفى الرُّبَّانُ السَّفينةَ: أدناها من المرسى. معجم اللغة العربية المعاصرة (2/922).

[6] في (ن) "الأزدي".

[7] تقدمت ترجمته ص (72).

[8] في (ن) "يقاتلهم".

[9] في (ن) "وجلي العتب".

[10] الغَمَرات ثم ينجلين: واحدة الغَمَرات – وهي الشدائد – غَمْرَة، وهي ما تغمر الواقع فيها بشدتها: أي تقهره. مجمع الأمثال (2/58).

[11] في (ن) "يعطي".

[12] في (ن) "تعطي".

[غزو معاوية بن أبي سفيان قبرس[1]][2]:

غزاها معاوية بن أبي سفيان في سنة ثمان وعشرين فيما ذكر الواقدي.

قال[3]: وهو أول من غزا الروم، وغزاها عبد الله[4] بن سعد بن أبي سرح بأهل مصر، فلما التقوا بمعاوية كان الناس ومعه امرأته وأبو الدرداء وشداد بن أوس[5]، وأبو ذر وعبد الله بن عمرو بن العاص في عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم حرام الأنصارية[6] فتوفيت هناك فقبرها يستسقي به أهل قبرس ويسمونه قبر المرأة الصالحة[7].

وهي خالة أنس بن مالك، وحديثها مشهور في نوم النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها ثم استيقظ وهو يضحك، فسألته: ما يضحكه؟ فقال: «ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل يركبون ثبج[8] هذا البحر مثل الملوك على الأسرة»، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم! فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك، فسألته فقال: مثل مقالته الأولى. فقالت: مثل مقالتها

1() قُبْرُسُ: جزيرة في بحر الروم وبأيديهم دورها مسيرة ستة عشر يوما. معجم البلدان (4/305). وهي اليوم دولة أوروبية معروفة.

2() في (ن) "ذكر فتوح قبرس".

3() قوله: "قال" سقط من (ن).

4() قوله: "عبدالله" سقط من (ن).

5() تقدمت ترجمته ص (106).

6() أم حرام الأنصارية: بنت ملحان بْن خالد بْن زيد بْن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بْن عدي بْن النجار، زوج عبادة بْن الصامت، وأخت أم سليم وخالة أنس ابن مالك، لا أقف لَهَا عَلَى اسم صحيح، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمها ويزورها فِي بيتها، ويقيل عندها، ودعا لَهَا بالشهادة، فخرجت مَعَ زوجها عبادة غازية فِي البحر، فلما وصلوا إِلَى جزيرة قبرص خرجت من البحر فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت ودفنت فِي موضعها، وذلك فِي إمارة معاوية وخلافة عُثْمَان. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (4/1931).

7() الاستسقاء بقبور الصحابة والصالحين لا يجوز، وهو من البدع المنكرة، يقول شيخ الإسلام في تحقيق هذه المسألة: "والتوسل إلى الله بغير نبينا صلى الله عليه وسلم – سواء سمي استغاثة أو لم يسم – لا نعلم أحدا من السلف فعله. وأما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ففيه حديث في السنن رواه النسائي والترمذي وغيرهما «أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: إني أصبت في بصري فادع الله لي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وصل ركعتين ثم قل: اللهم أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد يا محمد إني أتشفع بك في رد بصري. اللهم شفع نبيك في وقال: فإن كانت لك حاجة فمثل ذلك فرد الله بصره». . . وللناس في معنى هذا قولان: أحدهما: أن هذا التوسل هو الذي ذكر " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه لما قال: كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فقد ذكر عمر – رضي الله عنه –: أنهم كانوا يتوسلون به في حياته في الاستسقاء ثم توسلوا بعمه العباس بعد موته، وتوسلهم به هو استسقاؤهم به بحيث يدعو ويدعون معه فيكون هو وسيلتهم إلى الله وهذا لم يفعله الصحابة بعد موته ولا في مغيبه، والنبي صلى الله عليه وسلم كان في مثل هذا شافعا لهم داعيا لهم ولهذا قال في حديث الأعمى: اللهم فشفعه في. فعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم شفع له فسأل الله أن يشفعه فيه. والثاني: أن التوسل يكون في حياته وبعد موته وفي مغيبه وحضرته". أ. هـ. انظر: مجموع الفتاوى (1/105).

8() ثبج: الثَّبَجُ أعلى الظَّهرِ من كل شيء. العين (6/99).

الأولى. قال: «أنت من الأولين»، فخرجت في هذه الغزوة فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت[1].

وتوجه من حصن عكا[2] في مائتي مركب، وظفر وأخذ من الأموال والحلي ما لا يحصى.

وصالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار، يؤدونها إلى المسلمين في كل سنة، ويؤدون إلى الروم مثلها، ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك، على أن لا يغزوهم المسلمون، ولا يقاتلوا هم من غزا من خلفهم يريد الخروج إلى أرض المسلمين، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم[3]، وعلى أن يبطرق[4] إمام المسلمين منهم، وألا يتزوجوا في عدونا إلا بإذننا.

قال: وفى هذه السنة، ، ثمان وعشرين، غزا حبيب بن مسلمة[5] سورية من أرض الروم. [301/ب]

غزوة ذات الصواري[6] [7]:

ذكر الواقدي أن أهل الشام خرجوا، وعليهم معاوية بن أبي سفيان، وعلى أهل البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل[8] لما أصاب المسلمون منهم بأفريقية، فخرجوا في جمع لم ير الروم مثله قط منذ كان الإسلام في خمسمائة مركب (وقيل ستمائة) [9]، فالتقوا مع عبدالله بن أبي سرح، فأمن بعضهم بعضًا حتى قرنوا بين سفن المسلمين وأهل الشرك.

قال مالك بن أوس بن الحدثان[10]: كنت معهم، فالتقينا في البحر، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط، وكانت الريح علينا، فأرسينا ساعة، وأرسوا قريبًا منا وسكنت الريح عنا، فقلنا: الأمن بيننا

1() أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء (2788)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فَضْلِ الْغَزْوِ فِي الْبَحْرِ (1912).

2() عَكّا أو (عَكّة): اسم بلد على ساحل بحر الشام وهي الآن مدينة الفلسطينية على ساحل البحر المتوسط، فتحها المسلمون سنة خمس عشرة من الهجرة، على يد معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص. وجاء في الحديث: «طوبى لمن رأى عكة». معجم البلدان (4/143)، المعالم الأثيرة (1/199).

3() قوله: "إليهم" سقط من (ن).

4() بطرق: البِطْريقُ: القائدُ من قوّاد الروم، وهو معرّب، والجمع البَطَارِقَةُ. الصحاح تاج اللغة (4/1450).

5() تقدمت ترجمته ص (133).

6() انظر: الاكتفاء (2/366)، تاريخ الطبري (4/ 288)، المنتظم لابن الجوزي (5/ 12).

7() سميت هذه الغزاة ذات الصواري لكثرة المراكب وصواريها، وكان ذلك في سنة 34 للهجرة. وكانت في البحر من ناحية إسكندرية، وأميرها ابن أبي سرح. التنبيه والإشراف (1/135)، العبر في خبر من غبر (1/25).

8() تقدمت ترجمته ص (171).

9() ما بين القوسين زيادة في (ن).

وبينكم. قالوا: ذلك لكم منا ولنا منكم. قلنا: إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل (منا) [1]، فنخروا نخرةً واحدةً، وقالوا: الماء فدنونا منهم، فربطنا السفن بعضها ببعض، حتى كنا بحيث يضرب بعضنا بعضًا، فقاتلنا أشد القتال، ووثب الرجال على الرجال يضطربون بالسيوف ويتواجئون بالخناجر، حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركامًا[2].

وقال بعض من حضر ذلك اليوم: رأيت الساحل وإن عليه لمثل الظرب[3] العظيم من جثث الرجال، وإن الدم للغالب[4] على الماء.

ولقد قتل يومئذ من المسلمين بشر كثير، وقتل من الكفار ما لا يحصى، وصبروا يومئذ صبرًا لم يصبروا في موطن قط مثله، ثم أنزل الله نصره على أهل الإسلام، وانهزم القسطنطين مدبرًا، وأصابته جراحات مكث فيها.

وأقام عبد الله بذات الصواري أيامًا بعد هزيمة القوم، ثم أقبل راجعًا.

---

[10] () مالك بن أوس بن الحدثان بن عوف النّصري، يكنى أبا سعيد. قال أبو عمر: زعم أحمد بن صالح المصري أنّ له صحبة. قال ابن رشدين عنه: وقال سلمة بن وردان: رأيت جماعة من أصحاب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلم، فعدّه منهم. وذكر الواقديّ عن شيوخه أنّ مالك بن أوس هذا ركب الخيل في الجاهلية. وقد روى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ. ومات بالمدينة سَنَة اثنتين وسبعين. الإصابة (5/525). الطبقات الكبرى (5/42).

[1] () ما بين القوسين زيادة في (ن).

[2] () ركامًا: الرُّكامُ: الرملُ المتراكم، وكذلك السحاب الركام وما أشبهه. شمس العلوم (4/2610).

[3] () الظَّرِب: هو ما ارتفع من الأرض و لم يبلغ أن يكون جبلا. غريب الحديث للخطابي (2/305).

[4] () في (ن) "لغالب".

وعن ابن عبد الحكم أن عبد الله لما نزل ذات الصواري أنزل نصف الناس مع بشر بن أبي[1] أرطأة[2] سريةً في البر، فلما مضوا أتى آت فقال: ما كنت فاعلاً حين ينزل بك ابن هرقل في ألف مركب فافعله الساعة. [302/أ]

وإنما مراكب المسلمين مائتا مركب ونيف. فقام عبد الله فقال: أشيروا عليّ، فما كلمه رجل من المسلمين، فجلس قليلاً لترجع إليهم أفئدتهم، ثم استشارهم فما كلمه أحد ثم قال الثالث: (فقال)[3] إنه لم يبق شيء فأشيروا عليّ، فقال رجل متطوع من أهل المدينة: أيها الأمير، إن الله تعالى يقول: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾[4]، فقال عبد الله: اركبوا باسم الله، فركبوا، وإنما في كل مركب نصف شحنته، قد خرج النصف الآخر مع بسر[5] في البر[6]، فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب، فتأخر ابن هرقل لئلا تصيبه الهزيمة، وجعل تختلف القوارب إليه بالأخبار.

فقال: ما فعلوا بالنبل والنشاب، قال: غلبت الروم. ثم أتوه فقال: ما فعلوا قد نفدت النبل والنشاب فهم يرتمون بالحجارة، قال: غلبت الروم: ثم أتوه فقال: ما فعلوا؟ قالوا: نفدت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف. قال: غلبت الروم. وقرنت المراكب بالسلاسل، فكاد مركب العدو يجر مركب عبد الله إليهم، فقام علقمة بن يزيد العطيفي[7] فضرب[8] السلسلة بسيفه فقطعها.

---

[1]() قوله: "أبي" سقط من (ن).

[2]() بُسْرَ بْنَ أبي أَرْطَأَةَ: عمير بن عويمر بن عمران بن الجليس بن سيار ابن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي. قال محمد بن عمر: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وبسر بن أبي أرطأة صغير، تحول فنزل الشام. وفي رواية غير محمد بن عمر عن الشاميين وغيرهم أنه أدرك النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَرَوَى عَنْهُ أحاديث. وكان قد صحب معاوية. وكان عثمانيًا. وبقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان. الطبقات الكبرى (7/287).

[3]() ما بين القوسين زيادة في (ن).

[4]() سورة البقرة، آية 249.

[5]() في (ن) "بشر".

[6]() قوله: "في البر" سقط من (ن).

[7]() علقمة بْن يَزِيدَ: بْن عَمْرو بْن سَلَمة بْن منية بْن ذهل بْن غطيف بن عَبْد اللَّه بْن ناجية بْن مراد كذا نسبه ابْنُ منده، وَأَبُو نعيم، وفد عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجع إِلَى اليمن، وشهد فتح مصر، وولاه عتبة بْن أَبِي سُفْيَان الإسكندرية فِي خلافة معاوية. أسد الغابة (4/85).

[8]() في (ن) "وضرب".

قالوا: وإنما سميت ذات الصواري لكثرة المراكب التي اجتمعت (فيها) [1] فكثرت الصواري وتقدم ما يدل على أنها اسم موضع.

ذكر فتح[2] العراق وما والاه:

على ما أورده ابن جرير الطبري ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، قالا: حض الله المسلمين على عهد نبيه صلى الله عليه وسلم على الاستقامة على الدين وندبهم إلى فارس، ووعدهم، فتقدم إليهم في ذلك من غزوهم، ليحثهم وليدربهم، فبدأ بالردة فقال [قال تعالى][3]: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[4]، (فسمى من ثبت على دينه بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاكرين) [5]. ثم عاد في وصف من ناهض منهم أهل الردة، والمنافقون حشو في المؤمنين، وإنما يكلم الله ﷻ، المؤمنين بما يعني به المنافقين، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[6]، [302/ب]
فسماهم أحباءه وأثابهم، حيث كانوا أذلةً أرقةً على المؤمنين، أعزةً[7] على الكافرين، يجاهدون، يعني جهادًا بعد جهادهم أهل الردة، يقاتلون من بعدهم أهل فارس، ولا يخافون تخويف من يخوفهم، هذا فضل الله يخص به من يشاء، «وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» عالم به، فهم الشاكرون، وهم الفاضلون، وهم المقربون، وهم أحباء الله.

---

[1]) ما بين القوسين زيادة في (ن).

[2]) في (ن) "فتوح".

[3]) لم يكتبها المؤلف فرأيت وضعها، وتمييز كلام الله عن غيره.

[4]) سورة آل عمران، آية 144.

[5]) ما بين القوسين سقط من (ن).

[6]) سورة المائدة، آية 54.

[7]) في (ن) "أشدة".

وعن علي وابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله عز وجل: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾ الآيتين إلى قوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾[8]، «مغانم»: فتوحًا من لدن خيبر، تلونها وتضمون ما فيها «فعجل لكم هذه» أي عجل لكم من ذلك خيبر، «وكف أيدي الناس عنكم»: أيدي قريش بالصلح يوم الحديبية، «ولتكون آية للمؤمنين»: شاهدًا على ما بعدها ودليلاً على إنجازها، «وأخرى لم تقدروا عليها»: أي (على) [9] علم وقتها، أفيئها عليكم: فارس والروم، «قد أحاط الله بها»: قضى الله بها أنها لكم، منها: الأيام، والقوادس[10]، والواقوصة[11]، والمدائن الحمر بالشام، ومصر، والضواحي، فاجتمعت هذه الصفات فيمن قاتل فارس [303/أ] والروم وسائر الأعاجم ذلك الزمان[12].

ذكر سيف: أن أول ملوك فارس قاتله المسلمون شير بن كسرى، وذلك أن الصديق، رضي الله عنه، لما فرغ من أهل الردة، كتب إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة[6]: أن ائذن للمسلمين في القفل إلا من أحب المقام معك، ولا تكرهن أحدًا على المقام، ولا تستعن في شيء من حربك بمتكاره، وادع من يليك من تميم[7] وقيس[8] وبكر[9] إلى موتان[10] اليمامة،

---

[8]() سورة الفتح، آية 20، 21.

[9]() قوله: "على" سقط من (ن).

[10]() القَوَادِسُ: جمع القادسية التي عند الكوفة، جاءت في شعرهم كذلك كأنها جمعت بما حولها. معجم البلدان (4/410).

[11]() الوَاقُوصَةُ: واد بالشام في أرض حوران نزله المسلمون أيام أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، على اليرموك لغزو الروم. معجم البلدان (5/354).

[12]() انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (22/ 229).

[6]() اليَمَامَة: فتحها أمير المسلمين خالد ابن الوليد عنوة في أيام أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، سنة 12 للهجرة ثم صولحوا، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر، وكانت مركز مسيلمة الكذاب في نجد. معجم البلدان (5/442)، المعالم الأثيرة (1/301).

[7]() بنو تميم: بطن من طابخة وطابخة من العدنانية وهم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة، ، والتميم في اللغة الشديد، قال في العبر: وكانت منازلهم بأرض نجد من هنالك على البصرة واليمامة، وامتدت إلى الغري من أرض الكوفة، ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر، ولم تبق منهم بادية، وورث مساكنهم غزية من طي، وخفاجة من بني عقيل بن كعب، ومن بطونهم حنظلة، وبنو العنبر. نهاية الأرب (1/188).

[8]() تقدم التعريف بها ص (73).

[9]() بنو بكر: بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة. وأمه: هند بنت مُر بن أد، أخت تميم بن مر. ومن بني وائل طائفة ببلاد الشرقية من الديار المصرية بجوار بني سعد، من جذام. قلائد الجمان (1/130).

[10]() موتان الأَرْض إذا لم تعمر. الفروق اللغوية للعسكري (1/104).

فإن موات ما أفاء الله على رسوله لله ولرسوله، فمن أحيا شيئًا من ذلك فهو له، لا يدخل ذلك في شيء من موات كل بلد أسلم عليه أهله.

ففعل فأنزل من هؤلاء الأحياء من أقرن ببني حنيفة[1]، وقفل الناس وبقي خالد في ألفين من القبائل التي حول المدينة، من مزينة[2]، وجهينة[3]، وأسلم[4]، وغفار[5]، وضمرة[6]، وأناس[7] من غوث طيء[8]، ونبذ من عبد القيس[9].

[1] () بنو حنيفة: حي من بكر بن وائل من العدنانية، وهم بنو حنيفة ابن لحيم بن صعب بنعلي بن بكر بن وائل، وكان له من الولد الرول، وعدي، وعامر، وكانت منازل بني حنيفة اليمامة. نهاية الأرب (1/238).

[2] () بنو مزينة: بطن من طابخة من العدنانية، وهم بنو عثمان وأوس ابني عمرو بن أد بن طابخة، ومزينة أمهما عرفوا بها. ومنهم كعب بن زهير بن أبي سلمى ناظم القصيدة المعروفة ببانت سعاد. نهاية الأرب (1/420).

[3] () بنو جُهَيْنَة: حي من قضاعة من القحطانية، وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة، وفي المثل وعند جهينة الخبر اليقين. نهاية الأرب (1/221).

[4] () بنو أسلم: بطن من بني قمعة من العدنانية، وهم بنو أسلم بن قصي بن عامر بن قمعة. نهاية الأرب العرب (1/39).

[5] () بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. منهم الصحابي أبو ذر الغفاري. كانت منازلهم بين مكة والمدينة. أنساب الأشراف للبلاذري (11/124).

[6] () بنو ضَمْرة: بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. من ديارهم: المرّود، وهو موضع بين الجحفة، وودّان والبزواء، وهي أرض بيضاء مرتفعة من الساحل، بين الجار وودّان، من أشد بلاد الله حرا. وركبة بني ضمرة كانوا يجلسون إليها في الصيف، ويغورون إلى تهامة في الشتاء بذات نكيف. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر كحالة (2/668).

[7] () في (ن) "وإياس".

[8] () بنو غوث طيء: بطن من بني رغو بن جذيمة من جرم طي من القحطانية، منازلهم مع قومهم جرم ببلاد غزة من الشام. نهاية الأرب (1/390).

[9] () بنو عبد القيس: بطن من أسد من ربيعة من العدنانية، وهم بنو عبد القيس بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد، قال في العبر: وكانت ديارهم بتهامة، ثم خرجوا إلى البحرين، وكان بها خلق كثير من بكر بن وائل وتميم، فلما نزل بها عبد القيس زاحموهم في تلك الديار قاسموهم في المواطن. نهاية الأرب (1/338).

وقدم على أبي بكر رضي الله عنه المثنى بن حارثة الشيباني، ومذعور بن عدي العجلي[1]، وهما ممن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، وحرملة بن مريطة[2]، وسلمى بن القين[3] الحنظليان[4] وهما من المهاجرين، فقال له حرملة وسلمى: إنا معاشر بني تميم[5] وبكر بن وائل[6] قد دربنا بقتال فارس، وأشجيناهم حتى اتخذوا الخنادق، وغبقوا[7] المياه، واتخذوا المسالح[8] في القصور المشيدة وتحصنوا بها منا، فأذن لنا في حربهم، فأذن لهما فولاهما على من تابعهما، واستعملهما على ما غلبا عليه، فكانا أول من قدم أرض فارس لقتالهم، وهما من صالحي الصحابة، فنزلا أطد[9] بمهملتين وفتحتين، ونعمان[10] بالفتح ثم السكون، والجعرانة[11] في

1() مَذْعور بن عدي العجلي: من أهل العراق، يقال إن له صحبة، شهد مع خالد بن الوليد حصار دمشق ووقعة اليرموك، وله آثار في حرب الفرس. أسد الغابة (5/128).

2() حرملة بن مريطة التيمي: ذكر الطّبريّ أنه كان مع عتبة بن غزوان بالبصرة، فسيّره إلى قتال الفرس بميسان سنة سبع عشرة، وكانت له صحبة وهجرة إلى النبي صلّى اللَّه عليه وسلّم: وسير عتبة معه سلمى بن القين، وكان من المهاجرين أيضًا، فكانا في أربعة آلاف من تميم والرباب. الإصابة (2/46).

3() سلمى بن القين: سلمى بْن سلمى بْن القين بْن عمرو بْن بكر بْن زيد بْن مالك بْن حنظلة بْن مالك بْن زيد مناة بْن تميم التميمي، والحنظلي، له صحبة، وهو مهاجري، كان مع عتبة بْن غزوان بالبصرة، فسيره في جيش إِلَى الأهواز، وله في قتال الفرس أثر حسن. أسد الغابة (2/534).

4() الحنظليان: بنو حنظلة: بطن من نهد من القحطانية، وهم بنو حنظلة ابن نهد، وكان له من الولد سعد، ومسعود منهم الرابقة بنت الحياء التي قتلت بسار الكواعب، وكان عبداً لهم. نهاية الأرب (1/238).

5() تقدم التعريف بها ص (181).

6() تقدم التعريف بها ص (181).

7() غبقوا: غبق فيه: غيثًا "غبقًا"، بفتح معجمة وباء، ولم أر من ذكره والظاهر أنه الغزير العظيم. مجمع بحار الأنوار (5/556).

8() المسالح: المِسْلَحة: قومٌ في عُدَّةٍ قد وُكِّلوا بإزاء ثَغْر، والجميع المِسالِح. وقال في النهاية: "الْمَسْلَحَةُ: القومُ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ الثُّغُور مِنَ الْعَدُوِّ. وسُمُّوا مَسْلَحَةً لِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ ذَوِي سِلَاحٍ، أَوْ لِأَنَّهُمْ يَسْكُنُونَ الْمَسْلَحَة، وَهِيَ كَالثَّغْرِ". العين (3/142). النهاية في غريب الحديث والأثر (2/388).

9() أَطَدٌ: أرض قرب الكوفة من جهة البرّ، نزلها جيش المسلمين في أول أيام الفتوح. معجم البلدان (1/216). ولم أقف عليها في المراجع الحديثة.

10() نَعْمَانُ: هو نعمان الأراك: وهو واد ينبته ويصب إلى ودّان، بلد غزاه النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، وهو بين مكة والطائف، وقيل: واد لهذيل على ليلتين من عرفات، وقال الأصمعي: نعمان واد يسكنه بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، بين أدناه ومكة نصف ليلة، به جبل يقال له المدراء. معجم البلدان (5/293). ولم أقف عليها في المراجع الحديثة.

11() الجِعْرَانَةُ: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي، صلى الله عليه وسلم، لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين وأحرم منها، صلى الله عليه وسلم، وله فيها مسجد، وبها بئار متقاربة. قال البلادي: "لا زالت تعرف في رأس وادي سرف حين تعلقه في الشمال الشرقي من مكة، يعتمر منها المكيون، وبها مسجد، وقد عطلت بئرها اليوم، وكانت عذبة الماء يضرب المثل بعذوبته". معجم البلدان (2/142).. معجم المعالم الجغرافية (1/83).

أربعة آلاف من تميم والرباب[1]، وكان بإزائهما النوشجان والفيرمان[2] بالوركاء[3] بالفتح ثم السكون وكاف وألف ممدودة، فزحفوا إليهما فغلبوهما على الوركاء، وغلبا على هرمزجرد[4] -بالضم ثم السكون وضم الميم والزاي- إلى فرات بادقلي[5][6].

ومن طريق آخر أنهما خرجا وأن الاستئذان كان معهم وأن المثنى ومذعورًا قدما في أربعة آلاف من بكر بن وائل[7] وعنزة[8] وضبيعة[9]، فنزل أحدهما بخفان[10] -بفتح المعجمة وتشديد الفاء-، [303/ب] ونزل الآخر بالمهارق[11]، وعلى فرج الفرس مما[12] يليهما براز بن بندا[13]، فنفياه[14] وغلبا على فرات بادقلي إلى السلحين[15] واتصل ما غلبا عليه وما غلب عليه سلمى وحرملة.

---

[1] () الرِباب: خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدًا واحدة وهم. ضبة، وثور، وعجل، وتيم، وعدي، وبلادهم بجوار بني تميم بالدهنا، وتفرقوا بعد ذلك عن الدهنا ولم يبق منهم أحد هناك. نهاية الأرب (1/133).

[2] () لم أعرفهما ولعلهما قادة الفرس في تلك الواقعة.

[3] () الوَرْكاء: موضع بناحية الروابي ولد به إبراهيم الخليل، عليه السلام، وهو من حدود كسكر. معجم البلدان (5/372). وفي موسوعة ويكيبيديا: "هي الآن مدينة مهجورة وغير مأهولة بالسكان".

[4] () هُرْمُزْجرد: ناحية كانت بأطراف العراق غزاها المسلمون أيام الفتوح. معجم البلدان (5/402). ولم أقف عليها في المعاجم الحديثة.

[5] () فرات بادقلي: موضع مذكور في رسم الغميس. معجم ما استعجم (1/220). ولم أقف عليها في المعاجم الحديثة.

[6] () انظر الاكتفاء (2/ 369- 370).

[7] () تقدم التعريف بها ص (181).

[8] () بنو عنزة: بطن من أسد بن ربيعة، وهم بنو عنزة بن أسد، قال في العبر: وديارهم عن النمر من برية العراق على ثلاث مراحل من الأنبار. نهاية الأرب (1/378).

[9] () بنو ضبيعة: هم بنو ضبيعة بن ربيعة بن نزار. قالَ الْكَلْبِيّ: أول بَيت كَانَ فِي ربيعَة بن نزار كَانَت فِيهِ الرياسة والحكومة واللواء والمرباع يكون ذَلِك كَابِرًا عَن كَابر ويتوارثونه لَا ينازعون فِيهِ ضبيعة بن ربيعَة بن نزار. الإنباه على قبائل الرواة (1/88).

[10] () خَفّانُ: موضع في ديار العراق، قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانا، وهو مأسدة، قيل هو فوق القادسية. نزله خالد بن الوليد عند أول فتحه العراق. معجم البلدان (2/379)، المعالم الأثيرة (1/109).

[11] () المهارق: قيعان مستوية ملس، وَاحِدهَا مهرق، والمهرق الصَّحرَاء الملساء. تهذيب اللغة (5/259)، المخصص (3/77).

[12] () في (ن) "وما".

[13] () براز بن بندا: ملك غرشستان، وهي ولاية برأسها ليس لها سلطان ولا لسلطان عليها سبيل، هراة في غربيها والغور في شرقيها ومرو الروذ عن شماليها وغزنة عن جنوبيها. المسالك والممالك لابن خرداذبة (1/39)، معجم البلدان (4/193).

[14] () في (ن) "وبعثاه".

[15] () سَيْلَحُونَ: قد يعرب إعراب جمع السلامة فيقال: هذه سيلحون ورأيت سيلحين ومررت بسيلحين، ومنهم من يجعله اسما واحدا يعربه إعراب ما لا ينصرف فيقول: هذه سيلحين ورأيت سيلحين ومررت بسيلحين، وذكر سيلحين في الفتوح وغيرها من الشعر يدلّ على أنّها قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية، ولذلك ذكرها الشعراء أيّام القادسية مع الحيرة والقادسية. معجم البلدان (3/298). ولم أقف على ذكرها في المعاجم الحديثة.

وحكى عمر بن شبة: أن المثنى بن حارثة كان يغير على أهل فارس بالسواد[1]، فبلغ أبا بكر والمسلمين خبره، فقال عمر: من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟ فقال قيس بن عاصم[2]: أما إنه غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا قليل العدد، ولا ذليل العمارة، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني[3].

ثم إن المثنى قدم على أبي بكر فقال: يا خليفة رسول الله، ابعثني في قومي، فإن فيهم إسلامًا، أقاتل بهم أهل فارس، وأكفك أهل ناحيتي من العدو. ففعل ذلك أبو بكر، فقدم المثنى العراق، فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد حولاً، ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة[4] إلى أبي بكر يسأله المدد، ويقول: إنك إن أمددتني وسمعت بذلك العرب أسرعوا إليّ وأذل الله المشركين، مع أني أخبرك يا خليفة رسول الله، أن الأعاجم تخافنا وتتقينا. فقال له عمر: يا خليفة رسول الله ابعث خالد بن الوليد مددًا للمثنى بن حارثة، يكون قريبًا من أهل الشام، فإن استغنى عنه أهل الشام ألح على أهل العراق حتى يفتح الله على يده.

(قال) [5]: فهذا الذي أهاج الصديق إلى بعث خالد إلى العراق.

ويروى أنه ولاه حرب العراق لما قضى ما أراد (قضاءه) [6] من اليمامة، وكتب إلى المثنى ومذعور وسلمى وحرملة أن يسمعوا له ويطيعوا.

---

[1] السَّوَادُ: موضعان: أحدهما نواحي قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها فيما أحسب، والثاني يراد به رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار. معجم البلدان (3/272).

[2] قيس بن عاصم: بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس التميمي السعدي أبو علي، ويقال أبو قبيصة، ويقال أبو طلحة المنقري، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم سنة تسع فأسلم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم "هذا سيد أهل الوبر" وكان عاقلاً حليمًا سمحًا، قيل للأحنف ممن تعلمت الحلم، قال: "من قيس". الإصابة في تمييز الصحابة (5/367).

[3] انظر الاكتفاء (2/ 371).

[4] مسعود بن حارثة: الشيبانيّ من شجعان العرب في الجاهلية وصدر الإسلام. سكن الحيرة (في العراق) مع أخيه المثنى، في أيام أبي بكر. وانتقل إلى بابل وشهد وقائع الفرس، فأبلى فيها البلاء الحسن. وقتل في وقعة البويب على مقربة من الكوفة. الأعلام للزركلي (7/217).

[5] قوله: "قال" سقط من (ن).

[6] قوله: "قضاءه" سقط من (ن).

[304/أ] **أخبار الأيام في زمان خالد بن الوليد رضي الله عنه** [1]:

وكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد: إني قد وليتك حرب العراق، فاحشد من ثبت على الإسلام، وقاتل أهل الردة ممن بينك وبين العراق، من تميم[2] وقيس[3] وأسد[4] وبكر بن وائل[5] وعبد القيس[6]، ثم سر نحو فارس، واستنصر الله عز وجل، وادخل العراق من أسفل العراق، فابدأ بفرج الهند، وهو يومئذ الأبلة[7]، وتألف أهل فارس، ومن كان في مملكتهم من الأمم، وأنصفوا من أنفسكم فإنكم كنتم خير أمة أخرجت للناس.. نسأل الله أن يجعل من ألحقه بنا وصيره منا خير متبع بإحسان.. فإن فتح الله عليك فعارق[8] [9] حتى تلقى عياضًا..

وكتب إلى عياض بن غنم[10] وهو بين الحجاز والنباج[11]—بكسر النون وآخره ضم—: أن سر حتى تأتي المِصَيَّخُ [12]– في المراصد: بضم الميم وفتح الصاد المهملة وياء مشددة وحاء معجمة، بين

---

[1] انظر: الاكتفاء (2/372)، الطبري (3/ 343- 350)، الكامل لابن الأثير (2/ 261، 263)، البداية والنهاية لابن كثير (6/ 342، 343)، تاريخ ابن خلدون (2/ 78).

[2] تقدم التعريف بها ص (184).

[3] تقدم التعريف بها ص (75).

[4] بنو أسد: حي من بني خزيمة من العدنانية، وهم بنو أسد بن خزيمة ابن مدركة، وكان لأسد هذا من الولد، دودان، وكاهل، وعمرو، وصعب، وحلمة، وأمهم أودة بنت زيد، أخت نهد ابن زيد. قال في العبر: وهم بطن كبير متسع وذو بطون، قال: وبلادهم مما يلي الكرخ من أرض نجد في مجاورة طي. نهاية الأرب (1/37).

[5] تقدم التعريف بها ص (181).

[6] تقدم التعريف بها ص (182).

[7] الْأُبُلَّةِ: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأن البصرة مصّرت في أيام عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى، وقائد. معجم البلدان (1/77).. وفي موسوعة ويكيبيديا: "مدينة بالعراق بينها وبين البصرة مسافة 24 كيلومتر"..

[8] في (ن) "ففارق".

[9] فعارق: قال الطائي: العرق: الطريق يعرقه الناس حتى يستوضح. قال: ومُسْتَنِير بالفلاةِ عارقِ. الجيم لأبي عمرو الشيباني (2/286).

[10] عياض بْن غنم: بْن زُهَيْر بْن أَبِي شداد الْقُرَشِيّ أَبُو سَعد لَهُ صحبة، أسلم قبل الحديبية وشهدها، وكان بالشام مَعَ ابْن عمه أَبِي عبيدة بْن الجراح، ولما توفي أَبُو عبيدة استخلفه بالشام، فأقره عُمَر، وقَالَ: ما أَنَا بمبدل أميرًا أمره أَبُو عبيدة. وهو الَّذِي فتح بلاد الجزيرة، وصالحه أهلها، وكان موت عياض سنة عشرين، وكان صالحًا فاضلاً سمحًا، وكان يسمى زاد الركب، يطعم النَّاس زاده، فإذا نفد نحر لهم جمله. أسد الغابة (4/315).

[11] النِّبَاجُ: قال أبو منصور: وفي بلاد العرب نباجان أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر وهو بحذاء فيد والآخر نباج بني سعد بالقريتين، وقال غيره: النباج منزل لحجاج البصرة، وقيل: النباج بين مكة والبصرة للكريزيّين، ونباج آخر بين البصرة واليمامة بينه وبين اليمامة غبّان لبكر بن وائل، والغب: مسيرة يومين. معجم البلدان (5/255). و لم أقف عليها في المعاجم الحديثة.

حوراء[1] والقلت[2] كان به وقعة هائلة لخالد على بني تغلب[3] – فاحشد من بينك وبينها ممن ثبت على إسلامه، وقاتل أهل الردة فابدأ بهم، ثم ادخل العراق من أعلاها فعارق[4] حتى تلقى خالدًا.

فاستمد خالد أبا بكر قبل خروجه من اليمامة، فأمده بالقعقاع بن عمرو[5] التميمي، واستمده عياض قبل تحركه، فأمده بعبد بن عوف الحميري[6]، وقيل لأبي بكر: أتمد خالدًا برجل قد أرفض عنه الناس؟ فقال: لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع، وسيحشر من بينه وبين أهل العراق.

وكتب خالد إلى المثنى ومذعور وحرملة وسلمى ليلحقوا به، وأمرهم[7] أن يغزوا جنودهم الأبلة ليوم سماه(سمان) [8]، فقدم في عشرة آلاف إلى ثمانية آلاف ممن كان مع الأمراء الأربعة، وكتب إليهم أبو بكر: استعينوا بالله واتقوه، وآثروا أمر الآخرة على الدنيا، يجمع الله لكم بطاعته الدنيا إلى الآخرة، ولا تؤثروا الدنيا فتعجزكم، ويسلبكم الله بمعصيته الدنيا والآخرة، فما أهون العباد على الله إذا [304/ب]
عصوه.

وعنى خالد تعبئته وسأل عن أدلاء، فأحضر إليه ثلاثة: ظفر بن عمرو السعدى[9]، ورافع بن عميرة الطائي[10]، ومالك بن عباد الأسدى[11] ويقال[12] بأسمائهم.

12() المِصَيَّخُ: يقال له مصيخ بني البرشاء: وهو بين حوران والقلت – وهما من أعمال دمشق – وكانت به وقعة هائلة لخالد على بني تغلب. معجم البلدان (5/144). وفي موسوعة ويكيبيديا: "موقع بالشام مما يلي العراق".

1() حوْراءُ: قيل: الحوراء مرفأ السفن من البحر إلى المدينة. وقيل الحوراء: ماء لبني نبهان من طيىء، قرب ماء يقال له: القلب لبني ربيعة من نمير. مراصد الاطلاع (1/ 435). ولم أقف عليها في المعاجم الحديثة.

2() القَلْتُ: موضع بالشام، فيه بئر. مراصد الاطلاع (3/1116). ولم أقف عليها في المعاجم الحديثة.

3() بنو تَغلِب: حي من وائل من ربيع من العدنانية، والنسبة إليهم تغلبي، وهم بنو تغلب بن وائل. نهاية الأرب (1/186).

4() في (ن) "ففارق".

5() قوله: "عمرو" سقط من (ن).

6() عبد بن غوث الحميري: ذكر سيف أن أبا بكر الصّديق بعثه إلى عياض بن غنم لما استمده من العراق، وشكا قلّة من معه. الإصابة (5/86).

7() في (ن) "فأمرهم".

8() ما بين القوسين زيادة في (ن).

9() لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

10() رافع بن عَمِيرَة الطَّائِي: يُكْنَى أبا الحَسَن، وهو رافع بن أبي رافع الذي غزا مع أبي بَكْر الصِّدِّيق، وهو الذي قطع ما بين الكوفة ودمشق في خمس ليال. المؤتلف والمختلف للدارقطني (3/1704).

11() لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

12() في (ن) "وتفائل".

وتوخى الصحابة رضي الله عنهم و لم يدخر إلا من له صحبة وسرحهم ثلاث فرق، فواعدهم[1] الحفير[2] ليجتمعوا به ويصادموا عدوهم.

وكان فرج الهند أعظم فروج فارس شأنًا وأشده شوكةً، وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر.

وكتب خالد[3] إلى هرمز صاحب الثغر: أما بعد، أسلم تسلم، أو اعقد لنفسك وقومك[4] الذمة وأقر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

فلما ورد على هرمز الكتاب كتب بالخبر إلى شيرى بن كسرى، وإلى أزدشير بن شيرى، وجمع جموعه ثم تعجل إلى الكواظم[5] في سرعان أصحابه ليتلقى خالدًا، وسبق حلبته فلم يجد طريق خالد، وبلغه أنهم تواعدوا الحفير، فعاج[6] يبادر خالدًا إليه، فنزله[7] فعبأ به، وجعل على مجنبتيه أخوين يلاقيان أزدشير وشيرى آل أزدشير الأكبر، يقال لهما: قباذ وأنوشجان، واقترنوا في السلاسل، فقال لهم بعضهم: قيدتم أنفسكم لعدوكم، فلا تفعلوا فإن هذا طائر سوء. فأجابوهم: أما أنتم فتحدثوننا أنكم تريدون الهرب. فلما أتى خالدًا الخبر بمنزل هرمز أمال الناس إلى كاظمة، وبلغ ذلك هرمز، فبادره إليها فنزلها وهو حسير[8] [9].

وكان من أسوء أمراء ذلك الفرج جوارًا للعرب، فكل العرب عليه مغيظ، وكانوا يضربونه مثلاً في الخبث والمكر.

---

[1] في (ن) "وواعدهم".

[2] الحَفِير: وهو القبر في اللغة: وهو موضع بين مكة والبصرة. قال في أحسن التقاسيم: "والمسافة من البصرة إلى الحفير 18 ميلا". معجم البلدان (2/277). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (1/251).

[3] قوله: "خالد" سقط من (ن).

[4] قوله: "وقومك" سقط من (ن).

[5] الكَوَاظِم: على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب واستسقاؤها ظاهر، وقد أكثر الشعراء من ذكرها. معجم البلدان (4/431).

[6] عاج: العَيْج: الإقبال على الشيء، يقال: ما عُجْتُ بكلامه: أي لم أقبل عليه و لم أُبالِ به. ويقال: أكل طعامًا فما عاج به: أي لم ينتفع به. وشرب ماءً فما عاج منه: أي لم يَرْوَ منه. ويقال: ما عِجت به: أي لم أرضَ به. شمس العلوم (7/4859).

[7] في (ن) "فنزل".

[8] حسير: حَسَرْتُ كُمِّي عن ذراعي أحْسِرُهُ حَسْرًا: كشفت. والحاسِرُ: الذي لا مِغْفَرَ له ولا دِرع. الصحاح (2/629).

[9] انظر الاكتفاء (2/ 374).

وبعث[1] هو وأصحابه والماء في أيديهم ونزل خالد على غير ماء فقالوا له في ذلك، فنادى: [305/أ]
ألا انزلوا وحطوا أثقالكم، ثم جالدوهم على الماء، فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين. فحطت الأثقال والخيل وقوف، وتقدم الرجل ثم زحف إليهم حتى لاقاهم، فاقتتلوا، وأرسل الله سبحانه سحابة فأغدرت[2] ماءً وراء صف المسلمين فقواهم بها، وما ارتفع النهار وفي الغائط[3] مقترن.

وأرسل[4] هرمز أصحابه ليغدروا بخالد، ثم خرج فنادى رجل: أين خالد؟ وقد عهد إلى فرسانه عهده. فلما برز خالد نزل هرمز ودعاه إلى البراز، فبرز خالد يمشي إليه، فالتقيا فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد، وحملت حامية هرمز وغدرت، فاستلحموا[5] خالدًا فما شغله ذلك عن قتله.

وحمل القعقاع بن عمرو، واستلحم حماة هرمز، فأتاهم وخالد يماصعهم[6]، فانهزم أهل فارس، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل، وجمع خالد الرثاث[7] والسلاسل، فكان وقر بعير، ألف رطل، فسميت ذات السلاسل.

وكان أهل فارس يجعلون قلانسهم[8] على قدر أحسابهم في عشائرهم، فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف، وتمام شرفه أن يكون من البيوتات السبعة، فكان هرمز ممن تم شرفه، فكانت قيمة قلنسوته مائة ألف، فنفلها أبو بكر، رحمه الله، خالدًا، وكانت مفصلة بالجوهر.

ثم نادى خالد بالرحيل، وسار بالناس، واتبعته الأثقال حتى نزل موضع الجسر الأعظم من البصرة[9] اليوم، وقد أفلت قباذ وأنوشجان، وبعث خالد بالفتح وما بقي من الأخماس والفيل مع

[305/ب]

1() في (ن) "وتعبأ". وهو الصواب.

2() في (ن) "فانحدرت". فأغدرت: أغدَرْتُ الشَّيْء – بقيّته وَمِنْه الغدير من الماء. المخصص (3/300).

3() الغائط: المطمئن من الأرض. شمس العلوم (8/5028).

4() في (ن) "فأرسل".

5() استُلحِمَ الرجُلُ: إذا أُرْهِقَ فِي الْقِتَال. تهذيب اللغة (5/68).

6() يماصعهم: المصْع: الضَّرْب بِالسَّيْفِ. تهذيب اللغة (2/39).

7() الرِّثاث: وَاحِدهَا رثَّة وَهِي الْأَمْتِعَة الردئية من الْغَنَائِم. غريب الحديث لابن قتيبة (2/433).

8() القلانس واحدتها قَلَنْسُوة. وهي من من ملابس الرُّؤوس مَعْرُوفٌ. لسان العرب (6/181).

زر بن كليب[1]، فطيف بالفيل في المدينة ليراه الناس، فرده أبو بكر، ثم بعث خالد المثنى في آثار القوم حتى انتهى إلى نهر المرأة وإلى الحصن الذي فيه المرأة، فخلف المثنى عليها من حاصرها في قصرها، ومضى إلى الرجل ثم استتر لهم عنوة فقتلهم واستبى أموالهم، فلما رأت المرأة ذلك صالحت المثنى وأسلمت، فتزوجها، ولم يحرك[2] خالد وأمراؤه الفلاحين في شيء من فتوحهم لتقدم أبي بكر فيهم، وسبى أولاد المقاتلة الذين كانوا يقومون بأمور الأعاجم، وأقر من لم ينهض من الفلاحين وجعل لهم الذمة.

وبلغ سهم الفارس يوم ذات السلاسل والثني ألف درهم، والراجل على الثلث من ذلك.

حديث الثّني[3] والمذار[4] [5]:

والثني ضبطه في المراصد بكسر أوله وسكون ثانيه، وياء مشددة، والمذار: بالفتح والمعجمة واحدة دا[6]، وكانت وقعة المذار في صفر سنة اثنتي عشرة، ويومئذ قال الناس: صفر الأصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الأنهار.

---

[9] () البَصْرَةُ: بالعراق بينه وبين دجلة أربعة فراسخ، قال ابن الأنباري: البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة. وهي من أعظم المدن التي قامت في صدر الإسلام، اختطها المسلمون عند فتح العراق، فقيل إنه لم تبق قبيلة من العرب لم يكن منها في البصرة حاضر. قال عاتق البلادي: "وهي ميناء العراق، تقع على الشاطئ الغربي لشط العرب قرب مصبه في الخليج. أهم صادراتها التمر، وسكانها من العرب الأقحاح". معجم البلدان (1/430)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (1/44).

[1] () زر بن كليب: زر بْن عَبْد اللَّهِ بْن كليب الفقيمي قال الطبري: له صحبة، وهو من المهاجرين، وهو من أمراء الجيوش في فتح خوزستان، كان عَلَى جيش حصر جند نيسابور، وفتحها صلحًا. أسد الغابة (2/312).

[2] () في (ن) "يزل".

[3] () الثِّنْيُ: الثّني من كل نهر أو جبل منعطفه، ويقال: الثني اسم لكل نهر، ويوم الثني لخالد بن الوليد على الفرس قرب البصرة. قال في المعالم الأثيرة: "القرية التي كان منها صهيب بن سنان، وهي من قرى العراق". معجم البلدان (2/86)، المعالم الأثيرة (1/78).

[4] () المَذَارُ: في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام. معجم البلدان (5/88). ولم أقف عليها في المعاجم الحديثة.

[5] () انظر: الاكتفاء (2/376)، الطبري (3/ 351، 352)، الكامل لابن الأثير (2/ 263).

[6] () في (ن) "وآخره راء".

[306/أ] ولما وصل كتاب هرمز إلى ملكهم بخبر خالد أمده بقارن بن قريانس[1]، فخرج من المدائن[2] حتى إذا انتهى إلى المذار بلغته الهزيمة؛ وانتهى إليه الفلال[3] فتذامروا[4]، وقال الفلال لبعضهم: لئن افترقتم لم تجتمعوا بعدها أبدًا؛ فاجتمعوا على العدو مرة واحدة، فهذا مدد الملك وهذا قارن، لعل الله يديلنا[5] وندرك بعض ما أصابوا منّا. ففعلوا بالمذار، واستعمل قارن على مجنبتيه قباذ وأنوشجان، فأرسل المثنى إلى خالد بالخبر؛ فعند ذلك قسم خالد الفيء على من أفاء الله عليه، ونفل من الخمس ما شاء الله، وبعث مع الوليد بن عقبة[6] ببقيته، وبالفتح إلى أبي بكر، وبالخبر عن القوم، واجتماعهم، وخرج خالد إليهم حتى ينزل المذار، فالتقوا وخالد على تعبئته، فاقتتلوا على حنق[7] وحفيظة[8]، وخرج قارن يدعو إلى البراز، فبرز له خالد وأبيض الركبان معقل بن الأعشى بن النباش[9]، فابتدره، فسبقه إليه معقل فقتله، وقتل عاصم أنو شجان، وقتل عدي قباذ. وكان شرف قارن قد انتهى؛ ثم لم يقاتل المسلمون بعده أحدًا انتهى شرفه في الأعاجم.

وقتلت فارس مقتلة عظيمة؛ فضموا السفن ومنعت المياه المسلمين من طلبهم. وأقام خالد بالمذار، وسلم الأسلاب لمن سلبها بالغةً ما بلغت وقسم الفيء ونفل من الأخماس ما نفل في أهل البلاء، وبعث ببقيتها إلى أبي بكر.

---

[1] () قارن بن قريانس: أمير جيش الفرس الذي أرسله أردشير لإمداد هرمز. البداية والنهاية لابن كثير (6/379).

[2] () المدَائِن: بالعراق، فتحها سعد بن أبي وقّاص في صفر سنة 16 في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وآثارها وأسماؤها باقية. انظر معجم البلدان (5/75). وفي موسوعة ويكيبيديا: "مدينة عراقية تقع على بعد بضعة كيلومترات جنوب شرق بغداد".

[3] () الفلال: الفَلّ: المُنْهزِمُون. والجميع: الفُلاَّل. تهذيب اللغة (15/241).

[4] () تذامروا: تَحاضُّوا عَلَى الْقِتَالِ. والذَّمْرُ: الحَثُّ مَعَ لَوْمٍ واسْتِبْطاءٍ. لسان العرب (4/312).

[5] () يديلنا: دَال يدول دَوْلاً، وَهِي الدِّوَل. وتداول القومُ الشيءَ بَينهم، إِذا صَار من بَعضهم الى بعض. جمهرة اللغة (2/682).

[6] () الوليد بن عقبة: بن معيط أسلم يوم الفتح فتح مكة هُوَ وأخوه خالد بن عقبة، ولاه عثمان رضي الله عَنْهُ الكوفة، وعزل عنها سعد بن أبي وقاص، وَكَانَ من رجال قريش ظرفا وحلما، وشجاعة وأدبا، وَكَانَ من الشعراء المطبوعين. أسد الغابة (5/420).

[7] () حنق: الحَنَق: شِدَّةُ الاغتِياظ. العين (3/51).

[8] () الحفيظة: من التَحَفُّظ: وهو قِلّة الغَفْلة حَذَرًا من السَّقْطة في الكلام والأمور. انظر: العين (3/198).

[9] () معقل بن الأعشى بن النّباش، كان يعرف بأبيض الركبان. له إدراك، وله مشاهد مشهورة في قتال الفرس، وكان مع خالد بن الوليد من سنة اثنتي عشرة وما بعدها. الإصابة (6/241).

وعن أبي عثمان[1]: قتل ليلة المذار ثلاثون ألفًا سوى من غرق، ولولا المياه لأتى على آخرهم، و لم يفلت منهم أحد إلا عراة أو أشباه العراة.

وأقام خالد بالثني يسبي عيالات المقاتلة ومن أعانهم، وأقر الفلاحين ومن أجاب إلى الخراج من جميع الناس بعد ما دعوا، وكل ذلك فتح عنوة، ولكن دعوا إلى الجزاء[2] فأجابوا وتراجعوا، وصاروا ذمة، وصارت أرضهم خراجًا، ومن ذلك السبي كان حبيب أبو الحسن البصرى[3]، وكان نصرانيًا.

وأمر خالد على الجزاء سويد بن مقرن المزني[4]، وأمره بنزول الحفير، وأمر ببث عماله، ووضع يديه في الجبابة، وأقام لعدوه يتحسس الأخبار.

[1] () أبو عثمان النهدي: اسمه: عبد الرحمن بن مل، متفق على توثيقه، أخرج له الجماعة، انظر: التهذيب (6/ 277).

[2] () يُقَال: جَزَيتُ فلَانا حَقَّه، أَي قَضَيْتُه، وأَمَرْتُ فلَانا يَتَجَازَى دَيْنِي، أَي يَتَقَاضَاه. تهذيب اللغة (11/ 99). ولعل المراد: أنهم دعوهم إلى الحساب والمعاقبة فأجابوا وتراجعوا.

[3] () الحسن بن أبي الحسن البصري: كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة واسم أبي الحسن يسار، مولى الأنصار. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه ومات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمانين سنة. طبقات الفقهاء (1/87)، وفيات الأعيان (2/69).

[4] () سُوَيْدِ بْنِ مُقَرِّنٍ: بْن عائذ بْن أد المزني، أخو النعمان بْن مقرن، ويقال لولد عثمان بْن عمرو، وأخيه أوس: مزينة، نسبوا إِلَى أمهم مزينة بنت كلب بْن وبرة، يكنى أبا عدي، وقيل: أَبُو عمرو. سكن الكوفة. أسد الغابة (2/600).

وقال عاصم بن عمرو[1] في ذلك من أبيات:

فلم أر مثـــل يـــوم السـيب[2] حـــتى	**رأيت الثـــــني تخضـــــبه الـــــدماء**
وألـــــوت[3] خيلنــــا لمـــا التقينا	**بقـــارن والأمـــور لهـــا انتهـــاء[4]**

حديث الولجة[5] وهي مما يلي كسكر[6] من البر[7]:

وكَسْكَر: بالفتح ثم السكون وكاف أخرى وراء ومعناه كورة واسعة-وكانت في صفر سنة اثنتي عشرة.

لما بلغ أردشير[8] مصاب قارن وأهل المذار، أرسل إليهم الأندرزغر، وكان فارسيًا من مولدي السواد وتنائهم[9]؛ ولم يكن ممن ولد بالمدائن ونشأ بها، وأرسل بهمن جاذويه في أثره، [306/ب]

[1] () عاصم بن عمرو: التميمي، أخو القعقاع بن عمرو، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكره سيف بن عمرو، ولا يصح لهما عند أهل الحديث صحبة ولا لقاء ولا رواية. والله أعلم. وكان لهما بالقادسية مشاهد كريمة، ومقامات محمودة، وبلاء حسن. الاستيعاب (2/784).

[2] () في (ن) "السبت".

[3] () ألوت: الْعَرَبُ تَقُولُ: أَتاني فِي حَاجَةٍ فأَلَوْت فِيهَا أَي اجْتَهَدْتُ. لسان العرب (14/40).

[4] () انظر الاكتفاء (2/ 278).

[5] () الوَلَجَةُ: بأرض كسكر موضع مما يلي البرّ واقع فيه خالد بن الوليد جيش الفرس فهزمهم، ذكره في الفتوح، في صفر سنة 12. معجم البلدان (5/383). ولم أقف على ذكر لها في المعاجم الحديثة.

[6] () كَسْكَرُ: حدّ كورة كسكر من الجانب الشرقي في آخر سقي النهروان إلى أن تصبّ دجلة في البحر كله من كسكر فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها. معجم البلدان (4/461). وفي موسوعة ويكيبيديا: "أدى تحول مجرى دجلة وبناء الحجاج لمدينة واسط على الضفة المقابلة لها إلى تضاءل أهميتها، وهجرت البلدة بشكل نهائي بحلول القرن الثاني عشر الميلادي".

[7] () انظر: الاكتفاء (2/378)، الطبري (3/ 353، 354)، الكامل لابن الأثير (263، 264)، البداية والنهاية لابن كثير (6/ 345).

[8] () في (ن) "أزدشير".

[9] () تنأت بالبلد تنوءا: قطنته، والتانئ من ذلك. وهم تِناءُ البلد. الصحاح (1/38).

وكان رافد[1] فارس في[2] يوم من أيام شهرهم، وذلك أنهم بنوا شهورهم كل شهر على ثلاثين يومًا؛ فكان لأهل فارس في كل يوم رافد نصب لذلك يرفدهم عند الملك؛ فكان بهمن أحدهم، فخرج الأندرزغر سائرًا من المدائن حتى أتى كسكر، ثم جازها إلى الولجة، وخرج بهمن جاذويه في أثره، فأخذ غير طريقه فسلك أوسط السواد، وقد حشد الأندرزغر من بين الحيرة[3] وكسكر من عرب الضاحية[4] والدهاقين[5] فعسكروا إلى جنب عسكره بالولجة؛ فلما اجتمع له ما أراد واستتم له أعجبه ما هو فيه، وأجمع المسير إلى خالد[6].

ولما بلغ خالدًا خبره ونزوله الولجة، نادى بالرحيل، وخلف سويد بن مقرن[7] ، وأمره بلزوم الجفير[8]، وتقدم إلى من خلف بأسفل دجلة، وأمرهم بالحذر وقلة الغفلة، وترك الاغترار، وخرج في الجنود نحو الولجة، حتى نزل على الأندرزغر[9] وجنوده ومن تأشب[10] إليه، فاقتتلوا قتالاً شديدًا؛ هو أعظم من قتال الثني، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ، واستبطأ خالد كمينه؛ وكان وضع لهم كمينًا في ناحيتين، عليهم بسر بن أبي رهم[11] وسعيد بن مرة العجلي[12]، فخرج الكمين من

---

[1] () الرفد: جمع رافد وَهُوَ الْمعِين أَي إِذا حزب أَمر حشد بَعضهم بَعْضًا وتساندوا وتظاهروا وصاروا يدا وَاحِدَة وهم معاوين فِي الخطوب. الفائق في غريب الحديث (2/387).

[2] () قوله: "في" سقط في (ن).

[3] () الحِيرَةُ: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النّجف. وهي في العراق كانت قاعدة المناذرة، بين النجف والكوفة، فتحها خالد بن الوليد. قال في المعالم الأثيرة: "وقد احتلت اليوم مدينة النجف موقع الحيرة على أميال من آثار الكوفة". معجم البلدان (2/328)، المعالم الأثيرة (1/108).

[4] () عرب الضاحية: هم عدة قبائل تسكن الحيرة، منهم مذحج وحمير وطيّء وكلب وتميم، وكانوا بادية يسكنون المظالّ وخيم الشعر ولا ينزلون بيوت المدر، وكانت منازلهم فيما بين الأنبار والحيرة، فكانوا يسمّون عرب الضاحية. معجم البلدان (2/330).

[5] () الدهاقين: الدهْقَان بِكَسْر الدَّال وَيُقَال بضَمهَا أَيْضا فَارسي مُعرب وهم زعماء فلاحي الْعَجم ورؤساء الأقاليم سموا بذلك لترفهم وسعة عيشهم من الدهقنة وَهِي تليين الطَّعَام. مشارق الأنوار (1/262).

[6] () انظر تاريخ الطبري (3/ 353)، والاكتفاء (2/ 278).

[7] () تقدمت ترجمته ص (192).

[8] () لعلها الحفير، وقد تقدم التعريف بها ص (188).

[9] () في (ن) "الأندرزغر".

[10] () تأشب: يقال: تَأَشَّبَ أَصْحَابُه أي اجتَمعُوا إِلَيْهِ وأَحاطوا بِهِ. غريب الحديث للخطابي (1/465).

[11] () بُسْر بن أبي رُهْم: الجهَنِيّ، شهد اليمامة، وهو صاحب جَبّانة بسر الكوفة. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر (1/86).

[12] () سعيد بن مرّة العجليّ: ذكر سيف والطبري أنّ المثنى بن حارثة استعمله بالعراق سنة اثنتي عشرة، وكان من أشدّ النّاس على نصارى بني تغلب. واستدركه ابن فتحون. وقد تقدّم أنهم لم يكونوا يؤمّرون إلا الصّحابة. الإصابة (3/97).

وجهين، فانهزمت صفوف الأعاجم وولوا؛ وأخذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم، فلم ير رجل منهم مقتل صاحبه؛ ومضى الأندرزغر[1] في هزيمته، فمات عطشًا. وقام خالد في الناس خطيبًا يرغبهم في بلاد العجم، ويزهدهم في بلاد العرب، وقال: ألا ترون إلى الطعام كالتراب، والله لو لم يلزمنا الجهاد في الله، والدعاء إليه، ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن تثاقل عما أنتم عليه[2].

وسار في الفلاحين سيرته، وبارز خالد يوم الولجة رجلاً من فارس يعدل بألف رجل فقتله، فلما فرغ اتكأ عليه، ودعا بغذائه. [307/أ]

وقال خالد يذكر ذلك اليوم:

نهكناهم[3] بها حتى استجاروا ... ولولا الله لم يبرزوا قبالاً[4]

فولوا الله نعمته وقولوا ... ألا بالله نحتضر القتالا[5]

حديث أليس[6]، على صلب الفرات[7]:

بوزن فُليس، ولما أصاب خالد يوم الولجة من نصارى بكر بن وائل[8] غضب لهم نصارى قومهم؛ فكاتبوا الأعاجم، فاجتمعوا إلى أليس، وعليهم عبد الأسود العجلي[9].

---

[1] في (ن) "الأندرزغر".

[2] وهذا من خالد رضي الله عنه – إن ثبت – هو ترغيب لهم في الجهاد فقط، وليس هذا هو هدفهم وغايتهم من الجهاد، وإنما هو فقط من باب إغراء الناس بالجهاد كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم.

[3] نهكناهم: النون والهاء والكاف أصل صحيح يدل على إبلاغ في عقوبة وأذى. ونهكته الحمى: نقصت لحمه. وأنهكه السلطان عقوبة: بالغ. ومن الباب انتهاك الحرمة: تناولها بما لا يحل. والنهيك: الأسد والشجاع، لأنهما ينهكان الأقران. معجم مقاييس اللغة (5/364).

[4] في (ن) "قتالا".

[5] انظر الاكتفاء (2/ 279).

[6] أُلَّيْس: مصغر بوزن فلّيس، والسين مهملة، قال محمود وغيره: ألّيس بوزن سكّيت، وهي الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية، وفي كتاب الفتوح: ألّيس قرية من قرى الأنبار. معجم البلدان (1/ 248). ولم أقف عليها في المعاجم الحديثة.

[7] انظر: الاكتفاء (2/379)، الطبري (3/ 355- 358)، ، الكامل لابن الأثير (2/ 264، 265)، البداية والنهاية لابن كثير (ص 346، 347).

[8] تقدم التعريف بها ص (181).

[9] لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

وكـان أشـد النـاس على أولئـك النصـارى مسـلمو بـني عجل[1] عتيبة[2] بن النهـاس[3] وسـعيد بن مرة[4] وفرات بن حيان[5] والمثنى بن لاحق[6] ومذعور بن عدي[7].

وكتب أردشـير إلى بهمن جاذويـه: أن سر حتى تقـدم أليس بجيشـك إلى من اجتمـع بها من فـارس ونصارى العرب. فقـدم بهمن أمامه جابان وأمره بـالحث وقـال لـه: كفكـف نفسـك وجندك عن قتـال القـوم حتى ألحق بـك إلا أن يعجلوك. فسـار جابـان نحو أليس، وانطلـق بهمن إلى أردشـير ليحـدث بـه عهـدًا، ويستأمره فيمـا يريـد أن يشـير بـه، فوجـده مريضًـا؛ فعـرج عليـه، وأخلى جابـان بـذلك الوجـه، ومضى جابان حتى انتهى إلى أليس فنزل بها، واجتمعت عليه المسالح التي كانت بإزاء العرب، وعبد الأسود في نصارى بني عجل وتيم اللات[8] وضبيعة[9] وعـرب الضـاحية من أهل الحيرة، وكـان أبجر بن بجير نصرانيًا فساند عبد الأسود؛ وبلغ خالد تأشبهم فنهد[10] إليهم ولا يشعر بدنو جابان، وليست لخالد همة إلا من تجمع من عرب الضاحية ونصاراهم.

---

[1] () بنو عجل: بطن من ربيعة من العدنانية، وهم بنو عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هيت بن اقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة. نهاية الأرب (ص: 66).

[2] () في (ن) "عيينة".

[3] () عتيبة بن النّهّاس العجليّ: واسم النهاس عبدل، بن حنظلة بن يام، بتحتانية، ابن الحارث. كان من كبار العجليين. له إدراك ومشاهد في خلافة أبي بكر رضي اللَّه عنه. قال ابن ماكولا: كان شريفا، وكان مع خالد بن الوليد باليمامة، واستعمله على اللهازم، حين سار إلى فاطمة. وكذا ذكره سيف في الفتوح، وقال: من الكماة الشجعان. الإصابة في تمييز الصحابة (5/ 94).

[4] () تقدمت ترجمته ص (193).

[5] () فرات بن حيان: بن ثعلبة بن عبد العزى بن حبيب بن حية بن ربيعة اليشكري ثم العجليّ، حليف بني سهم. قال البخاريّ، وتبعه أبو حاتم: كان هاجر إلى النبي صلّى اللَّه تعالى عليه وعلى آله وسلم، زاد أبو حاتم أنه كوفيّ. وقال البغويّ: سكن الكوفة، وابتنى بها دارا، وله عقب بالكوفة، وأقطعه أرضا بالبحرين. وقال ابن السّكن: له صحبة. وذكره ابن سعد في طبقة أهل الخندق، وقال: نزل الكوفة. الإصابة في تمييز الصحابة (5/ 272).

[6] () المثنى بن لاحق العجليّ: له إدراك: قال الطّبري: كان أشدّ النّاس على النصارى من بني بكر بن وائل حين توجّه خالد بن الوليد إليهم سنة اثنتي عشرة، فكان هو وفرات بن حيان، ومذعور بن عديّ، وسعيد بن مرة، مع خالد بن الوليد في تلك الحرب. الإصابة (6/ 218).

[7] () تقدمت ترجمته ص (183).

[8] () بنو تيم اللات بطن من ضبة، ذكرهم الجوهري، وبنو تيم اللات بن وفيدة بن ثوا بن كلب. نهاية الأرب (ص: 191).

[9] () تقدم التعريف بها ص (184).

[10] () فنهد إليهم: أي أشرف إليهم. انظر لسان العرب (3/429).

فلما طلع على أليس قالت الأعاجم لجابان: أنعاجلهم أو نغدي الناس ولا نريهم أنا نحفل بهم، ثم نقاتلهم بعد الفراغ؟ فقال جابان: إن تركوكم والتهاون بهم فتهاونوا، وظني أن سيعاجلوكم[1] عن طعامكم، فعصوه وبسطوا البسط ووضعوا الأطعمة، وتداعوا إليها، وتوافوا عليها. [107/ب]

فلما انتهى خالد إليهم أمر بحط الأثقال، فلما وضعت توجه إليهم، ووكل خالد بنفسه حوامي يحمون ظهره، ثم برز أمام الصف: أين أبجر؟ أين[2] عبد الأسود؟ أين مالك بن قيس؟

فنكلوا عنه جميعًا إلا مالكًا، فبرز له، فقال له خالد: يا ابن الخبيثة، ما جرأك عليّ من بينهم، وليس فيك وفاء!

وقال:

أنا ابن ذات الحسب الممذوق[3] إنك في ضيق أشد الضيق[4]

وضربه فقتله، وأجهض الأعاجم عن طعامهم قبل أن يأكلوه، فقال لهم جابان: ألم أقل لكم يا قوم؟ لا والله ما دخلتني من رئيس وحشة قط حتى كان اليوم، فقالوا: تجلدًا، حيث لم يقدروا على الأكل: ندعها حتى نفرغ منهم؛ ثم نعود إليها. وأيضًا أظنكم والله لهم وضعتموها وأنتم لا تشعرون، فالآن فأطيعوني وسموها؛ فإن كانت لنا فأهون هالك، وإن كانت علينا كنا قد صنعنا شيئًا، وأبلينا عذرًا. فقالوا: لا، إلا اقتدارًا عليهم.

[308/أ] وجعل جابان على مجنبتيه عبد الأسود وأبجر، وخالد على تعبئته، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، والمشركون يزيدهم كلبًا وشدة ما يتوقعون من قدوم بهمن، فصابروا المسلمين للذي كان في علم الله أن يصيرهم إليه، وحرب المسلمون عليهم، وقال خالد: اللهم لك علي إن منحتنا أكتافهم أن لا استبقي منهم أحدًا قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم! ثم إن الله تعالى كشفهم للمسلمين، ومنحهم أكتافهم، فنادى منادي خالد: الأسر الأسر! لا تقتلوا إلا من امتنع، فأقبلت الخيول بهم أفواجًا مستأسرين يساقون سوقًا، وقد وكل بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلك بهم يومًا وليلةً وطلبوهم الغد وبعد الغد؛ حتى انتهوا إلى النهرين، ومقدار ذلك من كل جوانب أليس.

---

[1] في (ن) "سيعاجلكم".

[2] في (ن) "بن".

[3] الممذوق: غير صَاف. تاج العروس (12/76).

[4] انظر الاكتفاء (2/ 380).

فضرب أعناقهم، وكانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر قرب العسكر ثلاثة أيام وهم ثمانية عشر ألفًا أو يزيدون[1].

ولما رجع المسلمون من طلبهم، ودخلوا عسكرهم، وقف خالد على الطعام الذي كان المشركون قدموه لغدائهم فأعجلوا عنه، فقال للمسلمين: قد نفلتكموه فهو لكم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى على طعام مصنوع نفله، فقعد الناس على ذلك الطعام لعشائهم بالليل، وجعل من لا يعرف الرقاق يقول: ما هذه الرقاع البيض! ويجيبهم من عرفها بقوله مازحًا: هل سمعتم برقيق العيش؟ فيقولون: نعم، فيقول: هو هذا.

وبعث خالد بالخبر مع رجل اسمه جندل من بني عجل، وكان دليلاً صارمًا، فقدم على أبي بكر، بالخبر، وبفتح أليس، وبقدر الفيء، وبعدة السبي، وبما حصل من الأخماس، وبأهل البلاء من الناس، فلما رأى أبو بكر صرامته وثبات خبره، قال: ما اسمك؟

قال: جندل. فقال أبو بكر: ويها جندل:

نفس عصـــام ســـودت عصـــامًا وعلمتـــه الكـــرّ والإقـــداما[2]

(وأمر له بجارية من السبي) [3] وكان خالد وأصحابه هم جند المسلمين، وكتيبة الإسلام، بهم فض الله أهل فارس ورعبهم، وما زالت بعدها مرعوبة منتشرة لم يأتوا في وقعة بمثل ذلك الجد والصبر إلى أن فارقهم خالد إلى الشام.

---

[1]() انظر الاكتفاء (2/ 381).

[2]() انظر تاريخ الطبري (3/ 358).

[3]() ما بين القوسين زيادة في (ن).

وبلغت قتلاهم يوم أليس سبعين ألفًا جلهم من أمغيشيا[1]، وفي ذلك يقول الأسود بن قطبة[2]:

[ب/308]

قتلنـــــا منهم ســـــبعين ألفًا بقيــــة خـــربهم غبّ الإســـار[3]

ســـوى من ليس يحصـــى من قتيل ومن قـــد غـــال[4] جـــولان الغبـــار[5]

وقال خالد: لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف، وما لقيت قومًا كقوم لقيتهم من أهل فارس، وما لقيت من أهل فارس قومًا كأهل أليس.

حديث أمغيشيا وكيف أفاءها الله بغير قتال[6]:

(قال في المراصد بفتح أوله ويضم ثم السكون، العين معجمة مكسورة وأعرقوا فياء ساكنة والسين معجمة وياء وألف) [7].

ولما فرغ خالد من أليس، نهض فأتى على أمغيشيا وقد أعجلهم عما فيها، وقد جلا أهلها، وتفرقوا في السواد، فأمر خالد[8] بهدمها وهدم كل شيء كان في حيزها وكانت مصرًا كالحيرة؛ وكان فرات[9] بادقلي ينتهي إليها، وكانت أليس من مسالحها، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا قط قبله مثله.

بلغ سهم الفارس ألفًا وخمسمائة، سوى الأنفال التي نفلها أهل البلاء[10].

---

[1] أَمْغِيْشَيَا: موضع كان بالعراق كانت فيه وقعة بين المسلمين، وأميرهم خالد بن الوليد، وبين الفرس، فلما ملكها المسلمون أمر خالد بهدمها، وكانت مصرا كالحيرة وكان فرات بادقلى ينتهي إليها وكانت ألّيس من مسالحها، فأصاب المسلمون فيها ما لم يصيبوا مثله قبله. معجم البلدان (1/ 254). ولم أقف على ذكر لها في المعاجم الحديثة.

[2] أبو مُفَزِّر الأَسْود بن قطبة: شَهِد الفتوح فتح القَادِسِيَّة وما بعدها له أشعار كثيرة، وهو رسول سَعْد بن أبي وَقَّاص بسبي جلولاء إلى عُمَر بن الخَطَّاب، وهو شاعر المسلمين في تلك الأيام. المؤتلف والمختلف للدارقطني (4 / 2139).

[3] غبّ الإسار: الخاضع المتَذَلِّل. العين (2/252).

[4] غال: غاله: إذا أخذه من حيث لا يدري. شمس العلوم (8/5031).

[5] انظر الاكتفاء (2/ 382).

[6] انظر: الاكتفاء (2/379)، الطبري (3/ 358، 359)، الروض المعطار (ص 31).

[7] مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (1/ 118).

[8] قوله: "خالد" سقط من (ن).

[9] في (ن) "قراب".

[10] انظر الاكتفاء (2/ 283).

فلما بلغ ذلك أبا بكر قال: يا معشر قريش، عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله[1]، أعجز النساء أن ينسأن[2] بمثل خالد.

حديث يوم المقر وفم فرات بادقلي مع ما يتصل به من حديث الحيرة:

ذكر[3] أن الآزادبه في[4] مرزبان[5] الحيرة من زمان كسرى إلى ذلك اليوم، وكانوا لا يمد بعضهم بعضًا إلا بإذن الملك، فلما أخرب خالد أمغيشيا علم أنه غير متروك، فتهيأ لحرب خالد، وقدم ابنه، ثم خرج في أثره، فعسكر خارجًا من الحيرة، وأمر ابنه بسد الفرات.

ولما استقبل خالد من أمغيشيا وحمل الرجل في السفن مع الأثقال والأنفال، فلم يفجأ خالدًا إلا والسفن جوانح فارتاعوا لذلك، فقال الملاحون: إن أهل فارس فجروا الأنهار، فسلك الماء على غير طريقه، فلا يأتينا الماء إلا بسد الأنهار، فتعجل خالد في خيل نحو الآزادبه، فلقي على فم العتيق خيلاً من خيلهم، فجأهم وهم آمنون في الساعة، فأنامهم[6] بالمقر، ثم سار من فوره، وسبق الأخبار[7] إلى [309/أ] ابن الآزادبه حتى يلقاه[8] وجنوده بفم فرات[9] بادقلي، فاقتتلوا، فأنامهم خالد، وفجر الفرات وسد الأنهار فسلك الماء سبيله.

---

[1] () قال في المخصص (1/422): الخُرْدُولة– عُضْو من اللحْم وافِرٌ . ولعل المعنى: أنه غلبه على طعامه أو فريسته.

[2] () ينسأن: نسا: نسئت المرأة فهي نسء، إذا تأخّر حَيضُها. ونَسَأْتُ الشّيء: أخّرته. ونَسَأْته: بعته بتأخير. والاسم: النّسيئة. العين (7/305). ولعل المراد: أن يحملن بمثل خالد.

[3] () في (ن) "ذكروا".

[4] () في (ن) "كان". وهو الصواب.

[5] () مرزبان: المرازِبةُ مِنَ الفُرْسِ مُعَرَّبٌ، الواحِدُ مَرْزُبانٌ، بِضَمِّ الزَّاي. وَفِي الْحَدِيثِ: أَتيتُ الحِيرَة فرأَيْتُهم يسْجُدون لمرْزُبانٍ لَهُمْ: هُوَ، بِضَمِّ الزَّاي، أَحَدُ مَرَازِبة الفُرْسِ، وَهُوَ الفارِسُ الشُّجاعُ، المقدّمُ عَلَى القَوْمِ دُونَ الملِك. لسان العرب (1/ 417).

[6] () قال في تاج العروس: من الْمجَاز: (أنامَهُ): إذا قَتَلَهُ. تاج العروس (34/ 18).

[7] () في (ن) "الأجناد".

[8] () في (ن) "تلقاه".

[9] () في (ن) "قراب".

ثم قصد الحيرة، واستلحق أصحابه، فينزل[1] بين الخورنق[2] والنجف، فقدم الخورنق، وقد قطع الآزادبه الفرات هاربًا من غير قتال، وما جرأه على الهرب (إلا) [3] وصول الخبر إليه بموت أزدشير ومصاب ابنه، وكان بين الغربين والقصر الأبيض.

ولما اجتمع أصحاب خالد إليه بالخورنق خرج منه وعسكر بموضع عسكر الآزادبه، وأهل الحيرة متحصنون، فأدخل خالد الحيرة الخيل من عسكره، وأمر بكل قصر رجلاً من قواده يحاصر أهله ويقاتلهم، فكان[4] ضرار بن الأزور[5] محاصرًا للقصر الأبيض، وفيه إياس بن قبيصة الطائي[6]، وضرار بن الخطاب[7] محاصرًا[8] قصر الغربين وفيه عدي بن عدي المقتول[9]، وضرار بن مقرن[10] محاصرًا قصر بني رمان[11] وفيه ابن أكال، والمثنى محاصرًا قصر بني بقيلة[12] وفيه عمرو بن عبد المسيح، فدعوهم جميعًا، وأجلوهم يومًا، فأبى أهل الحيرة ولجوا، فناوشهم المسلمون القتال.

---

[1] () في (ن) "فنزل".

[2] () الخَوَرْنَقُ: قرية على نصف فرسخ من بلخ، يقال لها خبنك، وهو فارسيّ معرب من خرنكاه، تفسيره موضع الشرب. يقول عاتق البلادي: "لا أعتقد اختفاءه تماما، فلعله – اليوم – معلوم من آثار الحيرة". معجم البلدان (2/ 401)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (1/116).

[3] () ما بين القوسين زيادة في (ن).

[4] () في (ن) "وكان".

[5] () ضرار بن الأزور: واسم الأزور مالك بن أوس بن جذيمة بن ربيعة بن مالك الأسديّ، أبو الأزور. ويقال أبو بلال. قال البخاريّ وأبو حاتم: له صحبة. وقال البغويّ: سكن الكوفة. قال أبو عروبة الحرّانيّ: نزل حران ومات بها. ويقال: شهد اليرموك وفتح دمشق. الإصابة (3/ 390).

[6] () إياس بن قَبِيصة: بن أبي عُفْر بن النُّعمان بن حيَّة بن سَعْنة، ملكُ الحيرةِ بعد النُّعمان، وهو الذي كان كسرى يَتَيَمَّن به، وهو الذي هَزم الرُّوم لما نزَلوا النَّهَروان، في أيّام بَروِيز. الاشتقاق لأبي بكر الأزدي (ص: 386).

[7] () ضرار بْن الخطاب: بن مرداس بْن كثير بْن عمرو بْن حبيب بْن عمرو بْن شيبان بْن محارب بْن فهر بْن مالك، القرشي الفهري. كان أبوه الخطاب رئيس بني فهر في زمانه، وكان يأخذ المرباع لقومه، وكان ضرار يَوْم الفجار عَلَى بني محارب بْن فهر، وكان من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجودين، وهو أحد الأربعة الذين وثبوا الخندق. أسد الغابة (3/ 53).

[8] () في (ن) "فحاصر".

[9] () لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[10] () ضرار بْن مقرن: المزني. كان مع خَالِد بْن الْوَلِيد لما فتح الحيرة في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة، قاله الطبري، وقال: هو عاشر عشرة إخوة. أسد الغابة (3/55).

[11] () بطن من مذحج، من القحطانية، وهم: بنو رمان بن كعب بن أود بن صعب بن سعد العشيرة. العقد الفريد لابن عبد ربه (2/81).

[12] () بطن من الأزد، من القحطانية وهم: بنو بقيلة بن سنين بن زيد بن سعد بن عدي بن نمير بن صوفة بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأزد. نهاية الأرب للنويري (2/313).

وعهد خالد إلى أمرائه أن يبدؤوا بالدعاء، فإن قبلوا قبلوا[1] منهم، وإن أبوا أجلوهم يومًا، وقال: لا تمكنوا عدوكم من آذانكم فيتربصوا بكم الدوائر، ولكن ناجزوهم ولا ترددوا المسلمين عن قتال عدوهم.

فكان أول من أنشب القتال بعد يوم أجلوهم فيه ضرار بن الأزور، فأصبحوا وهم مشرفون، فدعاهم إلى إحدى ثلاث: الإسلام، أو الجزاء[2]، أو المنابذة، فاختاروا المنابذة، فقال ضرار: ارشقوهم، فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل، فأعروا[3] رؤوس الحيطان، ثم بثوا غارتهم فيمن يليهم، وصبح [309/ب] أمير كل قوم أصحابه بمثل ذلك، فافتتحوا الدور والديران، وأكثروا القتل، فنادى القسيسون والرهبان: بأهل القصور، ما يقتلنا غيركم. فنادى أصحاب القصور: يا معشر العرب، قد قبلنا واحدة من ثلاث فدعونا وكفوا عنا حتى تبلغونا خالدًا.

وكان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن الحارث وهو بقيلة، سمي بذلك لأنه خرج على قومه في بردين[4] أخضرين، فقالوا له: يا حار ما أنت إلا بقيلة خضراء، ثم تتابعوا على ذلك. فخرج وجوه كل قصر إلى من كان عليه من الأمراء، فأرسلوهم إلى خالد مع كل رجل منهم ثقة من جهة مرسله[5]، فخلا خالد بأهل كل قصر دون الآخرين، وبدأ بأصحاب عدي بن عدي فقال: ويحكم ما أنتم؟ أعرب؟ فما تنقمون[6] من العرب؟ أو عجم؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل؟ فقال له عدي: بل عرب عاربة وأخرى متعربة، فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا؟! فقال عدي: ليدلك على ما تقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية، فقال: صدقت. اختاروا واحدةً من ثلاث: إما أن تدخلوا في ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم أو أقمتم في دياركم، أو الجزية، أو المنابذة والمناجزة، فقد والله أتيتكم بقوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة. فقال: بل نعطيكم الجزية، فقال خالد: تبًا لكم، ويحكم إن الكفر فلاة مضلة، فأحمق العرب من سلكها فلقيه دليلان:

---

[1] () في (ن) "أبوا قتلوا".

[2] () في (ن) "الجزية".

[3] () فأعروا: أعرى الْقَوْم صَاحبهمْ إعراء إِذا تَرَكُوهُ فِي مَكَانَهُ وذهبوا عَنهُ. تهذيب اللغة (3/100).

[4] () البُرْدَة: كساءٌ مربَّع أَسْودُ فِيهِ صِغَرٌ تَلْبَسه الأَعرابُ. تاج العروس (7/414).

[5] () في (ن) "رسله".

[6] () في (ن) "فتنقمون".

أحدهما عربي فتركه واستدل الأعجمي. فصالحوه على مائة ألف وتسعين ألفًا، وتتابعوا على ذلك، وأهدوا له الهدايا، وبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر، فقبلها من الجزاء[1]، وكتب إلى خالد: أن احسب لهم هديتهم من الجزاء، وخذ بقية ما عليهم فقوّ بها أصحابك. وذكر أن أهل الحيرة كانوا يقدمون في حوائجهم إلى خالد عمرو بن عبد المسيح، فقال له خالد: كم أتت عليك؟ قال: مئوسنين[2]، قال: فما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة، تخرج المرأة من الحيرة فلا تزود[3] إلا رغيفًا، فتبسم خالد، وقال: هل لك من شيخك إلا عقله خرفت والله يا عمرو[4].

فعلم عمرو ذلك ثم كلمه بما عرف من[5] رجاحة[6] عقله.

قالوا: وكان مع عمرو منصف[7] [8] له، متعلقًا كيسًا في حقوه[9]، فتناول خالد الكيس فنثر ما فيه في راحته، وقال: ما هذا يا عمرو؟ قال: هذا وأمانة الله سمّ ساعة، قال: و لم تحتقبه[10]؟ قال: خشيت أن[11] تكونوا على غير ما رأيت، وقد أتيت على أجلي، والموت أحب إليّ من مكروه أدخله على قومي. فقال خالد: إنه لن تموت نفس حتى تأتي أجلها، وقال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي ليس يضر مع اسمه داء، فأهووا إليه ليمنعوه، فبادرهم وابتلع السم، فقال عمرو: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد بهذا القرن[12].

وأقبل على أهل الحيرة، وقال: لم أر كاليوم أمرًا أوضح إقبالاً.

---

[1]() في (ن) "الجزية".

[2]() لم أقف على معناها فيما وقفت عليه.

[3]() في (ن) "تتزور".

[4]() الاكتفاء للكلاعي (2/384).

[5]() في (ن) "به".

[6]() قوله: "رجاحة" سقط من (ن).

[7]() في حاشية (ن): "مطلب أخذ خالد بن الوليد من عمرو بن عبدالمسيح السم وبلعه و لم يضره السم أصلاً".

[8]() أي: خادم. المعجم الوسيط (2/927).

[9]() حقوه: الحَقْو أو الحِقْو: مَعْقِدُ الإِزار. تهذيب اللغة (5/81).

[10]() تحتقبه: كلُّ شيءٍ شُدّ فِي مؤَخَّر رَحْل أَو قَتَب، فَقَدِ احْتُقِبَ. لسان العرب (1/ 325).

[11]() في (ن) "ألا".

[12]() قصة شرب خالد رضي الله عنه السم وعدم تضرره، ثابتة، أخرجها الإمام أحمد في فضائل الصحابة (2/815)، وابن أبي شيبة في مصنفه (33730)، وأبي يعلى في مسنده (7186)، والطبراني في الكبير (3808).

وكان رسول الله[1] صلى الله عليه وسلم قد ذكر الحيرة وأنه أريها وأنها ستفتح على المسلمين. فسأله رجل يقال له: شويل، كرامة بنت عبد المسيح، فقال له: «هي لك إذا فتحت عنوة»، يعني الحيرة، فلما راوضوا خالدًا على الصلح وأداء الجزية قام إليه شويل فذكر له ذلك وشهد له به، فأبى خالد أن يكاتبهم إلا على إسلام كرامة إلى شويل، فثقل ذلك عليهم، فقالت: هونوا عليكم وأسلموني، فإني سأفتدي، ففعلوا.

وفي كتب أسماء الصحابة أن خزيم بن أوس الطائي[2] وفي الطبراني أن خزيمًا قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذه الحيرة البيضاء قد رفعت لي وهذه الشيماء بنت بقيلة الأزدية[3] على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود»، فقلت: يا رسول الله إن نحن دخلنا الحيرة فوجدتها على هذه الصفة فهي لي، قال: «هي لك»[4].

(بغلة لها شهباء[5] بخمار أسود كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتعلقت بها وقلت: هذه وهبها لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاني خالد عليها البينة فأتيته بها، فسلمها إلي، ونزل إلينا أخوها عبد المسيح فقال لي بعنيها، فقلت: لا أنقصها والله من عشر مائة شيئًا، فدفع إلي ألف درهم، فقيل لي: لو قلت مائة ألف لدفعها إليك، فقلت: ما أحسب أن مالاً أكثر من عشر مائة. وبلغني في غير هذا الحديث أن الشاهدين كانا محمد بن مسلمة[6]، وعبد الله بن عمر)[7].

---

[1]() قوله: "رسول الله" سقط من (ن).

[2]() خُرَيْمُ بْنُ أَوْسِ: بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَامٍ الطَّائِيُّ لَقِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ تَبُوكَ فَأَسْلَمَ، يُكْنَى: أَبَا لِجَاءٍ. معرفة الصحابة لأبي نعيم (2/ 982).

[3]() الشيماء بِنْت بقيلة: والرجل الَّذِي استوهبها من رَسُول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فوهبها لَهُ: خريم بْن أوس الطائي. الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة للخطيب البغدادي (6/ 448).

[4]() أخرجه الطبراني في الكبير (4168)، وقال الهيثمي: فيه من لم أعرفهم، وأبو السكين صدوق له أوهام لينه بسببها الدارقطني وزحر بن حصين لا يعرف. مجمع الزوائد: (8/218).

[5]() شهباء: الشَّهَبُ والشُّهْبةُ: لَونُ بَياضٍ، يَصْدَعُه سَوادٌ فِي خِلالِه. لسان العرب (1/ 508).

[6]() مُحَمَّد بْن مسلمة بْن خَالِد بْن عدي الأنصاري الأوسي ثُمَّ الْحَارِثِيّ، حليف بني عبد الأشهل، يكنى أبا عبد الرحمن، شهد: بدرا، وأحدا، والمشاهد كلها مع رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا تبوك، ومات بالمدينة، ولم يستوطن غيرها. وهو أحد الَّذِينَ قتلوا كعب بْن الأشرف. واستخلفه رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المدينة فِي بعض غزواته واستعمله عمر بْن الخطاب عَلَى صدقات جهينة. واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان بْن عفان، واتخذ سيفا من خشب، وقال: بذلك أمرني رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أسد الغابة (5/106).

[7]() ما بين القوسين سقط من (ن).

قال: ثم سرنا مع خالد بن الوليد في زمن أبي بكر، فكان أول من تلقانا فيها الشيماء بنت بقيلة الأزدية على بقلة شهباء بخمار أسود كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلقت بها، وقلت: هذه وهبها لي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، فدعاني خالد بن الوليد عليها بالبينة فأتيته بها وسلمها لي ونزل إلينا أخوها عبد المسيح فقال لي: بعنيها، فقلت: لا أنقصها واللَّه من عشر مائة شيئًا، فدفع إليّ ألف درهم فقيل لي: لو قلت مائة ألف لدفعتها إليك، فقلت: ما كنت أحسب أن مالها[1] أكثر من عشر مائة.

وفي كتب السير ما قدمناه وأنها كانت بلغت ثمانين سنة؟ فقالت لشويل فأدني قال: لا، إلا على حكمي، قالت: فلك حكمك مرسلاً، فقال: لست لأم شويل إن نقصتك من ألف درهم! فاستكثرت ذلك لتخدعه، ثم أتته بها. فرجعت إلى أهلها، فتسامع الناس بذلك، فعنفوه، فقال: ما كنت أرى أن عددًا يزيد على ألف، وخاصمهم إلى خالد، وقال: كانت نيتي غاية العدد، وقد ذكروا أن العدد يزيد على ألف، فقال خالد: أردت أمرًا وأراد الله غيره، ونأخذ بما ظهر ونَدعك ونيتك، كاذبًا كنت أو صادقًا.

وكتب لهم خالد عهدًا على مائة وتسعين ألفًا، وقيد بشهر[2] ربيع الأول سنة اثنتي عشرة فاستخفوا به، فلما نقض أهل السواد بعد موت الصديق ثم افتتحها المثنى ثانية بشرط آخر فلما غلب المثنى أضاعوا الكتاب فلما فتحها سعد أدلو[3] بذلك الكتاب فسألهم واحدًا من الشرطين فلم يجيئوا به فوضع عليهم (عليهم) [4] وتحرى[5] ما يرى أنهم مطيقون[6]، فوضع عليهم أربعمائة ألف سوى الخرزة [311/أ]
وهو رسم كان عليهم لكسرى في كل سنة أربعة دراهم على كل رأس.

---

[1]) في (ن) "مالاً".

[2]) في (ن) "وذلك في شهر".

[3]) في (ن) "أذكر".

[4]) ما بين القوسين زيادة في (ن).

[5]) قوله: "وتحرى" سقط من (ن).

[6]) في (ن): "يطيقون".

وقال القعقاع بن عمرو[1]:

ســــقى الله قتلى[2] بـــالفرات مقيمة — وأخـــرى بأثبـــاج[3] النجـــاف[4] الكوانف
فنحن وطئنا[5] بـــالكواظم هرمـــزا — وبـــالثني قـــرني قـــارن بـــالجوارف
ويـــوم أحطنـــا بالقصـــور تتـــابعت — على الحـــيرة الروحـــاء إحـــدى المصـــارف
حططنـــاهم[6] منهـــا وقـــد كـــاد عرشـــهم — يميـــل بـــه فعـــل الجبـــان المخـــالف
مننـــا عليهم بـــالقبول وقـــد رأوا — عيـــون المنايـــا حـــول تلـــك المحـــارف[7]
صـــبيحة قـــالوا نحن قـــوم تـــنزلوا — إلى الريـــف من أرض العـــريب النفـــانف[8]

وبعث خالد عماله ومسالحه، لجباية الخراج وحماية البلاد، وأمر أمراءه على الثغور بالغارة والإلحاح، فنزلوا على السيب في عرض سلطانه، وهناك كانت الثغور في زمانه، فمهدوا له ذلك إلى شاطئ دجلة، وليس لأهل[9] فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر[10]، و[11] ليس لأحد منهم ذمة إلا الذين كاتبوا خالدًا واكتتبوا منه[12]، وسائر أهل السواد جلاء ومتحصنون ومحاربون، وجنى الخراج إلى خالد في خمسين ليلة، وكان الذين ضمنوه وهم رؤوس الرساتيق[13] رهنًا في يديه، فأعطى ذلك كله المسلمين، فقووا به على أمرهم.

ثم دعا برجلين: حيري ونبطي، وكتب معهما كتابين إلى أهل فارس، أحدهما إلى الخاصة والآخر إلى العامة. «بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس، أما بعد، فالحمد لله الذي

---

[1]() انظر: الطبرى (3/ 365)، البداية والنهاية لابن كثير (6/ 348).

[2]() في (ن): "قتلى".

[3]() بأثباج: ثبج كل شَيْء: وَسطه وَجمعه أثباجوثبوج. جمهرة اللغة (1/258). [ب/311]

[4]() النَّجافُ: أرضٌ مُستديرةٌ مُشرفة على ما حولَها العين. (6/144).

[5]() في (ن): "وهينا".

[6]() في (ن): "خلطناهم".

[7]() المحارف: الَّذِي لَا يكَاد يكْتَسب. المحكم (3/329).

[8]() النفانف: المفاوز. الإبانة في اللغة العربية (4/465).

[9]() قوله: "لأهل" سقط من (ن).

[10]() في (ن): "امرة".

[11]() قوله: "و" سقط من (ن).

[12]() قوله: "واكتتبوا منه" سقط من (ن).

[13]() الرساتيق: الرُسْتاقُ فارسيّ معرّب، ألحقوه بِقرْطاسٍ، ويقال: رُزْداقٌ ورُسْداقٌ، والجمع، الرساتيق، وهى السواد. الصحاح (4/1481).

حل نظامكم، ووهن كيدكم، وفرق كلمتكم، ولو لم يفعل ذلك بكم لكان شرًا لكم، فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم، ونجزكم إلى غيركم، وإلا كان ذلك على غلب وأنتم كارهون، على أيدي قوم يحبون الموت كحبكم الحياة».

والآخر إلى مرازبة فارس: «أما بعد، فالحمد لله الذي فض خَدَمتكم، وفرق كلمتكم، وفل حدكم، وكسر شوكتكم، فأسلموا تسلموا، وإلا فاعتقدوا مني الذمة، وأدوا الجزية، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة».

ودعا الحيري فقال: ما اسمك؟ قال: مرة. قال: خذ الكتاب، فأت به أهل فارس لعل الله يمر عليهم عيشهم، أو يسلموا، وينيبوا[1].

وقال للنبطي: ما اسمك؟ قال: هزقيل. قال: خذ الكتاب، اللهم ازهق نفوسهم.

وكان أهل فارس في خلف في الملك لموت أردشير مجتمعين على قتال خالد متساندين، إلا أنهم قد أنزلوا بهمن جاذويه ببهرسير[2]، ومعه الآزادبه، في أشباه له.

ولما وقعت كتب خالد إلى أهل المدائن تكلم نساء كسرى، فولى الفرخزاد بن البندوان[3] إلى أن يجتمع آل كسرى على رجل إن وجدوه، وأقام خالد (سنة) [4] بالحيرة، يصعد ويصوب قبل خروجه إلى الشام، وأهل فارس يخلعون ويملكون، ليس إلا للدفع عن بهرسير، وكان شيرى بن كسرى قد قتل كل من يناسبه إلى كسرى ابن قباذ، ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه، وقتلوا كل من بين كسرى بن قباذ وبين بهرام جور، فبقوا لا يقدرون على من يملكونه ممن يجتمعون عليه.

وكان خالد وعياض لا يقتحمون على المدائن لما عهد إليهم الخليفة ألا يقتحم عليهم، لأجل ما عهد إليهم الخليفة أن لا يقتحم عليهم، وخلفه نظام لهم. وكان بالعين عسكر لفارس وبالأنبار[5] آخر

---

[1]() في (ن): "أو ينيبوا".

[2]() بَهُرَسِيرُ: من نواحي سواد بغداد قرب المدائن، ويقال بهرسير الرّومقان، وقال حمزة: بهرسير إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن، وهي معرّبة من ده أردشير. معجم البلدان (1/ 515).

[3]() لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[4]() ما بين القوسين زيادة من (ن).

[5]() الأَنْبارُ: مدينة قرب بلخ وهي قصبة ناحية جوزجان وبها كان مقام السلطان، وهي على الجبل، وهي أكبر من مرو الروذ وبالقرب منها، ولها مياه وكروم وبساتين كثيرة، وبينها وبين شبورقان مرحلة في ناحية الجنوب. والأنبار بلدة معروفة بالعراق. انظر: معجم البلدان (1/ 257)، المعالم الأثيرة (ص: 33).

وبالفراض[1] آخر، ثم إن خالدًا لما استقام له ما بين الفلاليج[2] إلى أسفل السواد فرق سواد الحيرة على رجال ممن كان معه، وفعل في سواد الأبلة مثل ذلك، وأقر أمر المسالح[3] [4] على ثغورهم، واستخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو.

[312/أ] وخرج في عمل عياض ليقضي ما بينه وبينه ولإغاثته، فسار حتى نزل بكربلاء[5]، وأقام عليها أيامًا، وشكا إليه عبد الله بن وثيمة[6] الذباب، فقال له: اصبر فإني إنما[7] أريد أن أستفرغ المسالح[8] التي أمر بها عياض فتسكنها العرب، فتأمن جنود المسلمين أن يؤتوا من خلفهم، وتجيئنا العرب آمنة وغير متعتعة. وبذلك أمرنا الخليفة، ورأيه يعدل نجدة الأمة.

حديث الأنبار[9] وهي ذات العيون[10]:

وخرج خالد في تعبيته وعلى مقدمته الأقرع بن حابس، فلما نزل الأقرع المنزل الذي سلمه إلى الأنبار [312/ب] نتج[11] قوم من المسلمين إبلهم، فلم يستطيعوا العرجة[12]، و لم يجدوا بدًا من الإقدام، ومعهم بنات مخاض[13] تتبعهم. فلما نودي بالرحيل صروا[14] الأمهات، واحتقبوا المنتوجات؛ لأنها لم تطق السير،

1() فِرَاضٌ: موضع بين البصرة واليمامة قرب فليج من ديار بكر بن وائل، واجتمعت عليه الروم والعرب والفرس فأوقع بهم وقعة عظيمة. معجم البلدان (4/244).

2() الفلاليج: جمع: فلوجة، وهي: الأَرْض الممكنة للزَّرْع. جمهرة اللغة (1/488).

3() في (ن): "أمراء المسالح".

4() المسالح: المسْلَحة: قومٌ في عُدَّةٍ قد وُكِّلوا بإزاء ثَغْر، والجميع المسالِح. العين (3/142). والمراد: الجند المرابطون على حدود الدولة الإسلامية.

5() كَرْبَلاءُ: هو الموضع الذي قتل فيه الحسين ابن عليّ، رضي الله عنه، في طرف البرّيّة عند الكوفة، وهي الآن مدينة كبيرة على الجنوب من بغداد، وعلى الطريق الممتدة من هذه الأخيرة إلى النجف باتجاه الجنوب. انظر: معجم البلدان (4/445)، موسوعة المدن العربية والإسلامية ص 79.

6() لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

7() في (ن): "فإنما".

8() في (ن): "المشايخ".

9() تقدم التعريف بها ص (207).

10() انظر: الاكتفاء (2/390)، الطبري (3/ 373- 375)، الكامل لابن الأثير (2/ 269).

11() يُقَالُ: نُتِجَتِ الناقةُ، إِذَا وَلَدتْ، فَهِيَ مَنْتُوجَةٌ. وأَنْتَجَتْ، إِذَا حَملتْ، فَهِيَ نَتُوجٌ. النهاية في غريب الحديث والأثر (5/12).

12() عَرَجَ في الدَرجة والسلَّم يَعْرُج عُروجاً، إذا ارْتَقى. الصحاح (1/328).

13() بِنْتُ الْمَخَاضِ وَابْنُ الْمَخَاضِ: مَا دَخل فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، لأنَّ أمَّه قَدْ لَحِقَت بِالْمَخَاضِ: أَيِ الحوامِل، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَامِلاً. النهاية في غريب الحديث والأثر (4/306).

14() التَّصْرِيَة: هُوَ أَنْ تُتْرَك الشَّاةُ أيَّامًا لَا تُحْلَب. النهاية في غريب الحديث والأثر (3/62).

فانتهوا ركبانًا إلى الأنبار، وقد تحصن أهلها، وخندقوا عليها، فأشرفوا[1] من حصنهم، وعلى الجنود التي قبلهم شيرزاد صاحب ساباط[2]، وكان أعقل أعجمي يومئذ وأسوده، فتصايح عرب الأنبار من السور وقالوا: صبح الأنبار شر، جمل يحمل جميلة وجمل تربه عوذ[3]. فقال شيرزاد، وقد سأل عن ما يقولون، فأخبر به: أما هؤلاء فقد قضوا على أنفسهم، والله لئن لم يكن خالد مجتازًا[4] لأصالحنه، فبينما[5] هم كذلك قدم خالد على المقدمة، فأطاف بالخندق، وأنشب القتال، وكان قليل الصبر عنه إذا رآه أو سمع به، وتقدم إلى رماته، فأوصاهم وقال: إني أرى أقوامًا لا علم لهم بالحرب، فارموا عيونهم ولا توخوا غيرها، فرموا رشقًا[6] واحدًا (ثم تابعوا)[7]، ففقئت ألف عين يومئذ، فسميت ذات العيون، وتصايح[8] القوم: ذهبت عيون أهل الأنبار فراسل شيرزاد خالدًا في الصلح على أمر لم يرضه خالد، فرد رسله، وأتى أضيق مكان في الخندق فنحر رذايا[9] الجيش ثم رمى فيه فأفعمه[10]، ثم اقتحموا الخندق والرذايا جسورهم، فاجتمع المسلمون والمشركون في الخندق، وأرز[11] القوم إلى حصنهم، وراسل شيرزاد في الصلح على مراد خالد، فقبل على أن يخليه ويلحقه بمأمنه في جريدة خيل، ليس معهم من المتاع والمال شيء، فخرج شيرزاد، فلما قدم على بهمن جاذويه وأخبره الخبر لامه، فقال له شيرزاد: إني كنت في قوم ليست لهم عقول، وأصلهم من العرب، فسمعتهم مقدمهم[12] علينا يقضون على أنفسهم، وقلما قضى قوم على أنفسهم قضاءً إلا وجب عليهم. ثم

---

[1]() في (ن): "فانصرفوا".

[2]() سَاباطُ: بالمدائن موضع معروف، وبالعجمية بلاس أباذوقال أبو المنذر: إنّما سمّي ساباط الذي بالمدائن بساباط بن باطا كان ينزله فسمّي به، وهو أخو النخيرجان بن باطا الذي لقي العرب في جمع من أهل المدائن. معجم البلدان (3/166).

[3]() في (ن): "ربه ثمود".

[4]() في (ن): "مختارًا".

[5]() في (ن): "فبينا هو".

[6]() الرَشْقُ: الرميُ وقد رَشَقْتُهُ بالنَبْلِ أَرْشُقُهُ رَشْقًا. والرِشْقُ بالكسر الاسم، وهو الوجه من الرمي، فإذا رَمى القومُ بأجمعهم في جهةٍ واحدة قالوا: رَمَيْنا رِشْقًا. الصحاح (4/1481).

[7]() ما بين القوسين زيادة من (ن).

[8]() في (ن): "وتصالح".

[9]() رَذَايَا: جمع رَّذِيَّةُ، وهي: النَّاقَةُ الْمَهْزُولَةُ مِنَ السَّيْرِ. مقاييس اللغة (2/509).

[10]() أفعم الشَّيْء: امْتَلَأَ. المعجم الوسيط (2/882).

[11]() (أرز) الهمزة والراء والزاء أصل واحد لا يخلف قياسه بتة، وهو التجمع والتضام. معجم مقاييس اللغة (1/78).

[12]() في (ن): "مقدمة".

قاتلهم الجند، ففقئوا فيهم وفي أهل الأرض ألف عين، فعرفت أن المسالة أسلم، وأن قرة العين لهم، وأن العيون لا تقر منهم بشيء.

فصالح خالد من حولهم، وبدأ بأهل البوازيج[1]، فبعث إليه أهل كلواذة[2] ليعقد لهم، وكاتبهم فكانوا عيبته[3] من وراء دجلة.

ثم إن أهل الأنبار نقضوا فيما كان يكون بين المسلمين والمشركين من الدول ما خلا أهل البوازيج فإنهم ثبتوا كما ثبت أهل بانقيا[4].

[1]() البَوازِيجُ: بعد الزاي ياء ساكنة، وجيم: بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصبّ في دجلة، ويقال لها بوازيج الملك، لها ذكر في الأخبار والفتوح، وهي الآن من أعمال الموصل، ينسب إليها جماعة من العلماء، منهم من المتأخرين: منصور ابن الحسن بن عليّ بن عاذل بن يحيى البوازيجي البجلي. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (1/282)، معجم البلدان (1/503)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/54).

[2]() كَلْوَاذَةُ: بالفتح ثم السكون، والذال معجمة، قال ابن الأعرابي: الكلواذ تابوت التوراة، وقال ابن حبيب: عين صيد موضع من ناحية كلواذة وهي من السواد بين الكوفة والحزن وهي بين الكوفة وواسط. معجم البلدان (4/477).

[3]() العَيْبَةُ: (مِن الرَّجُلِ) هُوَ (مَوْضِعُ سِرّه)، على المثَل. وَفِي الحديثِ (الأَنْصَارُ عَيْبَتِي وكَرِشِي) أَي خَاصَّتِي ومَوْضِعُ سِرِّي. تاج العروس من جواهر القاموس (3/449).

[4]() بَانِقْيَا: بزيادة ألف بين الباء والنون، وكسر النون، بعدها قاف وياء معجمة باثنتين من تحتها: أرض بالنّجف دون الكوفة. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (1/222)، معجم البلدان (1/331).

حديث عين التمر[1]:

ولما استحكمت لخالد الأنبار، استخلف عليها الزبرقان بن بدر[2]، وقصد لعين التمر، وبها مهران بن سوسن في جمع عظيم من العجم، وعقة بن أبي عقة[3] [4] في جمع عظيم من العرب من النمر[5] وتغلب[6] وإياد[7] ومن لاقاهم.

فلما سمعوا بخالد قال عقة[8] لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالدًا. قال: صدقت، لعمري لأنتم أعلم بقتال العرب، وإنكم لمثلنا في قتال العجم. فخدعه واتقى به، وإن احتجتم إلينا جئناكم.

فلما مضى عقة[9] نحو خالد قالت الأعاجم لمهران: ما حملك على أن تقول هذا القول لهذا [313/أ]
الكلب فقال: دعوني فإني لم أرد إلا ما هو خير لكم وشر له، إنه قد جاءكم من قتل ملوككم، وفل حدكم، ما اتقيته بهم، فإن كانت لهم على خالد فهي لكم، وإن كانت الأخرى لم يبلغوا[10] منهم حتى يهِنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء وهم ضعفاء، فاعترفوا له بفضل الرأي، فلزم مهران العين ونزل عقة لخالد على الطريق، وبينه وبين مهران روحة أو غدوة، فقدم عليه خالد وهو في تعبئة جنده، فعبأ خالد

---

[1]() عَيْنُ التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا، منهما يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير جدّا، وهي على طرف البرية، وهي قديمة افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة 12 للهجرة، وكان فتحها عنوة فسبى نساءها وقتل رجالها، فمن ذلك السبي والدة محمد بن سيرين، وسيرين اسم أمه، وحمران بن أبان مولى عثمان بن عفان، واستشهد فيها بشير بن سعد، أبو النعمان بن بشير الأنصاري: وهو أول مولود ولد للأنصار في الإسلام. معجم ما استعجم (1/319)، معجم البلدان (4/176)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/204).

[2]() الزبرقان بن بدر التميمي السعدي: صحابي، من رؤساء قومه. قيل اسمه الحصين ولقب بالزبرقان (وهو من أسماء القمر) لحسن وجهه. ولاه رسول الله صلّى الله عليه وسلم صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر، وكف بصره في آخر عمره. وتوفي في أيام معاوية. وكان فصيحًا شاعرًا. الإصابة (2/454)، الأعلام (3/41).

[3]() في (ن): "عقبة بن أبي عقبة".

[4]() لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[5]() بنو نمر: بطن من ربيعة من العدنانية، وهم بنو نمر بن قاسط باب ابن هنب وهب بن قصي بن دعمب بن جديلة بن أسد بن ربيعة. نهاية الأرب (1/432).

[6]() تقدم التعريف بها ص (1/186).

[7]() بنو أياد: بطن من بني مزيقيا من الأزد من القحطانية. نهاية الأرب (1/94).

[8]() في (ن): "عقبة".

[9]() في (ن): "عقبة".

[10]() في (ن): "تبلغو".

جنده وقال لمجنبتيه: اكفونا ما عندكم فإني حامل بنفسي، ووكل بنفسه حوامي، ثم حمل وعقة يقيم صفوفه، فاحتضنه فأخذه أسيرًا، وانهزم صفه من غير قتال، فاتبعهم المسلمون وأكثروا فيهم القتل والأسر.

ولما جاء الخبر مهران هرب في جنده، وتركوا الحصن. فلما انتهت فلال عقة من العرب والعجم إلى الحصن اقتحموه واعتصموا به، وأقبل خالد في الناس حتى نزل عليه ومعه عقة أسيرًا وعمرو بن الصعق، وهم يرجون أن يكون خالد كمن كان يغير عليهم من العرب، فلما رأوه يحاولهم سألوه الأمان. فأبى إلا حكمه، فسكنوا إليه.

فلما فتحوا دفعهم إلى المسلمين أسارى، وأمر بعقة فضربت عنقه ليوئس الأسارى من الحياة، فلما رأوه مطروحًا على الجسر يئسوا ثم دعا بعمرو بن الصعق فضربت عنقه، وضرب أعناق[1] أهل الحصن أجمعين، وسبى كل من حوى حصنهم، وغنم ما فيه، ووجد في بيعتهم أربعين غلامًا يتعلمون الإنجيل، عليهم باب مغلق، فكسره عنهم، وقال: ما أنتم؟ قالوا: رهن، فقسمهم في أهل البلاء، فمن أولئك الغلمان أبو زياد مولى ثقيف، وحمران مولى عثمان[2]، ونصير أبو موسى بن نصير[3]، وسيرين [313/ب]
والد محمد بن سيرين[4]، وأبو عمرة جد عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر.

[1] في (ن): "عنق".

[2] حمران: بن أبان مولى عثمان. أصله من النمر بن قاسط، وسبي من عين التمر، فابتاعه عثمان بن المسيب بن نجبة فأعتقه، وسمع من عمر وعثمان وغيرهما. روى عنه أبو وائل وغيره. قال ابن سعد: نزل البصرة، وادعى ولده في النمر بن قاسط. وكان حمران من العلماء الجلّة أهل الرأي والشرف. وحكى قتادة أنه كان يصلي خلف عثمان، فإذا توقف فتح عليه. وقال ابن معين: من تابعي أهل المدينة ومحدثيهم. وذكره خليفة في عمال عثمان، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين. مات بالبصرة بعد السّبعين، قيل إحدى وقيل خمس، وقيل ست. الإصابة في تمييز الصحابة (2/153).

[3] نصير: بالتصغير، ابن عبد الرحمن بن يزيد، والد موسى بن نصير الّذي فتح بلاد المغرب. قال الرّشاطيّ: حكى أن عبد العزيز بن مروان كان يعوذ نصير بن عبد الرحمن إذا مرض، وكان على شرطة معاوية في خلافة عمر ثم عثمان، ثم غضب عليه وولى غيره، ثم أعاده بعد صفين، وعمر حتى قدم مصر ومات بها. وذكر أبو عمر الكنديّ في الموالي أن مولد موسى بن نصير كان في سنة تسع عشرة من الهجرة، ويقال: إن أهل نصير من أراشة، وسبي في خلافة أبي بكر من جبل الخليل، وكان اسمه نصرا فسمي نصيرا، وأعتقه بعض بني أمية. الإصابة في تمييز الصحابة (6/390).

[4] محمد بن سيرين: البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي. من أشراف الكتّاب. مولده ووفاته في البصرة. نشأ بزازا، في أذنه صمم. وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. واستكتبه أنس بن مالك، بفارس. وكان أبوه مولى لأنس. الأعلام (6/154).

حـديث دومـة الجنـدل[1] ومـا بعـدها من الأيـام بحصـيد[2] والخنـافس[3] ومصـيخ[4] والبشر[5] والفراض[6]:

دومة: بضم المهملة وفتحها كذا في المراصد، وقال إن المحدثين فعلوه[7] خطأ، وحصيد بين في المراصد في الحاء المهملة بالفتح ثم الكسر، وياء[8] ساكنة، ودال مهملة: موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة، وقيل: حصيد، مصغّر، واد بين الكوفة والشام، أوقع به القعقاع بن عمرو وفارس، ومن تجمّع إليها وقعة منكرة.

ولما قدم الوليد بن عقبة[9] على الصديق، بما معه من الأخماس، وجهه إلى عياض ممدًا له، فقدم عليه وهو يحاصر أهل دومة، وقد أخذوا عليه الطرق، فقال له عقبة: الرأي في بعض الحالات خير من جند كثيف، ابعث إلى خالد واستمده، ففعل، وقدم رسوله على خالد غب وقعة العين مستغيثًا، فكتب إليه خالد: إياك أريد.

لبث[10] قليلاً تأتـــــك الجلائب   كتـــــائب تتبعهـــــا كتـــــائب

---

[1]() دُومَةُ الجندَل: بضم أوله وفتحه وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول، صلى الله عليه وسلّم وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبنيّ بالجندل وهي الآن قرية من الجوف شمال السعودية، تقع شمال تيماء. معجم البلدان (2/487)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/117).

[2]() الحَصِيدُ: موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة، وقال نصر: حصيد، مصغّر، واد بين الكوفة والشام. معجم البلدان (2/266).

[3]() الخَنَافِسُ: أرض للعرب في طرف العراق قرب الأنبار من ناحية البردان، تقام فيه سوق للعرب، أوقع عندها بالمسلمين في أيام أبي بكر، رضي الله عنه، وأميرهم من قبل خالد بن الوليد، رضي الله عنه. معجم البلدان (2/391).

[4]() المُصَيَّخُ: بضم الميم، وفتح الصاد المهملة، وياء مشددة، وخاء معجمة، يقال له مصيخ بني البرشاء: وهو بين حوران والقلت وكانت به وقعة هائلة لخالد على بني تغلب. معجم البلدان (5/144).

[5]() البِشْرُ: بكسر أوله ثم السكون، وهو في الأصل حسن الملقى وطلاقة الوجه: وهو اسم جبل يمتد من عرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية. معجم البلدان (1/426).

[6]() الفِرَاض: تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات، واجتمعت عليه الروم والعرب والفرس فأوقع بهم وقعة عظيمة. معجم البلدان (4/244).

[7]() في (ن): "جعلوه".

[8]() في (ن): "فياء".

[9]() تقدمت ترجمته ص (191).

[10]() في (ن): "إلبث".

فخلف في عين التمر عويمر بن الكاهلي[1]، وخرج في تعبئته، فلما بلغ أهل دومة مسير خالد إليهم بعثوا إلى أحزابهم من بهراء[2] وكلب[3] وغسان[4] وتنوخ[5] وهم على رئيسين: أكيدر بن عبد الملك[6]، والجودي بن ربيعة[7]، اختلفوا، فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد، لا أحد أيمن طائرًا منه، ولا أحد في حرب، ولا يرى وجه خالد قوم قلوا أو كثروا إلا انهزموا، فأطيعوني وصالحوا القوم، فأبوا عليه، فقال: لن أمالئكم على حرب خالد، فشأنكم.

فخرج لطيته، فبعث خالد عاصم بن عمرو[8] معارضًا له، فأخذه وقال: إنما تلقيت الأمير خالدًا، فلما أتى به خالدًا ضربت[9] عنقه، وأخذ ما كان معه، ونزل على أهل دومة، وعليهم الجودي بن ربيعة، فجعل خالد دومة بين عسكره وعسكر عياض، وكان النصارى الذين أمدوا أهل دومة من العرب محيطين بحصن دومة لم يحملهم الحصن، فلما اطمأن خالد خرج الجودي فنهض بوديعة فزحفا [314/أ] لخالد، وخرج ابن الحدرجان وابن الأيهم إلى عياض، فاقتتلوا فهزم الله الجودي ووديعة على يدي خالد، وهزم عياض من يليه، وركبهم المسلمون، فأما خالد فأخذ الجودي أخذًا، وأخذ الأقرع بن حابس وديعة، وأرز بقية الناس إلى الحصن، فلم يحملهم، فلما امتلأ أغلق من فيه الحصن دون أصحابهم، فبقوا حوله، وقال عاصم بن عمرو: يا بني تميم[10]، حلفاؤكم كلب آسوهم وأجيروهم، فإنكم لا تقدرون على مثلها لهم، ففعلوا، وكان ذلك سبب نجاتهم، وأقبل خالد على (من) [11] أرز

---

[1]() لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[2]() بهراء: (قبيلة) بطن من قضاعة. كانت منازلهم شمال منازل بلي من ينبع إلى عقبة أيلة. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/54).

[3]() كَلَبٌ: بالتحريك، بلفظ الداء الذي يصيب من يعضه الكلب الكلب، دير الكلب: في ناحية باعذرا من أعمال الموصل. معجم البلدان (4/476).

[4]() تقدم التعريف بها ص (100).

[5]() تقدم التعريف بها ص (107).

[6]() أكيدر بن عبد الملك، صاحب دومة الجندل، كاتبَ النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. معرفة الصحابة لأبي نعيم (1/363).

[7]() الجودي بن ربيعة الغساني، كان من المتزعمين في "دومة"، في (كتاب الفتوح): أن خالد بن الوليد لما خرج إلى دومة الجندل وبها أكيدر والجودي بن ربيعة، قال أكيدر: لا أحد فمن نقيه من خالد ولا يرى وجهه أحد إلا انهزم فلا تقاتلوا، فعصوه فتركهم، وخرج فأخذته خيل خالد فقتلته، ثم قتل خالد الجودي وفتح دومة. وسبى ابنة "الجودي". انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (7/235)، إمتاع الأسماع (14/51).

[8]() تقدمت ترجمته ص (193).

[9]() في (ن): "ضرب".

[10]() تقدم التعريف بها ص (184).

[11]() ما بين القوسين زيادة من (ن).

إلى الحصن فقتلهم حتى سد بهم[1] باب الحصن، ودعا بالجودي فضرب عنقه، وضرب أعناق الأسرى إلا أسير كلب، فإن عاصمًا والأقرع وبنى تميم[2] قالوا: قد أمناهم، فأطلقهم لهم، وقال: ما لي ولكم أتحوطون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام؟ فقال له[3] عاصم: لا تحسدهم العافية، ولا تحرزهم الشيطان. ثم أطاف خالد بباب الحصن، و لم يزل عنه حتى اقتلعه، واقتحموا عليهم، فقتلوا المقاتلة وسبوا الشرخ[4] [5] – بمعجمين بينهما راء والمراد به السبي– فأقاموهم فيمن يزيد، فاشترى خالد ابنة الجودي، وكانت موصوفة بالجمال، ثم إن خالدًا[6] رد الأقرع إلى الأنبار، وثبت بدومة قليلاً، ثم ارتحل منها إلى الحيرة[7]، فلما كان قريبًا منها حيث يصحبها أخذ القعقاع أهلها بالتغليس[8] فخرج يتلقونه وهم مغلسون، وجعل بعضهم يقول لبعض: مروا بنا فهذا فرج الشر.

وكان لما أقام خالد بدومة كاتب عرب الجزيرة الأعاجم غضبًا لعقة، فخرج زرمهر من بغداد ومعه روزبه يريدان الأنبار، واتعدا حصيدًا[9] والخنافس، فكتب بذلك الزبرقان إلى القعقاع وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة، فبعث القعقاع أبا ليلى بن فدكي السعدي[10] وأمره بحصيد، وبعث عروة بن [314/ب] الجعد

---

[1]() قوله: "بهم" سقط من (ن).

[2]() تقدم التعريف بها ص (184).

[3]() قوله: "له" سقط من (ن).

[4]() في (ن): "الشرج".

[5]() الشرخ: جانب الرحل. وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ أَزَبَّ: جاءَ وَهُوَ بَيْنُ الشَّرْخَيْنِ أَي جَانِبَي الرحْلِ. لسان العرب (3/29). وقد فسره المصنف بأنه السبي، ولعله من باب الكناية.

[6]() قوله: "إن خالدًا" سقط من (ن).

[7]() الحِيْرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النّجف زعموا أن بحر فارس كان يتّصل به، وبالحيرة الخورنق بقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل، والسدير في وسط البرّيّة التي بينها وبين الشام، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه، والنسبة إليها حاريّ. وهي مكان في سورية– بين دمشق وتدمر وحمص، قالوا: إن سعد بن عبادة خرج إليه عندما تولى أبو بكر الخلافة. معجم البلدان (2/328)، المعالم الأثيرة (1/105).

[8]() (التَّغْلِيسُ) الْخُرُوج بِغَلَسٍ وَهُوَ ظُلْمَةُ آخِرُ اللَّيْلِ يُقَالُ غَلَّسَ بِالصَّلَاةِ إذَا صَلَّاهَا فِي الْغَلَسِ. المغرب في ترتيب المعرب (1/342).

[9]() الحَصِيدُ: موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة، وقال نصر: حصيد، مصغّر، واد بين الكوفة والشام. معجم البلدان (2/266).

[10]() لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

البـارقي[1] وأمـره بالخنـافس، وقـال لهمـا: إن رأيتمـا مقـدمًا فأقـدما. فخرجـا فحـالا بينهمـا وبين الريـف، وانتظـر روزبـه ورزمهـر بالمسـلمين اجتمـا ع من كاتبهمـا من ربيعة[2]، وقـد كـانوا تكـاتبوا واتعدوا.

فلما رجع خالد إلى الحيرة على الظهر وبلغه ذلك وقد عزم على مصادمة أهل المدائن كره خلاف أبي بكـر، وأن يتعلـق عليـه بشـيء، فعجـل القعقـا ع وأبـا ليلى إلى روزبـه ورزمهر[3]، فسبقاه إلى عين التمر، وقدم على خالد كتاب امرئ القيس الكلبي[4] [5]، أن الهذيل بن عمران[6] قد عسكر بالمصيخ، ونزل ربيعة بن بجير بالثني في عسكر غضبًا لعقة، يريدان رزمهر وروزبه. فخرج خالد وعلى مقدمته الأقـرع بن حـابس، واستخلف على الحيرة عياض بن غنم، وأخـذ خالـد طريـق القعقـا ع وأبي ليلى إلى الخنافس حتى قدم عليهما بالعين[7]، فبعث القعقا ع إلى حصيد، وأمره على الناس، وبعث أبا ليلى إلى الخنافس، وأمره على الناس، وقال: رَجِياهم ومن استشارهم، وإلا فواقعاهم، فأبى روزبه ورزمهر إلا المقام.

فلمـا رآهما القعقـا ع لا يتحركـان سـار نحو حصـيد، وعلى من بـه من العرب والعجم روزبـه. ولما رأى أن القعقا ع قد قصد له استمد رزمهر، فأمده بنفسه، واستخلف على عسكره المهبوذان، فالتقوا حينئذ، فقتل الله العجم مقتلة عظيمة، وقتل القعقا ع رزمهر، وقتل روزبه عصمة بن عبد الله[8]، أحد بني الحارث، وكان من البررة، وكل فخذ هاجرت بأسرها تدعى البررة، وكل قوم هاجروا من بطن [أ/315]

---

[1]() عروة بن الجعد البارقي: حدث عَنْ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدة أحاديث وكان قد نزل الكوفة، وولي القضاء بها، وأتى المدائن، ثم انتقل إِلَى براز الروز على مرحلة من النهروان فأقام بها مرابطا. تاريخ بغداد (1/552).

[2]() بنو ربيعة: بطن من شنؤة بن عامر من صعصعة من العدنايانية، وهم بنو رباب بن حجير بن عامر بن صعصعة. نهاية الأرب (1/258).

[3]() في (ن): "وزرمهر".

[4]() في (ن): "الكندي".

[5]() امرؤ القيس: بن الأصبغ الكلبيّ. كان زعيم قومه، وبعثه النبي صلّى اللَّه عليه وسلم عاملا على كلب في حين إرساله إلى قضاعة لما مات رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم كانت عمّاله على قضاعة من كلب امرأ القيس بن الأصبغ الكلبي من بني عبد اللَّه فلم يرتد. الإصابة في تمييز الصحابة (1/262).

[6]() الهذيل بن عمران التغلبي: من الرؤساء في الجاهلية: عده ابن حبيب من " الجرارين " من ربيعة، والجرار من يرأس ألفا. وقال: قتلته بنو مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، يوم " الصُليب " وقال ياقوت: الصليب، جبل عند كاظمة، كانت به وقعة بين بكر بن وائل وبني عمرو بن تميم. الأعلام (8/80).

[7]() عين التمر، وقد تقدم التعريف بها ص (210).

[8]() عصـمة بن عبـد اللَّـه: أحـد بـني الحارث بن طريـف. حضـر قتـال الفـرس مـع خـالد بن الوليد، وقتـل روزبـه أحـد ملـوكهم، وأمّره خـالـد على أحـد الكراديس يوم اليرموك. ذكره سيف في الفتوح. وقد قدّمت النقل أنهم كانوا لا يؤمّرون في الفتوح إلا الصحابة. وشهد فتوح العراق مع سعد، وغنم سفطين فيهما فرس من ذهب منظوم بالياقوت وناقة من فضة كانت توضع إلى اسطوانتي التاج. الإصابة في تمييز الصحابة (4/415).

يدعون الخيرة، فكان المسلمون خيرة بررة، وغنموا يومئذ غنائم كثيرة، وأرز الفلال إلى الخنافس فاجتمعوا بها.

وقال القعقاع في ذلك اليوم:

ألم[1] ينــــه عنـــا غي فـــارس أننا منعنـــــاهم من ريفهم بالصـــــوارم

وأنـــا أنـــاس قـــد تعـــود خيلنا لقـــاء العـــادي بـــالحتوف القواصم

وروزا قتلنـــا حيث أرهـــف حـــده وكـــل رئيس زاريـــا بالعظـــائم

تركنـــا حصـــيدًا لا أنيس بجـــوه وقـــد شـــقيت أربابـــه بالأعـــاجم

وإني لـــــراج أن تلاقي جمــــوعهم غـــديًا بإحـــدى المنكـــرات الصـــوادم

ألا أبلغـــــا أســـــماء أن خليلها قضـــى وطـــرًا من روابي الأعـــاجم

وسار أبو ليلى بمن معه ومن قدم عليه إلى الخنافس وبها المهبوذان، فهرب ومن معه إلى المصيخ وبه الهذيل بن عمران[2]، فلما بلغ خالدًا خبر الحصيد وأهل الخنافس كتب إلى القعقاع وأبي ليلى وعروة وواعدهم ليلة وساعة يجتمعون بها على المصيخ، وهو بين[3] حوران[4] والقلت[5]، وخرج خالد من العين قاصدًا له على الإبل يجنب الخيل، فلما كان في تلك الساعة من[6] ليلة الموعد اتفقوا جميعًا معه بالمصيخ، فأغاروا على الهذيل ومن معه ومن أوى إليهم، وهم نائمون، أتوهم بالغارة من ثلاثة أوجه، فقتلوهم، وامتلأ الفضاء قتلى، فما شبهوا[7] إلا غنمًا مصرعة، وأفلت الهذيل في أناس قليل.

[315/ب] وقد كان ربيعة بن بجير التغلبي نزل الثني والبشر غضبًا لعقة، وواعد لذلك روزبه ورزمهر والهذيل قبل أن يصيبهم ما أصابهم، وتقدم خالد إلى القعقاع وأبي ليلى، بأن يرتحلا أمامه، وواعدهما

---

[1]) في (ن): "فلم".

[2]) تقدمت ترجمته ص (216).

[3]) في (ن): "على".

[4]) حَوْرانُ: بالفتح كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار، وما زالت منازل العرب، وذكرها في أشعارهم كثير، وقصبتها بصرى. وهي اليوم داخل الحدود السورية قرب مدينة درعا، شمالا، يسار الطريق وأنت تؤم دمشق. معجم البلدان (2/317)، المعالم الأثيرة (1/25).

[5]) القَلْتُ: قال هشام بن محمد: أخبرني ابن عبد الرحمن القشيري عن امرأة شريك بن حباشة النميري قالت: خرجنا مع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أيام خرج إلى الشام فنزلنا موضعا يقال له القلت. معجم البلدان (4/386).

[6]) في (ن): "في".

[7]) في (ن): "أشبهوا".

ليلة ليفترقوا فيها من ثلاثة أوجه، كما فعل بأهل المصيخ، ثم خرج فنزل حوران، ثم الرنق[1]، ثم الحماة[2]، ثم الزميل[3]، وهو البشر[4] والثني[5] معه[6]، وهما شرقي الرصافة[7]، فبدأ بالثني، وبيت من ثلاثة أوجه ربيعة بن بجير ومن اجتمع له وإليه، ومن ناشب لذلك من الشبان، فجرد فيهم السيوف بياتًا، فلم يفلت من ذلك الجيش مخبر، واستبقى الشيوخ، وبعث بالخمس مع النعمان بن عوف[8]، وقسم النهب والسبايا، فاشترى[9] علي بن أبي طالب من ذلك السبي ابنة ربيعة التغلبي[10]، فولدت له عمر ورقية.

وكان الهذيل[11] أوى إلى الزميل، إلى عتاب بن فلان[12]، وهو بالبشر في عسكر ضخم، فبيتهم خالد بمثلها[13] غارة شعواء من ثلاثة أوجه، سبقت إليهم الخبر عن ربيعة، وكانت على خالد يمين ليبغتن تغلب في دارها، فقتل فيهم مقتلة لم يقتلوا قبلها مثلها، وأصابوا منهم ما شاءوا، وقسم الفيء

---

[1]() الرَنْق: وهو الكدر: وهو موضع في بلاد بني عامر بن صعصعة، وقيل: الرّنقاء قاع لا ينبت شيئًا بين دار خزاعة ودار سليم. معجم البلدان (3/74).

[2]() حَماة: مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرّقعة حفلة الأسواق. وبينها وبين حلب أربعة أيام. وقال صاحب موسوعة ألف مدينة: " وهي الآن مدينة سورية، ويعيش فيها الآن حوالي نصف مليون نسمة". انظر معجم البلدان (2/300)، موسوعة ألف مدينة ص 208.

[3]() الزُّمَيْلُ: تصغير زمل: موضع في ديار بكر وفي الفتوح: الزميل عند البشر بالجزيرة شرقي الرصافة أوقع فيه خالد ببني تغلب ونمير وغيرهم في سنة 12 أيّام أبي بكر. معجم البلدان (3/151).

[4]() البِشْرُ: وهو في الأصل حسن الملقى وطلاقة الوجه: وهو اسم جبل يمتد من عرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية. معجم البلدان (1/426).

[5]() الثَّنِيُّ: بالفتح ثم الكسر، وياء مشددة، بلفظ الثنيّ من الدوابّ، وهو الذي بلغ ثنيّه: وهو علم لموضع بالجزيرة قرب الشرقيّ شرقيّ الرّصافة، تجمّعت فيه بنو تغلب وبنو بجير لحرب خالد بن الوليد، رضي الله عنه، فأوقع بهم بالثنيّ وقتلهم كل قتلة في سنة 12 في أيام أبي بكر الصديق. معجم البلدان (2/86).

[6]() قوله: "معه" سقط من (ن).

[7]() الرَّصافة: في غربي الرقّة بينهما أربعة فراسخ على طرف البريّة، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها في الصيف. وقال صاحب موسوعة ألف مدينة: "مدينة سورية تاريخية عريقة تقع على نهر الفرات في محافظة الرقة، وعلى بعد حوالي 350 كم من دمشق وإلى الشمال الشرقي منها، وتتصل بها وبغيرها من مدن البلاد بطرق مواصلات برية ممتدة". انظر: معجم البلدان (3/47)، موسوعة ألف مدينة ص 254.

[8]() النّعمان بن عوف: بن النّعمان الشيبانيّ. ذكره سيف في الفتوح، وأنّ خالد بن الوليد وفد على أبي بكر بخمس السّبي، وأنّ المثنى بن حارثة أمّره على إحدى المجنّبتين في فتح العراق. وذكره الطّبريّ في تاريخه، وقد تقدم أنهم كانوا لا يؤمّرون في الفتوح إلا الصّحابة. الإصابة في تمييز الصحابة (6/354).

[9]() في (ن): "واشترى".

[10]() لم أقف على ترجمتها فيما وقفت عليه.

[11]() تقدمت ترجمته ص (216).

[12]() لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[13]() في (ن): "بمثلها".

في الناس، وبعث الأخماس مع الصباح بن فلان المزني، ثم عطف[1] من البشر إلى الرضاب[2] وبها هلال بن عقة وقد أرفض[3] عنه أصحابه حين سمعوا بدنو خالد، وانقشع عنها هلال و لم يلق كيدًا، ثم قصد خالد إلى الفراض، والفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، فأفطر فيها في رمضان في تلك السفرة التي اتصلت له فيها هذه الغزوات.

ولما اجتمع المسلمون بالفراض حميت الروم، واستعانوا بمن يليهم من مسالح[4] أهل فارس، وقد حموا واغتاظوا واستمدوا تغلب وإياد[5] والنمر[6]، فأمدوهم بأجمعهم، واجتمعوا كلهم على كلمة واحدة، ثم ناهدوا خالدًا حتى صار الفرات بينه وبينهم قالوا: إما أن تعبروا إلينا، أو نعبر إليكم قال خالد: بل اعبروا إلينا، قالوا: فتنحوا حتى نعبر، قال خالد: لا نفعل، ولكن اعبروا أسفل منا. فقال الروم وفارس بعضهم لبعض: احتسبوا ملككم، هذا رجل يقاتل عن[7] دين، وله عقل وعلم، ووالله [316/أ]
لينصرن ولتخذلن، ثم لم ينتفعوا بذلك، فعبروا أسفل من خالد، فلما تتاموا قالت الروم: امتازوا حتى يعرف اليوم ما كان من حسن أو قبح، من أينا يجيء ففعلوا، ثم اقتتلوا قتالاً شديدًا طويلاً، ثم هزمهم الله تعالى.

وقال خالد للمسلمين: ألحوا عليهم، فجعل صاحب الخيل يحشر منهم الزمرة برماح أصحابه، فإذا جمعوهم قتلوهم، فقتل ذلك اليوم في المعركة والطلب مائة ألف، وأقام خالد على الفراض بعد

---

[1] () عطف: عَطَفْتُ الشيءَ: أَمَلْتُه. وعَطَفْتُ عليه: انصرفت. العين (2/17).

[2] () الرَضَابُ: أوقع خالد بأهل البشر في أيّام أبي بكر، رضي الله عنه، ثمّ عطف من البشر إلى الرضاب، وهو موضع الرصافة قبل بناء هشام إيّاها، فانقشع من بها من بني تغلب فلم يلق كيدا. معجم البلدان (3/50).

[3] () أَرفَض القومُ إبلَهم: إذا أرسلوها بِلَا رِعاء، وَقد رفَضَت الإبلُ إذا تفرّقتْ. تهذيب اللغة (12/14).

[4] () في (ن): "مشالح".

[5] () تقدم التعريف بها ص (211).

[6] () تقدم التعريف بها ص (211).

[7] () في (ن): "من".

الوقعة عشرًا، ثم أذن في القفل[1] إلى الحيرة، وأمر عاصم بن عمرو[2] [3] أن يسير بهم، وأمر شجرة بن الأعز[4] أن يسوقهم.

وأظهر خالد أنه في الساقة، وخرج من الفراض حاجًا لخمس بقين من ذي القعدة مكتتمًا بحجه، ومعه عدة من أصحابه، يعتسف[5] البلاد حتى أتى مكة بالسمت[6]، فقضى حجه، ثم أتى الحيرة، فوافاه بها كتاب أبي بكر، رضي الله عنه[7]، يأمره فيه بالمسير إلى الشام ويعاتبه على ما فعل، إذ لم يعلم أبو بكر بحجته هذه إلا بعد انصرافه[8].

وقد تقدم ذلك مستوفى.

حديث المثنى بن حارثة بعد مسير خالد[9]:

ولما انفصل خالد رضي الله عنه إلى الشام شيعه المثنى إلى قراقر[10]، ورجع إلى الحيرة، فأقام بها في سلطانه، ووضع في المسلحة التي كان فيها على السيب أخاه، وسد أماكن كل من خرج مع خالد من الأمراء برجال أمثالهم من أهل الغناء، ووضع مذعور بن عدي[11] في بعض تلك الأماكن.

واستقام أهل فارس على رأس سنة من مقدم خالد على[12] الحيرة، بعد خروجه إلى الشام بقليل، وذلك سنة ثلاث عشرة، على شهربراز بن أردشير بن شهريار ممن يناسب إلى كسرى، إلى سابور. فوجه إلى المثنى جندًا عظيمًا عليهم هرمز جاذويه في عشرة آلاف، ومعه فيل، وكتبت المسالح إلى المثنى [316/ب]

---

[1] () القُفُولُ: رجوع الجند بعد الغزو، قَفَلوا قُفُولاً وقَفْلاً، والقُفُولُ، يعني الانصراف، ومنه اشتق اسم القافلة لرجوعهم إلى الوطن. العين (5/165).

[2] () في (ن): "عمران".

[3] () تقدمت ترجمته ص (193).

[4] () لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[5] () يُقَال: اعتسف الطَّرِيق اعتسافاً إذا قطعه دون صَوْب توخّاه فَأَصَابَهُ. وَقَالَ شمر: العَسْف: السَّيْر على غير عَلَم وَلَا أَثَر. تهذيب اللغة (2/64).

[6] () السمت يكون فِي مَعْنيين: أَحدهمَا حسن الْهَيْئَة والمنظر فِي مَذْهَب الدَّين وَلَيْسَ من الْجمال والزينة وَلَكِن يكون لَهُ هَيْئَة أهل الْخَيْر ومنظرهم وأما الوجه الآخر فَإِن السَّمت الطَّرِيق. غريب الحديث (3/384). ولعل المراد هنا كما قال في اللسان، مادة سمت: السير على الطريق بالحدث والظن.

[7] () قوله: "رضي الله عنه" سقط من (ن).

[8] () انظر: تاريخ الطبري (2/ 328)، الاكتفاء للكلاعي (2/ 398).

[9] () انظر: الاكتفاء (2/398)، الطبري (3/ 411- 415)، الكامل لابن الأثير (2/ 284- 286).

[10] () قُراقِرُ: بضم أوله، وبعد الألف قاف أخرى مكسورة، وراء، وهو علم مرتجل لاسم موضع لكلب بالسماوة من ناحية العراق. معجم البلدان (4/317).

[11] () تقدمت ترجمته ص (183).

[12] () قوله: "على" سقط من (ن).

بإقباله، فخرج المثنى من الحيرة نحوه، وضم إليه أصحاب المسالح، وجعل على مجنبتيه أخويه، وأقام له ببابل[1]، وأقبل هرمز[2] جاذويه، وقد كتب شهربراز إلى المثنى بن حارثة: «من شهربراز إلى المثنى: إني قد بعثت إليك جندًا من وحش أهل فارس، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلا بهم».

فكتب إليه المثنى: «من المثنى إلى شهربراز، إنما أنت أحد رجلين. إما صادق، فذلك شر لك وخير لنا، وإما كاذب، فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفي الناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي، فإنكم إنما اضطررتم إليه، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير».

فجزع أهل فارس من كتابه، وقالوا: إنما أتي شهربراز من مولده ولؤم منشئه، وكان يسكن ميسان[3]، وأن بعض البلدان شَين على من سكنه[4]. وقالوا له: جرأت عدونا بالذي كتبت إليهم، فإذا كاتبت أحدًا فاستشر. ثم التقوا ببابل، فاقتتلوا بعدوة الصراة الدنيا، على الطريق الأول، قتالاً شديدًا.

ثم إن المثنى وفرسان من المسلمين اعتمدوا الفيل، وكان يفرق بين الصفوف والكراديس، فأصابوا مقتله، فقتلوه وهزموا أهل فارس، واتبعهم المسلمون يقتلونهم، حتى جازوا مسالحهم، فأقاموا فيها، وتتبع الطلب الفالة، حتى انتهوا إلى المدائن، ومات شهربراز منهزم هرمز، واختلف أهل فارس، وبقي ما دون دجلة في يد المثنى وأيدي المسلمين.

ثم إن أهل فارس اجتمعوا بعد شهربراز على زخت زنان ابنة كسرى، فلم ينفذ لها أمر، وخلعت، وملك سابور بن شهربراز، وقام بأمره الفرخزاد بن البندوان، فقتلا جميعًا، وملكت آرز ميدخت، وتشاغلوا بذلك، وأبطأ خبر أبي بكر رضي الله عنه على المسلمين[5]، فخلف المثنى على [317/أ]

---

[1] () بَابِلُ: بكسر الباء: اسم ناحية منها الكوفة والحلّة، ينسب إليها السحر والخمر. قال عاتق البلادي: هي مدينة العراق العظيمة ذات التأريخ المجيد، المشهورة بحدائقها: «حدائق بابل المعلقة» وكانت إحدى عجائب الدنيا القديمة السبع. وقد اندثرت بابل، ولكن آثارها لا زالت باقية يؤمها مئات السياح يوميا. معجم البلدان (1/309)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (1/39).

[2] () في (ن): "هو من".

[3] () مَيْسَانُ: اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان، وفي هذه الكورة أيضا قرية فيها قبر عزير النبي، عليه السّلام. وقال في المعالم الأثيرة: "وهي مدينة عراقية على نهر دجلة شمال شرقي البصرة. عرف باسم «الكوت»، ومعناه بالفارسية الحصن". معجم البلدان (5/242)، المعالم الأثيرة (1/283).

[4] () في (ن): "يسكنه".

[5] () قوله: "على المسلمين". سقط من (ن).

المسلمين بشير بن الخصاصية[1]، ووضع مكانه في المسالح سعيد بن مرة[2] العجلي[3]، وخرج نحو أبي بكر ليخبره خبر المسلمين والمشركين، ويستأذنه في الاستعانة بمن قد ظهرت توبته من أهل الردة ممن يستطعمه الغزو، وليخبره أنه لم يخلف أحدًا أنشط إلى قتال فارس وحربها ومعونة المهاجرين منهم، إذ قد كان أبو بكر، منع من الاستعانة بهم رأسًا، وقال لأمرائه: لا تستعينوا في حربكم بأحد ممن ارتد، فإني لم أكن لأستنصر بجيش فيهم واحد ممن ارتد، وبالجزاء[4] إن فعلت أن لا تنصروا[5].

وقال عروة بن الزبير[6] : أمران يعرف بهما حال من شهد الفتوح، من ذكر أن أبا بكر، استعان في حربه بأحد ممن ارتد فقد كذب.

ومن زعم أن عمر، رضي الله عنه، حين أذن لمن ارتد في الجهاد أمر أحدًا منهم فقد كذب، وإنما تألف من تألف منهم بالإمارة عثمان.

ووجد المثنى، أبابكر مريضًا مرضه الذي توفاه الله فيه، وتوفي وأحد شقي السواد في سلطانه، والجمهور من جند أهل العراق بالحيرة، والمسالح بالسيب، والغارات تنتهي بهم إلى شاطئ دجلة، ودجلة حجاز بين العرب والعجم.

---

[1] بشير بن الخصاصية: بشير بن معبد، ويقال: ابن نذير بن معبد بن شراحيل بن سبع بن ضباري بن سدوس بن شيبان بن ذهل السدوسي المعروف بابن الخصاصية- بفتح المعجمة وتخفيف المهملة- كَانَ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ زَحْمُ بْنُ مَعْبَدٍ، فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشِيرًا. عِدَادُهُ فِي الْبَصْرِيِّينَ. معرفة الصحابة (1/400).

[2] في (ن): "قرة".

[3] تقدمت ترجمته ص (193).

[4] في (ن): "وبالحري".

[5] الاكتفاء (2/ 400).

[6] تقدمت ترجمته ص (5).

ذكر ما كان من خبر العراق في خلافة الفاروقﷺ وما كان من أمر المثنى بن حارثة معه، وذكر أبي عبيد بن مسعود[1]، على ما في ذلك من الاختلاف[2]:

قال سيف: أول ما عمل به عمر، أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة إلى أهل فارس قبل صلاة الصبح، من الليلة التي مات فيها أبو بكر رضي الله عنه، ثم أصبح فبايع الناس، وعاد فندب الناس إلى [317/ب] فارس، وفرغ الناس من البيعة في ثلاث، كل يوم يندب الناس فلا يجيبه، وكان وجه فارس أكره الوجوه إليهم، وأثقلها عليهم[3]، لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأمم.

فلما انتدب الناس في اليوم الرابع كان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود، وسعد بن عبيد القاري[4]، حليف الأنصار، وتتابع الناس.

فقال المثنى بن حارثة: أيها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإنا قد تبجحنا[5] ريف فارس، وغلبناهم على خير شِقي السواد، وشاطرناهم ونلنا منهم، واجترأ من قبلنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها.

وقام عمر فقال: إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة[6]، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك، أين المهاجرون عن موعود الله عز وجل، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في كتاب بأن يورثكموها،

---

[1] () هو أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي. أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وولاه عمر بن الخطاب قيادة جيش العراق فهزم الفرس وأسر قائدهم جابان. ثم لقيهم مرة أخرى يوم الجسر فاستشهد رحمه الله ومعه جمع من المسلمين. انظر الاستيعاب (4/1709)، أسد الغابة (6/205).

[2] () انظر: الاكتفاء (2/400)، الطبري (3/ 444- 454)، الأخبار الطوال للدينوري (ص 113)، الكامل لابن الأثير (2/ 297- 301)، كنز الدرر للدواداري (3/ 193، 194)، البداية والنهاية لابن كثير (7/ 26، 27).

[3] () قوله: "عليهم". سقط من (ن).

[4] () سَعْدُ بْنُ عُبَيْدِ. بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَمْرٍو، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: سَعْدٌ الْقَارِئُ وَيُكْنَى أَبَا زَيْدٍ وَيَرْوِي الْكُوفِيُّونَ أَنَّهُ فِيمَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْخَنْدَقَ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم، وَابْنُهُ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ وَالِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَلَى بَعْضِ الشَّامِ، وَقُتِلَ سَعْدُ بْنُ عُبَيْدٍ شَهِيدًا يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ سَنَةَ سِتَّ عَشَرَةٍ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ. الطبقات الكبرى (3/458).

[5] () تَبَجَّحَ بِهِ: فَخَرَ. وَفُلَانٌ يَتَبَجَّحُ عَلَيْنَا ويَتَمَجَّحُ إذا كَانَ يَهْذي بِهِ إِعجاباً، وَكَذَلِكَ إذا تَمَزَّحَ بِهِ. اللِّحْيَانِيُّ: فُلَانٌ يَتَبَجَّحُ ويَتَمَجَّح أَي يَفْتَخِرُ وَيُبَاهِي بشيءٍ مَا، وَقِيلَ: يَتَعَظَّمُ. ولعل المعنى: ظفرنا بريف فارس. لسان العرب (2/406).

[6] () النُّجْعة طَلَبُ الْغَيْث. جمهرة اللغة (3/1255).

فإنه قال: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[7] والله مظهر دينه، ومعز ناصره، ومولي أهله مواريث الأمم. أين عباد الله الصالحون!

فلما اجتمع ذلك البعث، كان أولهم أبو عبيد، ثم سعد بن عبيد أو سليط بن قيس[1]، قيل لعمر: أمر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين والأنصار. فقال: لا والله لا أفعل، إن الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو، فإذا جبنتم وكرهتم اللقاء، فأولوا الرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب الدعاء، لا والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتدابًا[2].

ثم دعا أبا عبيد، وسليطًا وسعدًا، فقال لهما: أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما ولأدركتكما بها إلى ما لكما من القدمة. فأمر أبا عبيد على الجيش، وقال له: اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشركهم في الأمر، ولا تجيبن مسرعًا حتى تتبين، فإنها الحرب، لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف، ثم قال: إنه لم يمنعني أن أؤمر سليطًا إلا تسرعه إلى الحرب، وفي التسرع [318/أ] إليها إلا عن بيان ضياع، والله لولا ذلك لأمرته[3].

ويروى أنه انتخب من أهل المدينة ومن حولها ألف رجل، وأمر عليهم أبا عبيد.

وعجل المثنى، وقال: النجاء حتى يقدم عليك أصحابك، فلحق الحيرة[4] في عشر، ولحقه أبو عبيد بعد شهر.

وقبل أن يتحرك عمر إنما كان بكتاب المثنى، يستمده ويحرضه على فارس، وأن عمر قال حين ولي: لأعزلن خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة ليعلما أن الله إنما ينصر دينه وليس ينصر إياهما[5].

---

[7]() سورة التوبة، آية 33.

[1]() سَلِيطُ بْنُ قَيْسِ: بْنِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدِ بْنِ مَالِكِ بن غَنْمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ وَأُمُّهُ زُغَيْبَةُ بِنْتُ زُرَارَةَ بْنِ عُدَسَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنْمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، وَهِيَ أُخْتُ أَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، وَكَانَ لِسَلِيطٍ مِنَ الْوَلَدِ ثُبَيْتَةُ، وَأُمُّهَا سُخَيْلَةُ بِنْتُ الصِّمَّةِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَتِيكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَبْذُولٍ، وَهِيَ أُخْتُ الْحَارِثِ بْنِ الصِّمَّةِ، وَكَانَ سَلِيطُ بْنُ قَيْسٍ وَأَبُو صِرْمَةَ لَمَّا أَسْلَمَا يَكْسِرَانِ أَصْنَامَ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، وَشَهِدَ سَلِيطٌ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْخَنْدَقَ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم، وَقُتِلَ يَوْمَ جِسْرِ أَبِي عُبَيْدٍ شَهِيدًا سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ. الطبقات الكبرى (3/512).

[2]() تاريخ الطبري (3/445).

[3]() المصدر السابق.

[4]() في (ن): "بالحيرة".

[5]() انظر: البداية والنهاية (7/115).

وقيل أن أمر فارس لما قدم أبو عبيدة[1] كان[2] إلى بوران بنت كسرى، عدلاً كلما اختلف الناس حتى يصلح بينهم، فلما قتل الفرخزاد وقدم رستم فقتل أرزميدخت، كانت بوران عدلاً في استخراج يزدجرد. وكان صاحب الحرب رستم.

وقيل أنها استحثت رستم على السير، وكان على فرج[3] خراسان، فأقبل رستم في الناس حتى نزل المدائن، لا يلقى جيشًا لأرزميدخت (إلا هزمه، واقتتلوا بالمدائن، فهزمهم سياوخش وهو قاتل الفرخزاد، وحصر أرزميدخت) [4] ثم افتتح[5] المدائن، فقتل سياوخش، وفقأ عين أرزميدخت، ونصب[6] بوران، فدعته إلى القيام بأمر فارس، وشكت إليه تضعضعهم وإدبار أمرهم، على أن تملكه عشر حجج، ثم يكون الملك في آل كسرى إن وجدوا[7] من غلمانهم أحدًا، وإلا ففي نسائهم.

فقال رستم: أما أنا فسامع مطيع، غير طالب عوضًا ولا ثوابًا، فإن شرفتموني وصنعتم إليّ شيئًا فأنتم أولياء ما صنعتم، إنما أنا سهمكم وطوع أيديكم. فقالت بوران: اغد عليّ، فغدا عليها، ودعت[8] مرازبة فارس، فكتبت له: بأنك على حرب فارس، ليس عليك إلا الله عن رضا منا وتسليم [318/ب]
لحكمك، وحكمك جائز فيهم ما كان حكمك في منع أرضهم وجمعهم عن فرقتهم، وتوجته وأمرت أهل فارس أن يسمعوا له ويطيعوا، ودانت له فارس بعد قدوم أبي عبيد.

وكتب رستم إلى دهاقنة[9] السواد أن يثوروا بالمسلمين، ودس[10] إلى كل رستاق[11] رجلاً ليثور بأهله، فبعث جابان إلى البهقباذ[12] الأسفل، وبعث نرسي إلى كسكر[13]، وبعث جند المصادمة[14]

---

[1] () في (ن): "أبو عبيد".
[2] () في (ن): "قيل كانت".
[3] () في (ن): "فرخ".
[4] () ما بين القوسين سقط من (ن).
[5] () في (ن): "أصبح".
[6] () في (ن): "وبقيت".
[7] () في (ن): "وجد".
[8] () في (ن): "ورغب".
[9] () الدِّهْقَانُ بِكَسْرِ الدَّالِ وَضَمِّهَا: رئيسُ القَرْية ومُقدَّم التُّنَّاء وَأَصْحَابِ الزِّراعة، وَهُوَ مُعَرَّبٌ، ونُونُه أصليةٌ، لِقَوْلِهِمْ تَدَهْقَنَ الرجلُ، وَلَهُ دَهْقَنَةٌ بموضِع كَذَا. وَقِيلَ النونُ زائدةٌ وَهُوَ مِنَ الدَّهْق: الامْتِلاءِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (2/145).
[10] () في (ن): "فدس".
[11] () (رُسْتَاقٌ)، بالضَّمّ، أَي كُورَةٌ كَثِيرَة القُرى. تاج العروس (4/421).

إلى[1] المثنى، وبلغ المثنى ذلك، فضم إليه مسالحه وحذر، وعجل جابان فنزل النمارق[2]، وتوالوا على الخرج، فنزل نرسي زندورد[3]، وثار أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله، وخرج المثنى حتى ينزل خفان[4]، لئلا يؤتى من خلفه بشيء يكرهه، حتى قدم عليه أبو عبيد.

وقال المدائني أنه بلغ يزدجرد أن ملك العرب يسير إليه، فشاور أهل بيته ومرازبته، فقالوا له: وجه إلى أطرافك فحصنها وأخرج من فيها من العرب، فوجه جالينوس ورستم وليس بالأزدي ومردان شاه ونرسي ابن خال أبرويز، كل واحد في خمسة آلاف، وأمرهم أن ينزلوا متفرقين، ويكون بعضهم قريبًا من بعض، ويمد بعضهم بعضًا وأن يقتلوا من قدروا عليه من العرب، فخرجوا والمثنى بالحيرة، فبلغه مسيرهم، فخرج لينزل على البلاد، فلقي على قنطرة النهرين خرزاذبه فقتله.

ومضى فنزل[5] من وراء أليس، ونزل العجم متفرقين، فنزل نرسي كسكر، ومردان شاه فيما بين سورا وقبين، ورستم بابل، وجالينوس بارسمي، ووجه جالينوس جابان في ألف إلى أليس، ووجه أزاذبه[6] إلى الحيرة في ألف، وفصل[7] أبو عبيد بن مسعود[8] [9] من المدينة في ألف وثمانمائة من

[أ/319]

[12]() البِهْقُباذ: إِسْتَانُ البِهْقُباذ الأسفل: إحدى كور السواد من الجانب الغربي، ومن مشهور قراه وطساسيجه: السّيلحون ونستر. معجم البلدان (1/174)

[13]() كَسْكَرُ: بالفتح ثم السكون، وكاف أخرى، وراء، معناه عامل الزرع: كورة واسعة ينسب إليها الفراريج الكسكرية لأنها تكثر بها جدًا حدّ كورة كسكر من الجانب الشرقي في آخر سقي النهروان إلى أن تصبّ دجلة في البحر كله من كسكر فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها. معجم البلدان (4/461).

[14]() في (ن): "هندًا لمصادمة".

[1]() قوله: "إلى" سقط من (ن).

[2]() النَّمَارِقُ: موضع قرب الكوفة من أرض العراق نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق. معجم البلدان (5/304).

[3]() زَنْدَوَرْد: بفتح أوّله، وسكون ثانيه، ودال مهملة، وواو مفتوحة، وراء ساكنة، ودال مهملة: مدينة كانت قرب واسط مما يلي البصرة خربت بعمارة واسط، وينسب إليها طسّوج عمل بكسكر، وله ذكر في الفتوح. معجم البلدان (3/154).

[4]() خَفّانُ: موضع قبل اليمامة، كثير الأسد. وقال في المعالم الأثيرة: موضع في ديار العراق، نزله خالد بن الوليد عند أول فتحه العراق. معجم ما استعجم (2/505)، المعالم الأثيرة (1/109).

[5]() في (ن): "ونزل".

[6]() في (ن): "أزادبه".

[7]() في (ن): "وقفل".

[8]() تقدمت ترجمته ص (222).

[9]() قوله: "بن مسعود" سقط من (ن).

المهاجرين والأنصار وغيرهم، ومعه أبو محجن الثقفي[1]، وانضم إليه في طريقه نحوًا من خمسمائة، وخرج المثنى في نحو من سبعمائة، فلقي أبا عبيد حتى نزل معه عسكره الذي كان فيه، ووضع عيونًا على المسالحة التي بأليس فأتوه فأعلموه[2] فأخبر أبا عبيد، وقال له: إن أذنت لي سرت إليهم، فأذن له وضم إليه ابنه جبرًا، وقال له: لا تخالف المثنى، فصبحوا أليس وهم آمنون فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزموا، فأصاب المسلمون سلاحًا ومتاعًا ليس بالكثير، ورجع إلى أبي عبيد، ونزل جابان فيما بين الحيرة والقادسية، وكتب أبو عبيد إلى عمر، بالخبر فسر المسلمون ونشطوا، وخرج قوم من المدينة إلى أبي عبيد، ولقي أبو عبيد جابان، وجابان في ألفين معه أزاذبه، فلم يطل القتال حتى انهزم المشركون.

وفيما ذكره سيف من الأحاديث[3] أن أبا عبيد لما نزل خفان[4] مع المثنى أقام بها أيامًا ليستجم أصحابه، وقد اجتمع إلى جابان[5] بشر كثير، وخرج أبو عبيد، وجعل المثنى على الخيل، فنزلوا على جابان[6] بالنمارق فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فهزم الله فارس، وأسر جابان[7]، أسره مطر بن فضة[8] [9]

---

[1]() أبو محجن الثقفي: الشاعر المشهور، عمرو بن حبيّب بن عمرو بن عمير بن عوف قال أبو أحمد الحاكم: له صحبة، أسلم سنة 9 هـ وروى عدة أحاديث. وكان منهمكًا في شرب النبيذ، فحده عمر مرارًا، ثم نفاه إلى جزيرة بالبحر. فهرب، ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يحارب الفرس، فكتب إليه عمر أن يحبسه، فحبسه سعد عنده. واشتد القتال في أحد أيام القادسية، فالتمس أبو محجن من امرأة سعد (سلمى) أن تحل قيده، وعاهدها أن يعود إلى القيد إن سلم، وأنشد أبياتًا في ذلك، فخلت سبيله، فقاتل قتالاً عجيبًا، ورجع بعد المعركة إلى قيده وسجنه. فحدثت سلمى سعدًا بخبره، فأطلقه وقال له: لن أحدك أبدًا. فترك النبيذ وقال: كنت آنف أن أتركه من أجل الحد! وتوفي بأذربيجان أو بجرجان. الإصابة في تمييز الصحابة (7/298).

[2]() في (ن): "فآلموه".

[3]() قوله: "من الأحاديث" سقط من (ن).

[4]() في (ن): "حفن".

[5]() في (ن): "جاباں".

[6]() في (ن): "جاباں".

[7]() في (ن): "جاباں".

[8]() في (ن): "قصة".

[9]() لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

أحد بني تيم الله[1]، وأسر مردان[2] بن[3] شاه، أسره أكتل بن شماخ[4] العكلي[5]، فضرب[6] عنقه لا يسأله عن اسمه، فقال: مردان[7] شاه، فسأل عن معناه، فقيل: ملك الرجال. قال: لا جرم والله لأقتلنك، فقتله.

وأما مطر خدعه[8] جابان[9] وكان سمينًا، وهو لا يعرفه[10]، فقال لمطر[11]: إنكم معشر العرب [319/ب] أهل وفاء، فهل لك أن تؤمنني وأعطيك غلامين أمردين خفيفين في عملك وكذا وكذا، قال: نعم، قال: فأدخلني على ملككم حتى يكون ذلك بمشهد منه، فأدخله على أبي عبيد، فتم له على ذلك وأجاز أبو عبيد، فعرفه ناس فقالوا لأبي عبيد: هذا الملك جابان، وهو الذي لقينا بهذا الجمع، فقال أبو عبيد: فما تأمرونني، أيؤمنه صاحبكم وأقتله أنا، معاذ الله من ذلك، إني أخاف الله أن أقتله، وقد أمنه رجل من المسلمين المسلمون في الذمة والقواد والتناصر كالجسد، ما لزم بعضهم لزم كلهم. فقالوا: إنه الملك، قال: وإن كان لا أعذر به، فتركه، وقال: اذهب حيث شئت.

وهرب أصحاب جابان حين أسر إلى كسكر ونرسي بأسفلها. وكانت كسكر قطيعة له، وكان النرسيان[12] له، يحميه[13] لا يأكله بشر، إلا ملك فارس، أو من أكرموه فيه بشيء، ولا يغرسه غيرهم، فقال رستم وبوران: اذهب إلى قطيعتك فاحمها من عدوك وعدونا وكونن رجلاً، فلما انهزم

---

[1] () بنو تيم: بطن من قريش من بني مرة بن كعب، وهم بنو تيم بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر، وهو قريش. نهاية الأرب (1/190).

[2] () في (ن): "مردن".

[3] () قوله: "بن" سقط من (ن).

[4] () في (ن): "سماع".

[5] () أكتل بن شماخ: بن زيد بن شداد بن صخر بن مالك بن لأي بن ثعلبة بن سعد بن كنانة بن الحارث بن عوف العكليّ: نسبه ابن الكلبيّ، وقال: شهد الجسر مع أبي عبيدة، وأسر يومئذ مرد شاه وضرب عنقه. وشهد القادسيّة، وله فيها آثار محمودة، وقال ابن الكلبيّ: كان علي بن أبي طالب إذا نظر إلى أكتل قال: من أحبّ أن ينظر إلى الصحيح الفصيح فلينظر إلى أكتل. الإصابة في تمييز الصحابة (1/350).

[6] () في (ن): "فضرب".

[7] () في (ن): "مردن".

[8] () في (ن): "فخدعه".

[9] () في (ن): "جامان".

[10] () قوله: "وهو لا يعرفه" سقط من (ن).

[11] () في (ن): "له".

[12] () في (ن): "المريستان".

[13] () في (ن): "الحمية".

الناس يوم النمارق، وأتت الفالة نحو نرسي وهو في عسكره، نادى أبو عبيد بالرحيل، وقال للمجردة[1] [2]: اتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسي، أو تبيدوهم فيما بين النمارق إلى بارق دروني[3].

ومضى أبو عبيد حتى نزل على نرسي بكسكر، والمثنى في تعبئته التي قاتل فيها جابان، وقد أتى الخبر رستم وبوران بهزيمة جابان، فبعثوا إليه الجالينوس، وبلغ ذلك نرسي وأهل كسكر وباروسما ونهر[4] جوبر والزوابى[5]، فرجوا أن يلحق قبل الوقعة، وعاجلهم أبو عبيد، فالتقوا أسفل كسكر بمكان يدعى السقاطية[6]، فاقتتلوا في صحار ملس هناك قتالاً شديدًا، ثم إن الله، عز وجل، هزم فارس، وهرب نرسي، وغلب المسلمون على عسكره وأرضه، وأخذ أبو عبيد ما حوى معسكرهم، وجمع الغنائم، فرأى من الأطعمة شيئًا عظيمًا، فبعث فيمن يليه من العرب فانتفلوا ما شاؤا، لا يؤثرون فيه، وأخذت خزائن نرسي، فلم يكونوا بشيء مما خزن أفرح منهم بالنرسيان؛ لأنه كان يحميه ويمالئه [320/أ] عليه ملوكهم، فاقتسمه المسلمون، فجعلوا يطعمونه الفلاحين.

(و) [7] قال المدائني: وسار أبو عبيد إلى الجالينوس فلقيه بباروسما[8] فهزمه، فلحق بالمدائن، وبلغ من كان ببابل هزيمة نرسي وجالينوس، فرجعوا إلى المدائن، ودخل أبو عبيد باروسما، فصالحه ابن الأندرزعر[9] عن كل رأس بأربعة دراهم، وهيئوا له طعامًا، فقال: هل أكرمتم الجند بمثله وقريتموهم؟ قالوا: لا، قال: فردوه فلا حاجة لنا فيه، بئس المرء أبو عبيد إن صحب قومًا من بلادهم اهراقوا

---

[1]() في (ن): "للمجرور".

[2]() لم أقف على معناها، ولعلها فرقة من فرق الجيش.

[3]() بارق: ماء بالعراق من أعمال الكوفة. انظر: معجم البلدان (1/ 319).

[4]() في (ن): "وأنو".

[5]() في (ن): "والدوابي".

[6]() السَّقَاطِيَةُ: ناحية بكسكر من أرض واسط وقع عندها أبو عبيد الثقفي بالنرسيان صاحب جيوش الفرس فهزّمه شرّ هزيمة. معجم البلدان (3/226).

[7]() ما بين القوسين من (ن).

[8]() بارُوسْما: الواو والسين ساكنتان: ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما باروسما العليا وباروسما السفلى من كورة الاستان الأوسط. معجم البلدان (1/320).

[9]() في (ن): "الأندرزغر".

دماءهم دونه، أو لم يهريقوها فاستأثر عليهم بشيء يصيبه! لا والله لا يأكل[1] مما أفاء الله عليهم إلا مثل ما يأكل أوساطهم[2]!

قال المدائني[3]: وبعث من باروسما المثنى إلى زندورد، وعاصم بن عمرو الأسدي[4] [5] إلى نهر جوير، وعروة بن زيد الخيل[6] إلى الزوابي[7] [8]، فأما المثنى فإن أهل زندورد حاربوه فظفر بهم فقتل وسبى، وأما أهل الزوابي[9] ونهر جوبر فصالحوا على صلح باروسما، فبعث أبو عبيد (بخمس ما أصاب، وما صالح عليه إلى عمر، ونزل أبو عبيد والمسلمون الحيرة. وبعثوا بخمس) [10] ما أصابوا من النرسيان وكتبوا: إن الله ﷻ أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها الناس، فأحببنا أن تروها لتذكروا أنعم الله وأفضاله.

وفي هذه الأخبار اختلاف كبير وتقديم وتأخيرًا وبينا[11] فيه ما لاقى[12] واستحلى.

---

[1]() في (ن): "يأكل".

[2]() انظر الاكتفاء (2/ 406).

[3]() قوله: "قال المدائني" سقط من (ن).

[4]() في (ن): "الأسيدي".

[5]() تقدمت ترجمته ص (193).

[6]() عروة بن زيد الخيل: بن مهلهل الطائي: قائد شاعر، من رجال الفتوح في صدر الإسلام. عاش مدة في الجاهلية، وشهد مع أبيه بعض حروبها. وأسلم. ويقال: إنه اجتمع بالنبيّ عليه السلام. ثم عاش إلى خلافة علي وشهد معه "صفين". وكان ممن شهد "القادسية". الإصابة في تمييز الصحابة (4/404).

[7]() في (ن): "الروابي".

[8]() زَوَابي: بعد الألف باء موحدة مكسورة، وياء منقوطة، في العراق أربعة أنهر: نهران فوق بغداد ونهران تحتها، يقال لكل واحد منها الزاب، وقد ذكرت في بابها، وتجمع الزوابي على غير قياس، وقياسه أزواب أو زيبان. معجم البلدان (3/155).

[9]() في (ن): "الروابي".

[10]() ما بين القوسين سقط من (ن).

[11]() في (ن): "تأخير أثبتنا".

[12]() في (ن): "لاق".

حديث وقعة الجسر ويقال لها: وقعة القس، قس[1] الناطف، ويقال لها: المروحة[2] [3]:

ولما فتح أبو عبيد ما فتح، وهزم من هزم، ونزل الحيرة، ورجعت المرازبة إلى يزدجرد منهزمين، شتمهم، وأقصاهم، ودعا بهمن الحاجب فعقد له على اثني عشر ألفًا، وقال له: قدم هؤلاء الذين انهزموا، فإن انهزموا فاضرب أعناقهم، ودفع إليه درفش كابيان، رايةً كانت لكسرى فكانوا يتيمنون بها، وكانت من جلود النمور، عرضها ثمانية أذرع في طول اثني عشر ذراعًا، وأعطاه سلاحا كثيرًا، [320/ب] وحمل معه من أداة القتال وآلة[4] الحرب أوقارًا من الإبل، ودفع إليه الفيل الأبيض، فخرج في عدة لم ير مثلها.

وفي كتاب سيف أن رستم هو صاحب ذلك، وأنه الذي رجع إليه الجالينوس ومن أفلت من جنده فقال رستم: أي العجم أشد على العرب فيما ترون؟ قالوا: بهمن جاذويه، وهو ذو الحاجب، فوجهه ومعه الفيلة، ورد جالينوس معه.

وبلغ المسلمين مسيرهم، فقال المثنى لأبي عبيد: إنك لم تلق مثل هذا الجمع ولا مثل هذه العدة، ولمثل ما أتوك به روعة لا تثبت لها القلوب، فارتحل من منزلك هذا حتى نعبر[5] الفرات ونقطع[6] الجسر وتصير[7] الفرات بينك وبينهم فتراهم، فإن عبروا إليك قاتلهم، واستعنت[8] بالله، قال: إني لأرى هذا وَهْنًا، ثم أخذ برأي المثنى فعبر الفرات ونزل المروحة وقطع الجسر، وأقبل بهمن فنزل قس[9] الناطف، (و) [10] بينه وبين أبي عبيد الفرات، وأرسل إلى أبي عبيد: إما أن تعبر[11] إلينا، وإما أن نعبر

---

[1]() في (ن): "القيس، قيس".

[2]() قُسُّ النَّاطِفِ: بضم أوله، والناطف بالنون، وآخره فاء: وهو موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي، والمروحة: موضع بشاطئ الفرات الغربي كانت به وقعة بين الفرس والمسلمين في سنة 13 في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وأمير المسلمين أبو عبيد بن مسعود بن عمرو. وفي [321/أ] معجم رمزي البعلبكي (1/ 96) أن موضع القس هذه اليوم باسم القلس على ساحل البحر الأبيض. معجم البلدان (4/349).

[3]() انظر: الاكتفاء (2/407)، الطبري (3/ 454- 459)، الكامل لابن الأثير (2/ 301- 303)، البداية والنهاية لابن كثير (7/ 27- 29).

[4]() في (ن): "وآلات".

[5]() في (ن): "تعبر".

[6]() في (ن): "تقطع".

[7]() في (ن): "تجعل".

[8]() في (ن): "واستعن".

[9]() في (ن): "قيس".

[10]() ما بين القوسين من (ن).

[11]() في (ن): "تعبروا".

إليك[1]. فقال أبو عبيد: نعبر إليكم. فقال المثنى أذكرك الله والإسلام أن تعبر إليهم[2]، فحلف ليعبرن إليهم، ودعا ابن[3] صلوبا فعقد له الجسر فقال سليط بن قيس الأنصاري[4]: يا أبا عبيد أذكرك الله ألا تركت للمسلمين مجالاً، فإن العرب من شأنها أن تفر ثم تكر، فاقطع هذا الجسر وتحول[5] عن منزلك وانزل أدنى منزل من البر وتكتب إلى أمير المؤمنين فتعلمه ما قد أجلبوا به علينا، ونقيم فإذا كثر عددنا وجاء مددنا رجعنا إليهم وبنا قوة، وأرجو أن يظهرنا الله عليهم. قال: جبنت والله يا سليط. قال: والله إني لأشد منك بأسًا، وأشجع منك[6] قلبًا، ثم تقدم فعبر، فقال المثنى لأبي عبيد: والله ما جبن، ولكن أشار بالرأي، وأنا أعلم بقتال هؤلاء منك، لئن عبرت إليهم في ضيق هذا المطرد ليجزرن المسلمين هذا العدو. قال: والله لأعبرن إليهم، وكان رسول بهمن قد قال: إن أهل فارس قد عيروهم، يعنى المسلمين[7]، بالجبن عن العبور إليهم، فازداد أبو عبيد محكًا، فقال المثنى للناس: اجعلوا جبنها بي ولا تعبروا فقالوا: كيف نصنع وقد عبر أميرنا وسليط في الأنصار وعبر الناس فقال المثنى: إني لأرى ما تصنعون ولولا أن خذلانكم يقبح ولا أراه يحل ما صحبتكم، ثم عبر، فالتقى الناس في موضع ضيق المطرد.

قال: وكانت دومة امرأة أبي عبيد رأت وهي بالطائف كأن رجلاً نزل من السماء معه إناء فيه شراب، فشرب منه أبو عبيد ورجال من أهل بيته يأتي ذكرهم، فقصتها على أبي عبيد، فقال: هذه الشهادة إن شاء الله[8].

---

[1]) في (ن): "إليكم".

[2]) في (ن): "الردم".

[3]) في (ن): "أبا".

[4]) تقدمت ترجمته ص (223).

[5]) في (ن): "تحرك".

[6]) قوله: "منك" سقط من (ن).

[7]) في (ن): "يعني المسلمين".

[8]) انظر الاكتفاء (2/ 409).

فلما التقوا قال أبو عبيد: إن قتلت فأميركم عبد الله بن مسعود بن عمر[1]، يعني أخاه، فإن قتل فأميركم جبر بن أبي عبيد[2]، فإن قتل فأميركم أبو الحكم بن حبيب بن ربيعة بن عمرو بن عمير[3]، فإن قتل فأميركم أبو قيس بن حبيب، وهؤلاء الإخوة الثلاثة بنو عمه، حتى عدّ كل من شرب (من)[4] الإناء، ثم قال: فإن قتل فأميركم المثنى بن حارثة، وصير على ميمنته سليط بن قيس، وعلى ميسرته المثنى.

وقدم ذو الحاجب جالينوس معه الفيل الأبيض وراية كسرى وقد أطافت به حماة المشركين، معلمين أمامهم رجال يمشون على العمد[5]، فكانت بين الناس مشاولة[6]، يخرج العشرة والعشرون فيقتتلون مليًا من النهار، ثم حمل المشركون على المسلمين فنضحوهم بالنبل، وجثت رجالهم فاستقبلوا بالرماح، و لم يقدروا من المسلمين على شيء فانصرفوا عنهم، ثم حملوا عليهم الثانية ففعلوا مثلها، ثم انصرفوا، وحملوا عليهم الثالثة فصبروا، فلما رأوا أنهم لا يقدرون على ما يريدون من المسلمين جاءوا بالنشاب فوضعوه كأنه آكام وتفرقوا ثلاث فرق، فقصدت فرقة لأبي عبيد في القلب، وفرقة لسليط [321/ب] في الميمنة، وفرقة للمثنى في الميسرة، ثم صاروا كراديس، فجعل الكردوس[7] يمر بهم معرضًا بالمسلمين ويرميهم حتى كثرت الجراحات فيهم، وعضلت الأرض بأهلها.

وأقبلت الفيلة عليها النخل، والخيول عليها التجافيف[8]، والفرسان عليهم الشعر، فلما نظرت ذلك خيول المسلمين رأت شيئًا منكرًا لم تكن ترى مثله، فجعل المسلمون إذا حملوا[9] عليهم لم تقدم

---

[1]() هو أخو أبي عبيد بن مسعود رضي الله عنهما – كما ذكر المصنف – و لم أقف على ترجمة وافية له فيما وقفت عليه.

[2]() هو: جَبْر بن أبي عُبَيْد بن مَسْعُود الثَّقَفِي قتل مع أبيه يوم الجسر هو أخو المختار. المؤتلف والمختلف للدارقطني (1/376).

[3]() أبو الحكم بن حبيب بن ربيعة بن عَمْرو بن عمير الثقفي: أورده الْحَسَن السمرقندي فِي الصحابة، وقتل يوم جسر أَبِي عُبَيْد، وهو يوم قس الناطف، قاله الْمَدَائِنِيّ، قَالَ: وأصيب يومئذ ثلاثمائة فيهم ثمانون خاضبًا، وإنما كثر القتل فِي ثقيف لأن أميرهم أبا عُبَيْد كَانَ ثقفيا فقاتلوا عَنْهُ، فكثر القتل فيهم، وقتل هُوَ أيضًا، وهو والد المختار بن أبي عُبَيْد. أسد الغابة ط العلمية (6/73).

[4]() ما بين القوسين من (ن).

[5]() قَالَ اللَّيْث: يُقَال لأَصْحَاب الأَخْبِيَة الَّذين لَا ينزلون غَيرهَا: هم أهل عَمُود وَأهل عماد. والجميع مِنْهُمَا العُمُدُ. تهذيب اللغة (2/149).

[6]() تشاول الْقَوْم عِنْد الْقِتَال: رفع كل فريق السِّلَاح فِي وَجه الْفَرِيق الآخر. المعجم الوسيط (1/501).

[7]() الكُرْدُوس: الخيل العظيمة، كَرْدَسَ القائد خيله كَراديسَ: جعلها كتيبة كتيبة. العين (5/426).

[8]() فِي حَدِيثِ الحدَيْبِية «فَجَاءَ يقوده إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَرَسٍ مُجَفَّفٍ» أَيْ عَلَيْهِ تِجْفَافٌ، وَهُوَ شَيْءٌ مِنْ سِلَاحٍ يُتْرَك عَلَى الْفَرَسِ يَقِيهِ الأَذَى وَقَدْ يلْبَسُه الْإِنْسَانُ أَيْضًا، وَجَمْعُهُ تَجَافِيف. النهاية في غريب الحديث والأثر (1/279).

[9]() في (ن): "حمل".

خيولهم، وإذا حملوا على المسلمين بالفيلة والجلاجل فرقت كراديسهم، لا تقوى[1] لهم الخيل إلا على نفار، وخزقهم الفرس بالنشاب، وعض المسلمين الألم، وجعلوا لا يصلون إليهم، فنادى[2] سليط بن قيس[3] : يا أبا عبيد أرأيي[4] (أولى) [5] أم رأيك أما والله لتعلمن أنك قد أضررت برأيك نفسك والمسلمين، ثم قال: يا معشر المسلمين علام نستهدف لهؤلاء المشركين من أراد الجنة فليحمل معي، فحمل في جماعة أكثرهم من الأنصار، فقتل وقتلوا، وترجل أبو عبيد وترجل الناس ومشوا إليهم، فتكافحوا وصافحوهم بالسيوف وحمي البأس حتى كثرت القتلى من الطائفتين، وجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم، فنادى أبو عبيد: احتوشوا الفيلة فقطعوا بطنها[6] وأقلبوا عنها[7] أهلها؛ وواثب هو الفيل الأبيض، فتعلق ببطانه[8] فقطعه، ووقع الذين عليه، وفعل القوم مثل ذلك؛ فما تركوا فيلاً إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه، وقال أبو عبيد: ما لهذه الدابة من مقتل؟ قالوا: بلى، مشفرها إن قطع، فضرب مشفره فقطعه[9] وبرك عليه فاستدبره أبو محجن فضرب عرقوبيه فاستدار وسقط لجنبه، وتعاور أبا عبيد المشركون فقتلوه، وقيل: بل اتقاه الفيل بيده لما نفح مشفره بالسيف فأصابه بيده فوقع فخبطه الفيل وقام عليه.

فلما بصر الناس بأبي عبيد تحت الفيل خشعت أنفس بعضهم، وأخذ اللواء الذي كان أمره من بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عبيد فاجتره إلى المسلمين وأحرزوا[10] شلوه[11]، ثم تجرثم[12] [322/أ] للفيل فاتقاه الفيل بيده دأب أبي عبيد، وخبطه الفيل، وقام عليه، وتتابع أمراء أبي عبيد كلهم بأخذ

---

[1]() في (ن): "تقوم".

[2]() في (ن): "ونادى".

[3]() تقدمت ترجمته ص (223).

[4]() في (ن): "رأيي".

[5]() ما بين القوسين من (ن).

[6]() في (ن): "بطونها".

[7]() في (ن): "عليها".

[8]() والمراد أن أبا عبيد تعلق ببطان الفيل.

[9]() في (ن): "فقطع".

[10]() في (ن): "وأحرزوا".

[11]() شلوه: شلو: الشِّلو: الجسد والجلدُ من كلِّ شيءٍ. والشِّلو: العضو. العين (6/284).

[12]() تجرثم: تجَرْثم الرجلُ: سقط من عَلْو. تهذيب اللغة (11/173).

اللواء، فقاتل[1] حتى يموت، وصبر الناس حتى قتلوا، وصارت الراية إلى المثنى، فجاش بها ساعة ثم انهزم الناس وركبهم المشركون واقتطعوا زر بن خطم[2] أو ابن حصن في جماعة من المسلمين، فنادى زر: يا معشر المسلمين، أنا زر، إنه ليس بعار أن يقتل الرجل وهو مقبل على عدوه ومعه سيف يضرب به سباهم وأنفهم، إنما العار أن يقتل الرجل وهو غير مقبل على عدوه، فاثبتوا فرب قوم قد فروا ثم كروا ففتح الله عليهم، فثاب إليه ناس من أهل الحفاظ حتى صاروا نحوًا من ثلاثمائة، وأحاط بهم المشركون حتى خافوا الهلاك، ونظر إليهم المثنى بن حارثة، فقال لناس من بكر بن وائل[3]: أرى إخوانكم قد أحسنوا القتال وصبروا لعدوهم، فإن أمسكتم عنهم هلكوا، وإن كررتم رجوت أن تفرجوا عنهم وأن يكشف الله لهم السبيل إلى الجسر، فحمل على المشركين في سبعين من بكر بن وائل أصحاب خيل مقدحة، كان يعدها للطلب والغارة في بلاد العدو فقاتلهم حتى ارتفع عنهم المشركون وانضموا إلى إخوانهم من المسلمين.

[322/ب] ونظر عروة بن زيد الخيل[4] وقد أحيط به وهو في عشرين فارسًا من المسلمين تطارد المشركين فقال لمن معه: أرى في المسلمين بقية، فاحملوا على من بيننا وبين أصحابنا، فحملوا وأفرجوا لهم حتى وصلوا إلى المسلمين، وكان عروة يومئذ على فرس كميت[5] أغر الذنوب[6]، فأبلى أحسن بلاء، كان يشد عليه المنسر[7] [8] من مناسر[9] العجم وهو وحده فإذا غشوه كر عليهم فيتصدعون حتى عرف مكانه، وتعجب الناس يومئذ من عروة لما رأوا من بلائه، فقال المثنى: إن البأس ليس بمستنكر، ومضى

---

[1] () في (ن): "فيقاتل".

[2] () لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[3] () تقدم التعريف بها ص (181).

[4] () تقدمت ترجمته ص (229).

[5] () الكُمَيْتُ: لَوْنٌ: لَيْسَ بأَشْقَرَ وَلَا أَدْهَمَ، قَالَ أَبو عُبَيْدَةَ: فَرْقُ مَا بينَ الكُمَيْتِ، والأَشْقَرِ فِي الخَيْلِ بالعُرْفِ والذَّنَبِ، فإِن كَانَا أَحْمَرَيْنِ فَهُوَ أَشْقَرُ، وإِن كَانَا أَسْوَدَيْنِ فَهُوَ كُمَيْتٌ. تاج العروس (5/67).

[6] () في (ن): "الذبوب".

[7] () في (ن): "الميسر".

[8] () الْمَنْسِر، بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ السِّينِ وبعكسِهما: القِطعة مِنَ الجَيش، تَمُرّ قدّامَ الْجَيْشِ الْكَبِيرِ، وَالْمِيمُ زَائِدَةٌ. النهاية في غريب الحديث والأثر (5/47).

[9] () في (ن): "مياسر".

الناس نحو الجسر، وحماهم المثنى وعروة بن زيد الخيل[1] والكلح الضبي[2] وعاصم بن عمرو الأسدي[3] وعامر بن الصلت السلمي[4] ونادى المثنى: أيها الناس، أنا دونكم فاعبروا على هيئتكم ولا تدهشوا فإنا لن نزول حتى نراكم من ذلك الجانب، فلا تفرقوا[5] أنفسكم. فانتهى الناس إلى الجسر وقد سبق إليه عبد الله بن مرثد فقطعه وقال: قاتلوا عن دينكم، فخشع الناس واقتحموا الفرات فغرق من لم يصبروا، وأسرع المشركون فيمن صبروا، وأتاهم المثنى بن حارثة فأمر بالسفينة التي قطعت فوصلت بالجسر وعبر الناس.

وأصيب يومئذ من المسلمين ألف وثمانمائة، واستحر[6] القتل يومئذ ببني عوف بن عقدة[7] رهط أبي عبيد فأبيدوا. ويقال: (إنه) [8] قتل يومئذ معه اثنان وعشرون رجلاً ممن هاجر، وقتل من المشركين ألفان.

وقد كانت سيوف المسلمين أسرعت في أهل الشرك، وأصيب منهم ستة آلاف، و لم يبق إلا الهزيمة، فلما خبط أبو عبيد، وقام عليه الفيل جال المسلمون جولة (منكرة) [9]، ثم تموا عليها، حتى ركبهم أهل فارس. وقال أبو عثمان النهدي: هلك يومئذ من المسلمين، أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وهرب ألفان، وبقى ثلاثة آلاف.

ولما فرغ الناس من العبور عبر المثنى وحمى جانبه، واضطرب عسكره ورماهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم، وقطع المسلمون الجسر بعد عبورهم.

---

[1]() تقدمت ترجمته ص (229).

[2]() لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[3]() تقدمت ترجمته ص (193).

[4]() لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[5]() في (ن): "تغرقوا".

[6]() اسْتَحَرَّ القتلُ، أي: اشْتَدَّ. معجم ديوان الأدب (3/184).

[7]() في (ن): "عقبه".

[8]() ما بين القوسين من (ن).

[9]() ما بين القوسين من (ن).

قيل: وخرج جابان، ومردانشاه في ألف من الأساورة[1] منتخبين ليسبقوا المسلمين إلى الطريق، وبلغ ذلك المثنى، فاستخلف على الناس عاصم بن عمرو[2]، وخرج يريدهما في جريدة خيل، فاعترضاه يظنانه هاربًا، فأخذهما أسيرين فضرب أعناقهما، وقال: أنتما كذبتما أميرنا واستفززتماه.
[323/أ] وخرج أهل أليس على أصحابهما، فأخذوهم فجاءوا بهم إلى المثنى، فضرب أعناقهم، وعقد بذلك لأهل أليس ذمة ثم رجع إلى عسكره. وقيل: بل لقيهم فقتل مردانشاه في المعركة وأسر جابان فضرب رقبته.

وقد تقدم ما يخالف ذلك من أسرهما وقتل مردانشاه وإطلاق جابان والله[3] أعلم أيهما أصح.

وانهزم المشركون، ومضى المثنى إلى أليس، وتفرق بنو تميم[4] إلى بواديهم، ومضى أهل المدينة وأسد[5] غطفان[6] فنزلوا الثعلبية[7].

وكان لعروة بن زيد الخيل[8] من الغناء في ما تقدم، فقال له المثنى: يا عروة، أما والله لو أن معي مثلك ألف فارس من العرب ما تهيبت أن أصبح ابن[9] كسرى في مدائنه وما كنت أكره أن ألقى مثل هذا الجمع الذي فل[10] المسلمين مصحرًا[11] ولرجوت أن يظفرني الله بهم، فهل لك في المقام معي لا أوثر عليك نفسي ولا أحدًا من قومي؟ فأبى عليه.

---

[1] () الأساورة: من تميم منهم أبو عيسى الأسواري عن أبي سعيد الخدريّ، وفي كتب اللغة أن الأسوار بالضم ويكسر أحد أساورة الفرس فعلى هذا فالنسبة إلى هؤلاء الأساورة الذين نزلوا البصرة وانتموا إلى تميم. الأنساب للسمعاني (1/250).

[2] () تقدمت ترجمته ص (193).

[3] () في (ن): "فالله".

[4] () تقدم التعريف بها ص (181).

[5] () تقدم التعريف بها ص (186).

[6] () بنو غطفان: بطن من قيس عيلان من العدنانية، وهم بنو غطفان ابن سعد بن قيس بن عيلان، قال في العبر: وهو بطن من متسع كثير الشعوب والبطون. قال ومنازلهم مما يلي وادي القرى وجبلي طي، ثم تفرقوا في الفتوحات الاسلامية واستولى على مواطنهم هناك قبائل طي. نهاية الأرب (1/388).

[7] () الثَّعْلَبيَّةُ: منسوب، بفتح أوله: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشّقوق وقبل الخزيمية، وهي ثلثا الطريق، وأسفل منها ماء يقال له الضّويجعة على ميل منها مشرف، ثم تمضي فتقع في برك يقال لها برك حمد السبيل ثم تقع في رمل متّصل بالخزيمية. معجم البلدان (2/78).

[8] () تقدمت ترجمته ص (229).

[9] () في (ن): "إلى".

[10] () في (ن): "قتل".

[11] () صحر: أصحَرَ القَومُ: أي بَرزُوا إلى الصَّحْراء. العين (3/114).

ثم إن الذين نزلوا الثعلبية سألوا عروة أن يأتي عمر بن الخطاب، بكتابهم، فكتبوا: إنا لقينا عدو الإسلام من أهل فارس بمكان يقال له قس[1] الناطف فقتل أميرنا وأمراء أمّرهم أبو عبيد[2]، وسليط بن قيس[3] ورجال من المسلمين منهم من تعرف، ومنهم من تنكر، وتولى أمر الناس المثنى بن حارثة فحماهم في فوارس، فجزاهم الله عن الإسلام خيرًا، فكتبنا إليك وقد نزلنا الثعلبية فرارًا من الزحف لا نرى إلا أنّا قد هلكنا، وقد بعثنا إليك فارس المسلمين عروة يخبرك عنا ويأتينا بأمرك.

فلما انتهى في القراءة إلى قوله: منهم من تعرف ومنهم من تنكر بكى فقال[4]: ما ضر قومًا[5] عرفهم الله أن ينكرهم عمر، لكن الله لا يخفى عليه من عباده المحسنون، يا عروة ارجع إليهم فأعلمهم أنهم ليسوا بفرار، وإنما انحازوا إليّ، وأنا لهم فئة، وسيفتح الله عليهم تلك البلاد إن شاء الله، يرحم الله أبا عبيد لو انحاز إلينا واعتصم بالحيف[6] لكنا له فئة. [323/ب]

وكتب مع عروة إلى المثنى: أما بعد، فإن الله كتب القتل على قوم فما كان مماتهم ليكون إلا قتلاً، وكتب الموت على قوم فهم يموتون موتًا، فطوبى لمن قتل في سبيل الله محتسبًا نفسه صابرًا، وقد بلغني عنك ما كنت أحب أن تكون عليه، فالزم مكانك الذي أنت به، وادع من حولك من العرب، ولا تعجلن إلى قتال إلا أن تقاتل، أو ترى فرصةً حتى تأتيك أمداد المسلمين، وكأن قد أتتك على الصعبة والذلول. فقدم به عروة (على) [7] المثنى، ورجع أهل الحجاز وأسد وغطفان إلى بلادهم، وأقام المثنى حتى قدمت الأمداد.

وكان أول قدم بخبر الجسر ممن شهده عبد الله بن يزيد الخطمي[8]، وكان عمر على المنبر فقال له: ما عندك يا ابن زيد؟ قال: أتاك الخبر يا أمير المؤمنين، ثم صعد إليه فأخبره.

---

[1]() في (ن): "قيس".

[2]() قوله: "أبو عبيدة" سقط من (ن).

[3]() تقدمت ترجمته ص (224).

[4]() في (ن): "وقال".

[5]() في (ن): "عرفونا".

[6]() لم أقف على موضعها فيما تيسير لي الاطلاع عليه.

[7]() ما بين القوسين من (ن).

[8]() عبد الله بن يزيد: بن زيد، من بني خطمة، الأوسي الأنصاري، أبو موسى: أمير، من أصحاب عليّ بن أبي طالب. شهد الحديبيّة وهو صغير، وشهد الجمل وصفين مع علي، وولي مكة لابن الزبير مدة يسيرة، ثم ولاه إمارة الكوفة فتوفي فيها. الأعلام (4/146).

وكان عمر، قد رأى في النوم أن أبا عبيد وأصحابه انتهوا إلى ضرس من الحيرة فتحيروا و لم يجدوا مخرجًا، فرجعوا فلم يجدوا طريقًا، فرفعوا[1] إلى السماء، فقال عمر: هذه شهادة، فليت شعرى ما فعل عدوهم[2]؟

حديث البويب[3] ووقعة مهران[4]:

ولما بلغ عمر، (أمر الجيش) [5] استخلف على المدينة علي بن أبي طالب[6] وخرج فنزل بصرار[7] يريد أرض فارس، وقدم طلحة بن عبيد الله فنزل الأعوص[8]، فدخل عليه العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف فأشاروا عليه بالمقام، وقالوا: شاور الناس، فكتب إلى علي وطلحة فقدما عليه، فجمع الناس فقال[9]: إني نزلت منزلي هذا وأنا أريد العراق فصرفني عن ذلك قوم من ذوي الرأي منكم، وقد أحضرت هذا الأمر من قدمت ومن خلفت، فأشيروا عليّ، فقال علي بن أبي طالب، أرى أن ترجع إلى المدينة وتكتب إلى من هناك من المسلمين أن يدعوا من حولهم ويحذروا [324/أ] على أنفسهم، وقد قدم قوم من العرب يريدون الهجرة فوجههم إليهم فتكون دار هجرة حتى إذا كثروا وليت أمرهم رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل السابقة والقدم في الإسلام، فانصرف عمر إلى المدينة وكتب إلى المثنى بأن[10] يدعو من حوله ولا يقاتل أحدًا حتى يأتيه

---

[1]() قوله: "فلم يجدوا طريقًا فرفعوا" سقط من (ن).

[2]() انظر الاكتفاء (2/ 414).

[3]() البُوَيْبُ: نقب بين جبلين، وقال يعقوب: البويب مدخل أهل الحجاز إلى مصر والبويب أيضا: نهر كان بالعراق موضع الكوفة، فمه عند دار الرزق يأخذ من الفرات، كانت عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس في أيام أبي بكر الصديق، وكان مجراه إلى موضع دار صالح بن عليّ بالكوفة ومصبّه في الجوف العتيق، وكان مغيضا للفرات أيام المدود ليزيدوا به الجوف تحصينا، وقد كانوا فعلوا ذلك الجوف حتى كانت السّفن البحرية ترفأ إلى الجوف. معجم البلدان (1/512).

[4]() انظر: الاكتفاء (2/415)، الكامل في التاريخ لابن الأثير (2/ 303- 306)، الطبري (3/460- 472)، البداية والنهاية لابن كثير (7/ 29، 30).

[5]() ما بين القوسين من (ن).

[6]() وهو رد على الرافضة في زعمهم سوء العلاقة بين أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

[7]() صِرَارٌ: بكسر أوّله، وآخره مثل ثانيه، وهي الأماكن المرتفعة التي لا يعلوها الماء يقال لها صرار، وصرار: اسم جبل، وقيل: صرار موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق. وقال في معجم المعالم الجغرافية وفي المعالم الأثيرة بنفس ما قيل في معجم البلدان. معجم البلدان (3/398)، معجم المعالم الجغرافية (1/176)، المعالم الأثيرة (1 /158).

[8]() الأعَوَص: موضع بشرقي المدينة، على بضعة عشر ميلا منها، وكان ينزله إسماعيل بن عمرو بن سعيد ابن العاصي، وكان له فضل لم يتلبس بشيء من سلطان أميّة، وكان عمر بن عبد العزيز يقول: لو كان لي أن أعهد لم أعد أحد رجلين: صاحب الأعوص، أو أعمش بنى تميم، يعنى القاسم بن محمّد. معجم ما استعجم (1/173)، المعالم الأثيرة (1/31).

[9]() في (ن): "وقال".

[10]() في (ن): "أن".

المدد، وقدم من الأسد وبارق[1] وغامد[2] وكنانة[3] سبعمائة أهل بيت، فقال لهم عمر: أين تريدون؟ فقالوا: سلفنا بالشام. قال: أو غير ذلك، أرضا تبتذونها[4] إن شاء الله ويغنمكم الله كنوزها، أخوار فارس.

فقال مخنف بن سليم الغامدي[5]: مرنا بأحب الوجهين إليك. قال: العراق.

قال: فامضوا على بركة الله، فأمّر على الأزد[6] رجلاً منهم، وعلى كنانة[7] غالب بن عبد الله الليثي[8] فشخصوا إلى أرض الكوفة، فقدموا على المثنى، وأقبل[9] بهم حتى نزلوا العذيب[10] [11].

ويقال: أمّر عرفجة البارقي[12] (على قومه) [13] وعامتهم من بارق، وفرحوا برجوع عرفجة إليهم. وقدم بعدهم أربعمائة بيت من كندة[14] والسكون، فيهم الأشعث بن قيس[15] ومعاوية بن

---

[1]() بنو بارق: بطن من خزاعة من بني عمرو بن مزيقياء من الأزد من القحطانية، وهم بنو بارق بن عدي بن حارثة بن مزيقياء، منهم أم الخير بنت الحريش البارقة التي وردت على معاوية بعد ما كان منها في حقه يوم صفين فأحسن جائزتها. نهاية الأرب (1/169).

[2]() بطن من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو غامد، واسمه عمرو بن عبد الله قدم منهم وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر، وكانوا عشرة، فأقروا بالإسلام، وكتب لهم كتابا فيه شرائع الإسلام، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبيّ ابن كعب يعلمهم قرآنا، وأجازهم عليه صلى الله عليه وسلم. من بلادهم: دوقة بأرض اليمن. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (3/876).

[3]() تقدم التعريف بها ص (73).

[4]() في (ن): "تتبرذونها".

[5]() مخنف بن سليم: بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة الأزديّ الغامديّ. قال ابن الكلبيّ: هو من الأزد بالكوفة والبصرة، ومن ولده أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم، قال: له صحبة. الإصابة في تمييز الصحابة (6/45).

[6]() تتقدمت ترجمته ص (96).

[7]() تقدم التعريف بها ص (73).

[8]() غالب بن عبد اللَّه: الكناني الليثي قال البخاريّ: له صحبة، من الولاة. بعثة النبي صلّى الله عليه وسلم سنة 5 هـ في ستين راكبا إلى " الكديد " فظفر. وأرسله سنة 8 ومعه مئتا مقاتل إلى " فدك " فعاد غانما. وبعثه عام الفتح ليسهل له الطريق إلى مكة ويكون "عينا" له. وشهد القادسية. وقتل هرمز ملك الباب. وولاه زياد ابن أبيه خراسان في زمن معاوية سنة 48. الإصابة في تمييز الصحابة (5/242) الأعلام (5/114).

[9]() في (ن): "فأقبل".

[10]() العُذَيبُ: بضمّ أوّله، تصغير عذب: واد بظاهر الكوفة. وقال في المعالم الأثيرة: "العذيب: مكان شمال المدينة قرب النقمي، والعذيب: أيضا واد في شمال المدينة. والعذيب: قرية في وادي القرى فوق العلا غير بعيدة عنها. والعذيب: مكان قرب الكوفة في العراق". معجم ما استعجم (3/927)، المعالم الأثيرة (1/187).

[11]() قوله: "العذيب" سقط من (ن).

[12]() عرفجة: بن هرثمة بن عبد العزى بن زهير البارقي، أحد الأمراء في الفتوح. وروى عن سهيل بن يوسف، عن القاسم بن محمد- أنّ أبا بكر الصديق أمّره في حرب أهل الردة. الإصابة في تمييز الصحابة (4/401).

[13]() ما بين القوسين من (ن).

حديج[1] وشرحبيل بن السمط[2]، فقالوا: يا أمير المؤمنين قدمنا نريد سلفنا بالشام، فنظر إليهم وعليهم الحلل فأعرض عنهم، فكلموه، أيضًا، فلم يأمرهم بشيء، فقيل له: ما يمنعك؟ قال: إني لمتردد فيهم منقبض عنهم، لا ينزل هؤلاء بلدًا إلا فتنوا أهله، وما قدم أحد المدينة أكره إليّ منهم، فأمضى نصفهم إلى الشام، عليهم معاوية بن حديج، ونصفهم إلى العراق عليهم شرحبيل بن السمط.

وقدم من مذحج[3] أهل ألف بيت فيهم ثلاثمائة أهل بيت من النخع[4]، فقال عمر: سيروا إلى [324/ب] أرض فارس، قالوا: لا، ولكنا نسير إلى الشام، فقال يزيد بن كعب النخعي: أنا أسير فيمن أطاعني، فخرج في ثلاثمائة أهل بيت من النخع، وقال هند الجملي[5]: أنا[6] أخرج فيمن أطاعني، فخرج في خمسمائة أهل بيت من مراد، فكان عمر يقول بعد ذلك: سيد أهل الكوفة سمي المرأة هند الجملي[7].

ثم قدم المدينة أهل[8] ألف بيت من همدان، فقالوا لعمر: خِر لنا. قال: أرض العراق. قالوا: بل الشام، قال: بل العراق، فصرفوا ركابهم إلى العراق.

14() بنو كندة، واسمه ثور بن عُفير بن عديّ بن الحارث بن مرة بن أُدد ابن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان. قال صاحب حماة: وسُمي كندة لأنه كند أباه، أي كفر نعمته، وهو ابن أخي جذام ولخم، ثم قال: وبلاد كندة باليمن قِبْلي حضرموت. منهم: امرؤ القيس بن عابس الكندي الصحابي رضي الله عنه. قلائد الجمان (1/71).

15() الأشعث بن قيس: بن معدى كرب الكندي، أبو محمد: أمير كندة في الجاهلية والإسلام. كانت إقامته في حضرموت، ووفد على النبي صلّى الله عليه وسلم بعد ظهور الإسلام، في جمع من قومه، فأسلم، وشهد اليرموك فأصيبت عينه. ولما ولي أبو بكر الخلافة امتنع الأشعث وبعض بطون كندة من تأدية الزكاة، فتنحى والي حضرموت بمن بقي على الطاعة من كندة، وجاءته النجدة فحاصر حضرموت، فاستسلم الأشعث وفتحت حضرموت عنوة، وأرسل الأشعث موثوقًا إلى أبي بكر في المدينة ليرى فيه رأيه، فأطلقه أبو بكر وزوّجه أخته أم فروة، فأقام في المدينة وشهد الوقائع وأبلى البلاء الحسن. توفي في الكوفة على أثر اتفاق الحسن ومعاوية. الإصابة في تمييز الصحابة (1/239)، الأعلام (1/322).

1() تقدمت ترجمته ص (162).

2() شرحبيل بن السّمط: بن الأسود، أو الأعور، الكنديّ، أبو يزيد. قال البخاريّ: له صحبة، وتبعه أبو أحمد الحاكم. وفد على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم، ثم شهد القادسيّة، ثم نزل حمص فقسمها منازل. وقال أبو داود: مات بصفين: وقال يزيد بن عبد ربه: مات سنة أربعين. الإصابة في تمييز الصحابة (3/266).

3() تقدم التعريف بها ص (96).

4() النخع: قبيلة من العرب نزلت الكوفة، ومنها انتشر ذكرهم، وهو جسر- بالفتح- بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد، سمى النخع لأنه ذهب عن قومه. الأنساب للسمعاني (13/62).

5() هند بن عمرو الجمليّ: بفتح الجيم، المرادي. أدرك الجاهلية، وولاه عمر على نصارى بني تغلب سنة سبع عشرة، وقتل يوم الجمل مع علي. الإصابة في تمييز الصحابة (6/451).

6() قوله: "أن" سقط من (ن).

7() انظر الاكتفاء (2/ 416).

8() قوله: "أهل" سقط من (ن).

وكانت (قد) [1] قدمت بجيلة[2] وفيهم جرير بن عبد الله، وسيدهم عرفجة البارقي[3]، وكانت بجيلة قد غضبت عليه، ففارقهم، وولى عليهم عمر[4] جريرًا، وقال: يا أمير المؤمنين إن قومي متفرقون في العرب، فأخرجهم وأنا أغزو بهم أرض فارس، فكتب عمر إلى القبائل التي فيها بجيلة: أي نسب [325/أ] تواصل عليه الناس قبل الإسلام فلا تحولوا بينهم وبين الرجوع إلى قومهم، فاستخرجهم جرير، وأمرهم بالموعد بين مكة والمدينة، ولما[5] تتاموا قال لجرير: اخرج حتى[6] تلحق[7] بالمثنى، فكره ذلك جرير[8] ومال إلى الشام، فقال له عمر: قد علمتم ما لقي إخوانكم بأرض فارس، فاخرجوا فإني أرجو أن يورثكم الله أرضهم وديارهم، ولك الربع من كل شيء بعد الخمس، وقيل: بل جعل له ولقومه ربع الخمس مما أفاء الله عليه في غزاتهم هذه، له ولمن اجتمع عليه ومن أخرج له من القبائل، استصلحهم عمر، رضي الله عنه، بذلك، إذ كان هواهم الشام، وأبى عليهم إلا العراق، وقال لهم: اتخذونا طريقًا، فقدموا المدينة وهم أربعة آلاف، وقيل: ألفان، ثم فصلوا منها إلى العراق ممدين للمثنى، فقال عمر: لو ضممت إلى هؤلاء من الجبين ابني نزار، يعنى تميمًا[9] وبكرًا[10] فوجه معهم قومًا منهم، ثم تتابعت الأمداد[11].

---

[1]() ما بين القوسين من (ن).

[2]() قبيلة بجيلة: وهو ابن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث أخي الأسد بن الغوث، وقيل أن بجيلة اسم أمهم وهي من سعد العشيرة وأختها باهلة ولدتا قبيلتين عظيمتين، نزلت بالكوفة. الأنساب للسمعاني (2/91).

[3]() تقدمت ترجمته ص (241).

[4]() في (ن): "عمر عليهم".

[5]() في (ن): "فلما".

[6]() قوله: "حتى" سقط من (ن).

[7]() في (ن): "فالحق".

[8]() قوله: "جرير" سقط من (ن).

[9]() تقدم التعريف بها ص (181).

[10]() تقدم التعريف بها ص (184).

[11]() الاكتفاء (2/ 418).

وكـان أول من نـزل العـذيب بالعيـال[1] من قبائـل اليمن والحجـاز الأزد[2] ثم حضـرموت[3] وكندة[4] ثم النخع[5] ومراد[6] وطوائف من العرب عليها أعيانها وأكابرها وأهل البوادي.

وكان عمر قد كتب إلى أهل الردة يأذن لهم في الجهاد ويستنفرهم إليه، فلم يوافه أحد منهم إلا رمى به المثنى.

وذكر المدائني أن يزدجرد وجه مهران بعد وقعة الجسر وأمره أن يبث المسالح إلى أداني أرض العرب، ويقتل كل عربي قدر عليه.

عن سيف أن الذي فعل ذلك رستم والفيرزاد بعدما طالعا بوران ابنة كسرى، لما علما بتوافي أمداد العرب إلى المثنى، فخرج مهران في الخيول وجاء يريد الحيرة، وبلغ المثنى الخبر وهو معسكر بمرج السباخ[7] بين القادسية وخفان، فاستبطن[8] فرات[9] بادقلي، وأرسل إلى جرير ومن معه: أنه جاءنا أمر لن نستطيع معه المقام حتى تقدموا علينا، فعجلوا اللحاق بنا، وموعدكم البويب.

وكتب إلى عصمة[10] وإلى[11] كل قائد بمثل ذلك، وقال: خذوا على الجَوْف[12]، فسلكوا القادسية وسلك وسط السواد، فطلع على النهرين ثم على الخورنق، وطلع عصمة ومن سلك معه طريقه على النجف، وطلع جرير ومن سلك معه على الجوف، فانتهوا إلى المثنى وهو على البويب،

---

[1]() في (ن): "بالقتال".

[2]() تقدمت ترجمته ص (96).

[3]() تقدم التعريف بها ص (96).

[4]() تقدم التعريف بها ص (240). [ب/325]

[5]() تقدم التعريف بها ص (240).

[6]() بنو مراد: بطن من كهلان من القحطانية، وهم بنو مراد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وكهلان تقدم نسبه عند ذكره في حرف الكاف، كان له من الولد ناجية وزاهر. قال الجوهري: ويقال إن اسمه كان سحاير فتمرد فسمي مرداً، وجعل في العبر مراداً بطنا من مدحج، فقال: مراد بن مدحج. نهاية الأرب (1/417).

[7]() لم أقف على موضعها.

[8]() في (ن): "فاستبطأ".

[9]() في (ن): "قراب".

[10]() تقدمت ترجمته ص (216).

[11]() قوله: "إلى" سقط من (ن).

[12]() الجَوْف: اسم واد في أرض عاد فيه ماء وشجر، الجوف: منطقة زراعية شمال تيماء على قرابة 450 كيلا، تصلها طريق معبدة بكل من تيماء فالمدينة، وطريف فعمان، وقد اتبعت اليوم الجوف وسكاكة إمارة حائل. معجم البلدان (2/187)، معجم المعالم الجغرافية (1/127).

ومهران من وراء الفرات بإزائه، فاجتمع عسكر المسلمين، فقال المثنى لرجل من أهل السواد: ما يقال لهذه الرَّنقة[1] التي فيها مهران؟ فقال: أكدى مهران وهلك، ونزل منزلاً هو البسوس[2]، فكاتب مهران: إما أن تعبروا إلينا، وإما أن نعبر إليكم، فقال المثنى: (بل) [3] اعبروا فعبر مهران، ونزل بشاطئ الفرات معهم في الملطاط[4]، فقال المثنى لذلك السوادي: ما يقال لهذه الرنقة التي نزلها مهران؟ فقال: شوميا[5]، وذلك في رمضان، فنادى المثنى في الناس: انهدوا لعدوكم، فتناهدوا، ومهران في ثلاثة عشر ألفًا معه ثلاثة فيلة، فقدموا فيلتهم واستعدوا للحرب، فأقبلوا إلى المسلمين ثلاثة صفوف، مع كل صف فيل، فجاؤوهم ولهم زجل[6]. فقال المثنى للمسلمين: إن الذي تسمعون فشل، فالزموا الصمت وائتمروا همسًا، والمسلمون أربعة آلاف، وثمانمائة من اليمن، وألف ومائتان من سائر الناس، ويقال: كانوا ستة آلاف ومائتان[7].

وتنازع جرير والمثنى الإمارة يومئذ، فقال له المثنى: إنما بعثك أمير المؤمنين مددًا لي[8]، فقال جرير: بل استعملني، وصار الأمر إلى ما قال المثنى، وصار هو الأمير، وقيل: كل أمير على من معه، وقال المثنى لجرير: خلني وتعبئة الناس، ففعل، وعبأ المثنى الجيش، وقال للناس: إن العجم قد أذهب الله مصدوقتهم، ووهن كيدهم، فلا يهولنكم سوادهم، إن للعجم قسيًّا[9] فجًا[10]، وسهامًا طوالاً هي أغنى سلاحهم عندهم فلو قد لقوكم رموكم بها، وإذا أعجلوا عنها أو فقدوها، فهم كالبهائم أينما

---

[1]() الرَّنقة: الماء الْقَلِيل الكدر يبْقى فِي الْحَوْض وَيُقَال صَار المَاء رنقة غلب عَلَيْهِ الطين. المعجم الوسيط (1/376).

[2]() البَسُوس: موضع قرب الكوفة نزله مهران أيام الفتوح، فسأل المثنى بن حارثة رجلا من أهل السواد ما يقال للبقعة التي فيها مهران وعسكره؟ فقال: بسوسا، فقال المثنى: أكدى مهران وهلك! نزل منزلا هو البسوس. معجم البلدان (1/423).

[3]() ما بين القوسين من (ن).

[4]() المِلْطاط: وَهِيَ المِلْطاء والمِلْطاط طَرِيقٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ. لسان العرب (7/390).

[5]() شُومِيَا: موضع في بقعة الكوفة نزله جيش مهران لمحاربة المثنّى والمسلمين، قالوا: وشوميا هي موضع دار الرّزق بالكوفة. معجم البلدان (3/374).

[6]() الزَّجَلُ: رفع الصوتِ الطَّري، يقال: حاد زجل، ومغن زَجِلٌ، وقد زَجِلَ يَزجَلُ زَجَلاً. العين (6/67).

[7]() في (ن): "ومائتين".

[8]() في (ن): "إلي".

[9]() قِسِيّاً: جمع قوس، وأصلها قووس، مثل: أَشياء اسْمٌ لِلْجَمْعِ كَانَ أصلُه فَعْلاءَ شَيْئاءَ، فاسْتُثْقل الْهَمْزَتَانِ، فَقَلَبُوا الْهَمْزَةَ الْأَوْلَى إِلَى أَول الْكَلِمَةِ، فجُعِلَت لَفْعاءَ، كَمَا قَلَبُوا أَنْوقاً فَقَالُوا أَيْنُقاً. وَكَمَا قَلَبُوا قُوُوساً قِسِيّاً. لسان العرب (1/104).

[10]() يقال: قوس فجَاء إِذا ارْتَفَعت سيتها فَبَان وترها عَن عجسها. والعجس: المقبض. جمهرة اللغة (1/91).

وجهتموها توجهت، فترسوا والزموا مصافكم واصبروا لشدة أو شدتين، ثم أنتم الظاهرون إن شاء الله تعالى.

وركب يومئذ فرسًا ذنوبًا أدهم يدعى الشموس للين عريكته، وكان لا يركبه إلا لقتال، ومر على الرايات يحرض القبائل، وقال: الزموا الصمت فإني مكبر ثلاث تكبيرات، فإذا كبرت الثالثة فاحملوا، فنظر إلى سعد بن عبيد الأنصاري[1] قد نصل[2] من الصف، فقال: من أنت؟ قال: سعد بن عبيد، فررت يوم الجسر، فأردت أن أجعل توبتي من فرتي أن أشري نفسي لله. فقال له: إن خيرًا مما تريد أن تقف مع المسلمين فتناضل عن دينك. [326/أ]

وقال جرير: يا بجيلة[3] ، إن لكم في هذه البلاد إن فتحها الله لكم حظًا ليس لغيركم، فاصبروا التماس إحدى الحسنيين: الشهادة فثوابها الجنة أو النصر ففيه الغنى من العيلة، ولا تقاتلوا رياءً ولا سمعةً، بحسب امرئ من خساسته[4] حظ[5] أن يريد بجهاد عدوه حمد أحد من الخلق.

ومر المثنى على الرايات لكلهم[6] يقول: إني لأرجو أن لا تؤتى العرب اليوم من قبلكم[7]، والله، ما يسرني اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرني لعامتكم، فيجيبونه بمثل ذلك، وأنصفهم في القول والفعل، وخالط الناس في المكروه والمحبوب، فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً، ووقف على أهل الميمنة فنظر إلى رجل من العنبر[8] على فرس عتيق رائع، فقال: يا أخا بني العنبر، إنك لمن قوم صدق في اللقاء، أما والله يا بني تميم[9] إنكم لميامين في الحرب، صبر عند البأس، وإني لأرجو أن يعز الله بكم دينه.

---

[1]() تقدمت ترجمته ص (223).

[2]() نَصَلَ فلانٌ من موضِعِ كذا اذا خَرَجَ عليكَ. العين (7/124).

[3]() تقدم التعريف بها ص (241).

[4]() في (ن): "حساسته".

[5]() في (ن): "حظه".

[6]() في (ن): "يكلمهم".

[7]() في (ن): "من قبلكم اليوم".

[8]() بنو العنبر: ويقال بلعنبر- بفتح الباء وسكون اللام، حي من تميم من العدنانية وهم بنو العنبر بن عمرو بن تميم، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: ومن بني العنبر هؤلاء حرملة بن عبد الله بن أياس الصحابي. نهاية الأرب (1/68).

[9]() تقدم التعريف بها ص (181).

وقال للأزد: اللهم صبحهم برضوانك، وادفع عنهم عين الحاسد، أنتم والله الأنجاد الأمجاد الحسان الوجوه، وإني لأرجو أن يأتي العرب اليوم منكم ما تقر به أعينهم، ونظر إلى فوارس من قيس[1] في القلب فقال: نعم فتيان الصباح أنتم، اللهم جللهم عافيتك وافرغ عليهم الصبر، يومًا كبعض أيامكم، ونظر إلى ناس من طيء[2] في القلب، فقال: جزاكم الله خيرًا، فنعم الحي أنتم في اللقاء وعند العطاء، فإنه ليحضهم إذ شدت كتيبة من العجم على الميسرة وفيها بكر[3] وكندة[4] فصبروا لهم، ثم شدت عليهم الثانية فانكشفت بكر وكندة، فقال المثنى: إن الخيل تنكشف ثم تكر، يا معشر طيء الزموا مصافكم وأغنوا ما يليكم، واعترض الكتيبة التي كشفتهم بخيل كانت معه فمنعهم من اتباعهم [326/ب] وقاتلهم، فثارت عجاجة[5] بينهم ورجع أهل الميسرة، وأقبلت الميمنة نحو المثنى وقد انكشف العدو عنه، وسيفه بيده وقد انجرح جراحات وهو يقول: اللهم عليك تمام النصر، هذا منك، فلك[6] الحمد، فقال مخنف بن سليم الغامدي[7] : الحمد لله الذي عافاك، فقد كنت أشفقت[8] عليك. فقال: كم من كربة قد فرجها الله، هل منعم عليه يكافئ ربه بنعمة من نعمه!!

وكانت هزيمة المشركين، فاتبعهم المسلمون حتى انتهوا إلى نهر بني سليم[9]، ثم كروا على المسلمين وركدت الحرب بينهم مليًا، فلا يسمع إلا هرير الرجال، وقد كان أنس بن هلال

---

[1] تقدم التعريف بها ص (73).

[2] بنو طيء بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان. كان له من الولد: فطرة، والغوث؛ وأمهما: عدية بنت الأمر بن مهرة ابن قضاعة. والنسبة إليهم طائيّ. ومنهم: زيد الخليل بن مُهلهل الصحابي. قلائد الجمان (1/72).

[3] تقدم التعريف بها ص (184).

[4] تقدم التعريف بها ص (240).

[5] مِمَّا يَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ وَالتَّشْبِيهِ: فُلَانٌ يَلُفُّ عَجَاجَتَهُ عَلَى فُلَانٍ، إِذَا أَغَارَ عَلَيْهِ وَكَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَجَاجَةِ الْحَرْبِ وَغَيْرِهَا. مقاييس اللغة (4/ 29).

[6] في (ن): "ولك".

[7] تقدمت ترجمته ص (239). [327/أ]

[8] في (ن): "أشفق".

[9] بنو سُليم: قبيلة عظيمة من قيس عيلان والنسبة إليهم سلمى، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس. قال الحمداني: وهم أكثر قبائل قيس، وكان لسليم من الولد بهثة ومنه جميع أولاده. قال العبر: وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر، قال: وليس لهم الآن عدد ولا بقية في بلادهم، ثم قال: وبأفريقية منهم حي عظيم، وقال الحمداني، مساكنهم ببرقة مما يلي المغرب ومما يلي مصر. نهاية الأرب (1/294).

النمري[1] قدم ممدًا للمثنى في أناس من النمر نصارى، وابن مردى الفهري التغلبي[2] في ناس من قومه كذلك، وقالوا حين رأوا نزول العجم بالعرب: نقاتل مع قومنا، فلما طال القتال يومئذ واشتد عمد المثنى إلى أنس بن هلال، فقال: يا أنس، إنك امرؤ عربي، وإن لم تكن على ديننا، فإذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي، وقال لابن مردى الفهري مثل ذلك، فأجاباه، فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل في[3] ميمنته، ثم خالطوهم، واجتمع القلبان، وارتفع الغبار والمجنبات تقتتل، لا يستطيعون أن يفزعوا لنصر أميرهم، لا المسلمون ولا المشركون، وقد كان المثنى قال لهم: إذا رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه، فإن الجيش ينكشف ثم ينصرف، فالزموا مصافكم وأغنوا عنا من يليكم، وأوجع قلب المسلمين في قلب المشركين، ووقف المثنى حتى أسفر[4] الغبار وقد فنى قلب المشركين، والمجنبات قد هز[5] بعضها بعضًا، فلما رآه المسلمون وقد أزال القلب وأفنى أهله قويت مجنبات المسلمين على المشركين وجعلوا يردون الأعاجم على أدبارهم، وجعل المسلمون والمثنى في القلب يدعون لهم بالنصر، ويرسل إليهم من يذمرهم[6] ويقول لهم: إن المثنى يقول لكم عادتكم في أمثالهم[7]، انصروا الله ينصركم، حتى هزم[8] القوم.

وكانت راية الأزد[9] مع عبد الله بن سليم، فجعل يتقدم[10] بها، فقال له رجل: لو تأخرت قليلاً، فقال:

أقسمت بالرحمن أن لا أبرحا   أو يصنع الله لنا فيفتحا

---

[1] () أنس بن هلال النميري: كان ممن أمدّ به عمر بن الخطاب المثنى بن حارثة الشّيبانيّ في فتوح العراق، واستشهد مع أخيه مسعود بن حارثة. ذكره الطّبريّ. الإصابة في تمييز الصحابة (1/356).

[2] () لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[3] () في (ن): "من".

[4] () أسفر: أي انكشف، مأخوذ من: سَفَرَتِ المرأةُ: كشفَتْ عن وجهها، فهي سافِرٌ. الصحاح (2/686).

[5] () في (ن): "ورهز".

[6] () يذمرهم: ذَمَرَ: الذَّمْرُ: الحَضُّ على الشيء واللوم معًا. شمس العلوم (4/2295).

[7] () في (ن): "أمثالكم".

[8] () في (ن): "هزموا".

[9] () تتقدمت ترجمته ص (96).

[10] () في (ن): "تقدم".

وقاتل حتى قتل، وتقدم أبو أمية عبد الله بن كعب الأزدي[1] وهو يقول: اللهم إليك أسعى لترضى، وإياك أرجو فاغفر ذنبي، ثم تقدم فقاتل حتى قتل، فحمل أبو رملة بن عبد الله بن سليم[2]، وكانت عنده الرباب ابنة عبد الله، فقتل قاتل عبد الله بن كعب واحتز رأسه، فأتى به ابنه، وهو غلام مراهق، فقال: دونك رأس قاتل أبيك، فعض الفتى بأنفه، ومر به رجل من بكر بن وائل[3] يقال له عجل، فقال: يا فتى ما أشجعك على الأموات فحمى الفتى واعترض العدو، فتبعه عمه جندب وهو يقول: يا عجل، قتلت ابن أخي، فلحقه وقد قتل رجلاً، فرده، وقتل حصين بن القعقاع بن معبد[4] بن زرارة، فأخذ الراية مولىً لهم أو مولىً للأزد يقال له خصفة، فقاتل حتى قتل، وأخذت جرير الرماح فنادى: واقوماه، أنا جرير، فقاتلت عنه جماعة من قيس[5] ليس معهم غيرهم حتى خلص، وشدت جماعة على مسعود بن حارثة[6] وهو معلم بعصابة خضراء وهو يفرى فريًا[7]، فطعن رجلاً فقتله، وطعن آخر فانكسر رمحه فاختلفا سيفيهما[8] ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه، فوقف عليه أخوه المثنى فقال: هكذا مصارع خياركم، وقيل: إنه ارتث[9] يومئذ في أناس من الجرحى فماتوا [327/ب]
بعد ذلك، فصلى عليهم المثنى، وقال: والله إنه ليهون عليّ وجدي أن شهدوا البويب، أقدموا وصبروا، و لم يجزعوا و لم يتكلوا، وإن كان في الشهادة لكفارة لبحور الذنوب، ولما ارتث مسعود يومئذ فتضعضع من معه رأى ذلك وهو دنف فقال: يا معشر كعب بن وائل، ارفعوا رايتكم رفعكم[10] الله،

[1] عَبْد اللَّه بْن كعب الحميري الْأَزْدِيّ. من أهل الشام، توفي سنة ثمان وخمسين. أسد الغابة (3/268).

[2] لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[3] تقدم التعريف بها ص (181).

[4] لم أقف على ترجمته فيما وقفت عليه.

[5] تقدم التعريف بها ص (73).

[6] تقدمت ترجمته ص (185).

[7] الفَرْيُ: الشَّقُّ. وفَرَيْت الشّيء بالسَّيف وبالشَّفْرة: قطعته وشَقَقْته. ويقال: للرَّجُل الشُّجاع: ما يَفْرِي أَحَدٌ فَرْيَهُ. العين (8/280).

[8] في (ن): "بسيفيهما".

[9] إذا ضُرِبَ الرجلُ في الحرب فأُثخِنَ فحُمِلَ من موضِعه حياً، ثمّ يموت من بعد ذلك قيل: ارْتُثَّ فلان. العين (8/212).

[10] في (ن): "وفقكم".

لا يهولنكم مصرعي، وقتل جرير وغالب بن عبد الله الليثي وحنظلة بن ربيعة الأسدى[1] [2] وعروة بن زيد الخيل[3] كل واحد منهم عشرة.

وقال ربعي بن عامر[4]، وشهدها يومئذ مع أبيه: أنه أحصى مائة رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة في المعركة. وقال: إن غالبًا وعروة وعرفجة في الأزد كانوا من أصحاب التسعة.

وقال لعروة رجل من قومه: أهلكت قومك يا عروة، فقال:

يـــا قـــوم لا تعنفـــوني[5] قـــومي **لا تكـــثروا عـــدلي ولا مـــا لـــومى**

لا تعـــدوني النصـــر بعـــد اليـــوم . . . .

وأبصر جرير بن عبد الله، مهران يقاتل، فحمل عليه جرير والمنذر بن حسان فقتلاه، وطعنه المنذر فأرداه عن دابته وقد وقذه[6] فنزل إليه جرير فاحتز رأسه وتنازعا سلبه ثم أخذ جرير سلاحه، والمنذر حليته وثيابه وبرذونه، وقيل في قتله غير ذلك.

وهزم المشركون فأتوا الفرات، واتبعهم[7] المسلمون، فانتهوا إلى الجسر، وقد عبرت طائفة من المشركين الجسر، فحالوا بين الباقين وبينه، فأخذوا يمينًا وشمالاً، فقتلهم المسلمون حتى أمسوا، واقتحم [228/أ] طائفة الفرات فغرق بعضهم ونجا بعضهم، ورجع المسلمون عنهم حين[8] أمسوا، فعبر من بقي منهم الجسر، ثم قطعوه فأصبح[9] المسلمون فعقدوه واتبعوهم حتى بلغوا بيوت ساباط، ثم انصرفوا وصلبوا مهران على الجسر.

وأكثر المسلمون فيهم من القتل، فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبقى رمة منها.

---

[1] في (ن): "الأسيدي".

[2] ذكر ابن إسحاق أنه كان في وفد بني تميم، وأن النبي صلّى اللَّه عليه وسلّم قال له: «ادع قومك إلى الإسلام». الإصابة (2/117).

[3] تقدمت ترجمته ص (229).

[4] ربعي بن عامر: أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح دمشق ثم خرج إلى القادسية مع هاشم بن عتبة وشهد فتوح خراسان وقال في ذلك شعرا وقد قدم على أبي عبيدة كتاب عمر بن الخطاب بأن يصرف جند العراق إلى العراق وعليهم هاشم بن عتبة وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى مجنبته عمير بن مالك وربعي بن عامر. تاريخ دمشق (18/49).

[5] في (ن): "لا تعنفوا في".

[6] الوَقْذ: مصدر وَقَذَه وَقْذاً، إذا آلمه ضربا. جمهرة اللغة (2/700).

[7] في (ن): "وتبعهم".

[8] في (ن): "حتى".

[9] في (ن): "فافتتح".

قال أبو روق[1]: والله إن كنا لنأتي البويب، يعني بعد ذلك بزمان، فنرى فيما بين السكون[2] وبني سليم[3] عظامًا بيضًا تلولاً تلوح من هامهم وأوصالهم.

وعن بعض من شهدها أنهم كانوا يحرزونها مائة ألف. واقتسم المسلمون ما أفاء الله عليهم، ونفلت بجيلة[4] وجرير ما جعل لهم عمر بن الخطاب وحمل الخمس أو باقي الخمس، وجلسوا يتحدثون بحديثهم وما كان منهم.

فقال عرفجة: حُزْنا كتيبةً منهم إلى الفرات، ورجوت أن يكون الله قد أذن في غرقهم وأن يسلينا بهم عن مصيبة الجسر، فلما حصلوا في حد الإحراج كروا علينا فقتلناهم قتالاً شديدًا حتى قال بعض قومي: لو أخذت رايتك، فقلت عليّ إقدامها، وحملت بها على حاميتهم فقتلته فولوا نحو الفرات فما بلغوه ومنهم أحد فيه الروح.

وقال المثنى: من يتبع آثار المنهزمة[5] حتى يبلغ السيب[6]؟ فقام جرير في قومه فقال: يا معشر بجيلة ليس لأحد ممن شهد هذا اليوم في هذا الخمس غدًا من النفل مثل الذي لكم منه، نفلاً من أمير المؤمنين، فلا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو ولا أشد عليه منكم. ومال المثنى على الذين أرادوا أن يستنثلوا[7] بالأمس من منهزمة الجسر فقال: انتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السيب وأبلغوا من عدوكم ما تغيظونهم به فهو خير لكم وأعظم أجرًا، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم.

وأمر المثنى أن يعقد لهم الجسر ثم أخرجهم في أثر القوم، واتبعتهم خيول المسلمين ولم يبق في العسكر جسري إلا خرج في الخيل، حتى بلغوا السيب، فأصابوا من البقر والسبي وسائر الغنائم شيئًا [328/ب]

---

[1] أبو روق: واسمه عطية بن الحارث الهمداني من بطن منهم يقال لهم بنو وثن من أنفسهم. وهو صاحب التفسير. وروى عن الضحاك بن مزاحم وغيره. الطبقات الكبرى (6/348).

[2] بنو السكون: قال الجوهري: بفتح السين، بطن من كندة غلب عليهم اسم أبيهم فقيل السكون، وهم بنو السكون بن أشرس بن كندة. نهاية الأرب (1/59).

[3] بنو سليم: بضم السين، قبيلة عظيمة من قيس عيلان والنسبة إليهم سلمى، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس. نهاية الأرب (1/294).

[4] تقدم التعريف بها ص (241).

[5] أي: الكتيبة المنهزمة. المعجم الوسيط (2/680).

[6] السِّيبُ: مَجرَى الماء. تهذيب اللغة (13/67).

[7] يستنثلوا: اسْتَنْثَلَ من الصف، إذا تقدم أصحابه. واستَنْثَلَ للأمر: استعدَّ له. الصحاح (5/1825).

كثيرًا فقسمه المثنى عليهم، وفضل أهل البلاء من جميع القبائل، وألقى الله الرعب في قلوب أهل فارس، وكتب القواد الذين قادوا الناس في الطلب إلى المثنى، وكتب إليه عاصم وعصمة[1] وجرير: إن الله قد كفى رستم ووجه لنا ما رأيت، وليس دون القوم شيء، فأذن لنا في الإقدام، فأذن لهم فأغاروا حتى بلغوا ساباط، وتحصن أهلها منهم، واستباحوا القريات دونها وراماهم أهل الحصن عن حصنهم بساباط ثم انكفئوا راجعين إلى المثنى.

وكانوا أصابوا في أيام البويب على الظهر نزل مهران غنمًا ودقيقًا وبقرًا، فبعثوا[2] بها إلى عيالات من قدم من المدينة وقد خلفوهن بالقوادس، وإلى عيالات أهل الأيام قبلهم وهن بالحيرة، وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات اللواتي[3] بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة، فلما رفعوا للنسوة فرأين الخيل تصايحن وحسبنها غارةً فقمن دون الصبيان بالحجارة والعمد، فقال عمرو: هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش، وبشرهن بالفتح.

واستمكن المسلمون من الغارة على السواد فيما بينهم وبين دجلة، فمخروها[4] لا يخافون كيدًا ولا يلقون فيها مانعًا، وانتفضت مسالح العجم فرجعت إليهم واعتصموا بالساباط[5]، وسرهم أن يتركوا ما وراء دجلة، ونزل جرير والمثنى الحيرة وبثا المسالح فيما بين الأنبار وعين التمر إلى الطف[6]، فمن أقام على صلحه قبلوا ذلك منه، ومن نقض أغاروا عليه، فكان أهل الحيرةوبانقيا وغيرهم على صلحهم.

وكانت وقعة البويب في رمضان سنة ثلاث عشرة.

[329/أ]

---

[1]() في (ن): "عقبة".

[2]() في (ن): "فتفيئوا".

[3]() في (ن): "التي".

[4]() فمخروها: مخر: مَخَرَتْ السفينة تَمْخَرُ وتَمْخُرُ مَخْرًا ومُخورًا، إذا جرتْ تشقُّ الماء مع صوت. الصحاح (2/812).

[5]() سَاباطُ: أو سَاباطُ كِسْرَى: بالمدائن موضع معروف وقال أبو سعد: وساباط بليدة معروفة بما وراء النهر. معجم البلدان (3/ 166).

[6]() الطَّفُّ: بالفتح، والفاء مشددة، وهو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، قال الأصمعي: وإنما سمي طفّا لأنه دان من الريف. معجم البلدان (4/35)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/175).

وشخص المثنى فنزل أليس، ويقال شراف[1]، وهو وجع من جراحات به، وارتحل معه عامة النزارية[2]، فلما رأى ذلك جرير تحول فنزل العذيب مع العيال، ومعه أخلاط الناس.

حديث[3] غارة المثنى على سوقي الخنافس وبغداد[4]:

من طريق سيف: وتسمى غزاة الأنبار الآخرة، وغزاة أليس الآخرة، لما نزل المثنى أليس وقد مخر[5] السواد وخلف بالحيرة بشير بن الخصاصية[6]، وأرسل جريرًا إلى ميسان، وهلال بن علقمة[7] إلى دست ميسان[8] ونشر قواد المسلمين في النواحي، ألزّ به رجلان: أحدهما أنباري والآخر حيري، يدله كل واحد منهما على سوق، فدله الأنباري على الخنافس، والحيري على بغداد. فقال المثنى: أيتهما قبل صاحبتهما؟ فقال: بينهما أيام، فقال: أيهما أعجل؟ قالوا: سوق الخنافس يتوافى إليها الناس، ويجتمع إليها ربيعة[9] وقضاعة[10] يخفرونهم.

فاستعد لها المثنى، حتى إذا ظن أنه يوافيهم يوم سوقها ركب نحوهم، فأغار على الخنافس يوم سوقها، وبها خيلان من ربيعة وقضاعة وهم الخفراء[11]، فانتسف[12] السوق وما فيها، وسلب

---

[1] قال أبو عبيد السكوني: شَرَافٌ: بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب، ومن شراف إلى واقصة ميلان، وهناك بركة تعرف باللّوزة، وفي شراف ثلاث آبار كبار رشاؤها أقلّ من عشرين قامة وماؤها عذب كثير وبها قلب كثيرة طيبة الماء يدخلها ماء المطر. معجم البلدان (3/ 331).

[2] في (ن): "غالب المرازبة".

[3] قوله: "حديث" سقط من (ن).

[4] انظر: الاكتفاء (2/42)، الطبري (3/ 472- 476)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (1/ 25- 27)، الكامل في التاريخ لابن الأثير (2/ 306، 307).

[5] في (ن): "فجر".

[6] تقدمت ترجمته ص (221).

[7] هِلَال بن عَلْقَمَة الصَّحَابِيّ قُتِل يَوْم القادسيّة شَهِيدا وَهُوَ أوّل من عبر دجلة يومئذٍ وَقَالَ الشّعبِيّ أوّل من أقحم فرسَه سعدٌ وَيُقَال أوّل من عبرها رجلٌ من بني عبد الْقَيْس. الوافي بالوفيات (27/217).

[8] دَسْت مَيْسَان: بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، مضاف إلى ميسان، بفتح الميم، بعده ياء وسين مهملة، على وزن فعلان، وهو طسّوج من طساسيج دجلة. معجم ما استعجم (2/551).

[9] تقدم التعريف بها ص (216).

[10] تقدم التعريف بها ص (100).

[11] الخفير: الحارس، والجمع: خفراء. المعجم الوسيط (1/246).

[12] النَّسْفُ: انتساف الرِّيحِ الشَّيءَ كأنّه يَسلُبُهُ. ورُبَّما انتسف الطّائر الشّيء عن وجه الأرض بمِخْلَبِهِ. العين (7/269).

الخفراء، ثم رجع عوده على بدئه حتى تطرق دهاقين الأنبار طروقًا في أول يومه فتحصنوا منه، فلما عرفوه نزلوا إليه بالأعلاف والزاد، وأتوه بالأدلاء على بغداد، وكان وجهه إلى سوق بغداد فصبحهم.

وقيل: إن أهل الحيرة قالوا: ألا ندلك على قرية يأتيها تجار مدائن كسرى وتجار السواد ويجتمع بها في كل سنة من الناس مثل خراج العراق، وهذه أيام سوقهم التي يجتمعون فيها، فإن أنت قدرت على أن تعبر إليهم وهم لا يشعرون أصبت بها مالاً يكون غناءً للمسلمين وقوةً على عدوهم، وبينها وبين مدائن كسرى عامة يوم، فقال لهم: فكيف لي بها؟ قالوا: إن أردتها فخذ طريق البر، حتى تنتهي [329/ب] إلى الأنبار، ثم تأخذ رؤوس الدهاقين، فيبعثون معك الأدلاء، فتسير سواد ليلة من الأنبار حتى تأتيهم ضحًى.

فخرج من النخيلة[1] معه أدلاء الحيرة، حتى دخل الأنبار، فنزل بصاحبها فتحصن منه، فأرسل إليه: ما يمنعك[2] من النزول؟ فأرسل إليه: إني أخاف، فأرسل إليه: انزل فإنك آمن على دمك وقريتك، وترجع سالماً إلى حصنك، فتوثق عليه، فأطعمه المثنى، وخوفه واستكتمه، وقال له: إني أريد أن أغير فابعث معي الأدلاء إلى بغداد، حتى أعبر منها إلى المدائن، قال: أنا أجيء معك، قال المثنى: لا أريد أن تجيء معي، ولكن ابعث معي من يعرف الطريق، ففعل وأمر لهم بزاد وطعام وعلف، وبعث معهم دليلاً، فأقبل حتى إذا بلغ المنصف قال له المثنى: كم بيننا وبين هذه القرية؟ قال: أربعة فراسخ أو خمسة، وقد بقي عليك ليل، فقال لأصحابه: من ينتدب للحرس، فانتدب له قوم، فقال لهم: أذكر حرسكم، ثم نزل وقال للناس: انزلوا فانضموا واطعموا وتوضأوا وتهيأوا وابعثوا الطلائع فلا يلقون أحدًا إلا حبسوه، ثم سار بهم فصبحهم في أسواقهم، فوضع فيهم السيف، فقتل وأخذ الأموال، وقال لأصحابه: لا تأخذوا إلا الذهب والفضة، ومن المتاع ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته، وهرب الناس، وتركوا أمتعتهم وأموالهم، وملأ المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء والحرّ من كل شيء.

[1] () النُّخَيْلَةُ: تصغير نخلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام وهو الموضع الذي خرج إليه عليّ، رضي الله عنه، لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها. معجم البلدان (5/278).

[2] () في (ن): "بالخيول".

ثم كر راجعًا، ثم نزل بنهر السيلحين من الأنبار، فقال للمسلمين: احمدوا الله الذي سلمكم وغنمكم، وانزلوا فاعلفوا خيلكم من هذا القصب[1]، وعلقوا عليها، وأصيبوا من أزوادكم، فسمع القوم يهمس بعضهم إلى بعض أن القوم سراع الآن في طلبنا، فقال: تناجوا بالبر والتقوى ولا تتناجوا بالإثم والعدوان، قبح الله من يتناجون به، انظروا في الأمور وقدروها ثم تكلموا، تحسبونهم الآن في طلبكم، فوالله لو كان الصريخ قد بلغهم الآن إنه لكبير، ولو كان الصريخ عندهم لبلغهم من رعب غارتنا عليهم إلى جنب مدائنهم ما يشغلهم عن طلبنا حتى نلحق معسكرنا وجماعتنا، إن للغارات روعات تنتشر عليها يومًا إلى الليل، ولو كان بهم من القوة ما يحملهم على طلبنا ثم جهدوا جهدهم ما أدركونا، نحن على الجياد العراب وهم على المقارف[2] البطاء[3]، ولو أنهم طلبونا فأدركونا لم نقاتلهم إلا التماس الثواب ورجاء النصر، فثقوا بالله وأحسنوا به الظن، فقد نصركم الله عليهم وهم أكثر منكم وأعز، وسأخبركم عني وعن انكماشي والذي أريد[4] من ذلك، إن خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر أوصانا أن نقل العرجة[5] ونسرع الكرة[6] في الغارات، ونسرع في غير ذلك الأوبة[7]، فأقبلوا ومعهم دليلهم حتى انتهوا إلى الأنبار، فاستقبلهم صاحبها بالكرامة، فوعده المثنى بالإحسان إليه لو استقام أمرهم، ورجع المثنى إلى عسكره. [330/أ]

---

[1] () لعل المقصود هو نبات القصب المعروف.

[2] () مقارف: يقال: قد اقترف فلان مرض آل فلان، وقد أقرفوه إقرافاً وهو أن يأتيهم وهم مرضى فيصيبه ذلك، وهو مقرف، ومنه: فرس مقرف، وخيل مقارف ومقاريف. أساس البلاغة (2/ 72)

[3] () البُطْءُ: نَقِيضُ الإسراعِ، والجمْع: بِطاءٌ. المحكم والمحيط الأعظم (9/ 208).

[4] () في (ن): "أرى".

[5] () انعرج القوم عن الطريق، أي: مالوا عنه. العين (1/224).

[6] () كرّ يكر كرا إذا رَجَعَ بعد فرار وَبعد ذهَاب. جمهرة اللغة (1/126).

[7] () آب الغائب يؤوب أوباً، أي: رجع. والأوبة: الرجعة. انظر: العين (8/416)

[حديث السرايا من الأنبار قالوا:][1] [2]:

ولما رجع من بغداد، سرح المضارب العجلي[3] وزيدًا إلى الكباث، وقد أرفض[4] عنه أهله وأخلوه[5]، وكانوا من بني تغلب، وكان عليهم فارس العناب التغلبي يحميهم، فركب المسلمون آثارهم يتبعونهم، فأدركوا أخرياتهم، فحماهم فارس العناب ساعةً ثم هرب، وقتلوا في أخرياتهم فأكثروا[6]، ورجع المثنى فسير فرات بن حيان[7]، وكان خلفه في عسكره، ومعه عتيبة بن النهاس[8]، [330/ب] وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب والنمر بصفين[9]، ثم اتبعهما وخلف على الناس عمرو بن أبي سلمى الهجيمي[10].

فلما دنوا من صفين، فر أهلها فعبروا الفرات إلى الجزيرة وتحصنوا، وفارق المثنى فراتًا وعتيبة[11]، فأرمل[12] [13] المثنى وأصحابه من الزاد، حتى نحروا رحلهم إلا ما لا بد لهم منه فأكلوها حتى أخفافها وعظامها وجلودها، ثم أدركوا عيرًا من أهل دياف[14] وحوران، فقتلوا العلوج وأصابوا ثلاثة نفر من بني تغلب خفراء، فأخذوا العير، وكان ظهرا فاضلاً، وقال لهم: دلوني، فقال أحدهم: أمنوني على أهلي ومالي، وأدلكم على حي من بني تغلب غدوت من عندهم اليوم، فآمنه المثنى وسار معه يومه،

---

[1]() ما بين المعكوفين سقط في (ن).

[2]() انظر: الاكتفاء (2/428)، الطبري (3/ 475، 476)، الكامل لابن الأثير (2/ 307).

[3]() مضارب العجليّ: ذكره يحيى بن يونس الشّيرازيّ في الصحابة، وتعقّبه جعفر بأنه تابعي. الإصابة في تمييز الصحابة (6/284).

[4]() ارْفَضّ: تفرّق. غريب الحديث (4/375). والمراد: تفرق عنه أهله.

[5]() في (ن): "أجلوه".

[6]() في (ن): "وأكثروا".

[7]() تقدمت ترجمته ص (196).

[8]() تقدمت ترجمته ص (196).

[9]() في (ن): "نصفين".

[10]() عمرو بن أبي سلمى الهجيمي: قال سيف: كان مع المثنى بن حارثة بالعراق سنة ثلاث عشرة، وأرسله للغارة على من بصفّين من أحياء تغلب والنمر. الإصابة (5/112).

[11]() في (ن): "عيينة".

[12]() في (ن): "فأرسل".

[13]() أَرْمَلَ القَوْمُ: فني زادُهم. العين (8/266).

[14]() دِيافُ: بكسر أوله، وآخره فاء، قال ابن حبيب: دياف من قرى الشام، وقيل: من قرى الجزيرة، وأهلها نبط الشام، تنسب إليها الإبل والسيوف، وإذا عرضوا برجل أنه نبطيّ نسبوه إليها. معجم البلدان (2/494).

حتى إذا كان العشي هجم عليهم، فإذا النعم صادرة عن[1] الماء، والقوم جلوس بأفنية البيوت، فبعث[2] غارته فقتلوا المقاتلة، وسبوا الذرية، وانتسفوا الأموال، وإذا هم بنو ذي الرويحلة[3]، فاشترى من كان من ربيعة[4] السبايا بنصيبهم من الفيء، فأعتقوا سبيهم، وكانت ربيعة[5] لا تسبى، إذ العرب يتسابون في جاهليتهم.

وأخبر المثنى أن جمهور من سلك البلاد انتجعوا شاطئ دجلة، فسرح في آثارهم حذيفة بن محصن[6]، وكان على مقدمته في غزواته كلها بعد البويب، ثم اتبعه فأدركوهم دون تكريت يخوضون الماء، فأصابوا ما شاءوا من النعم، حتى أصاب الرجل خمسًا من السبي وخمسًا من النعم، وجاء المثنى بذلك حتى نزل على الناس بالأنبار، ومضى فرات[7] وعتيبة[8] في وجههما، حتى أغارا على صفين وبها النمر وتغلب[9] متساندين، فأغاروا عليهم ونقبوهم[10]، فرموا بطائفة منهم في الماء، فناشدوهم [331/أ] وجعلوا ينادون: الغرق الغرق، فلم يقلعوا عنهم، وجعل عتيبة[11] والفرات يذمرون الناس وينادونهم: تغريق بتحريق[12] [13]، يذكرونهم يومًا من أيام الجاهلية أحرقوا فيه قومًا من بكر بن وائل[14] في غيضة من الغياض، ثم انطلق المسلمون راجعين إلى المثنى وقد غرقوهم.

---

[1]() في (ن): "من".

[2]() في (ن): "فبث".

[3]() لم أقف على تعريف بهذه القبيلة فيما تيسر لي الاطلاع عليه.

[4]() تقدم التعريف بها ص (216).

[5]() في (ن): "العرب".

[6]() حذيفة بن محصن: القلعاني، قال خليفة: استعمله أبو بكر على عمان بعد عزل عكرمة، وكذا قال أبو عمر، وزاد: فلم يزل عليها إلى أن مات أبو بكر. وذكر أبو عبيدة أنه دعا أهل عمان إلى الإسلام فأسلموا كلهم إلا أهل دبا. وقال عمر بن شبّة: ولاه عمر على اليمامة. وروى ابن دريد في المنثور أنّ عمر أوصى عتبة بن غزوان في كلام قال فيه: وقد أمرت العلاء بن الحضرميّ أن يمدّك بعرفجة بن هرثمة فإنه ذو مجاهدة ومكايدة في العدو. وكذا ذكره ابن الكلبيّ والقلعاني. الإصابة في تمييز الصحابة (2/38).

[7]() هو فرات بن حيان، وقد تقدمت ترجمته ص (196).

[8]() هو عتيبة بن النهاس، وقد تقدمت ترجمته ص (196).

[9]() تقدم التعريف بها ص (187).

[10]() النَّقْبُ في الحائط ونحوه يخلص فيه إلى ما وراءه، وفي الجسد يخلص فيه إلى ما تحته من قلب أو كبد. العين (5/179).

[11]() في (ن): "عيينة". والصواب: عتيبة. انظر الاكتفاء (2/ 429)، وتاريخ الطبري (3/ 476).

[12]() في (ن): "الغريق الحريق".

[13]() انظر: الكامل في التاريخ (2/284).

[14]() تقدم التعريف بها ص (181).

فلما تراجع الناس إلى عسكرهم بالأنبار وتوافت بها البعوث والسرايا، انحدر بهم المثنى إلى الحيرة فنزل بها، وكانت لعمر ﷺ في كل جيش عيون يتعرفون الأخبار من قبلهم، فكتب إليه بما[1] كان في تلك الغزاة، وأبلغ الذي قال عتيبة[2] والفرات، يوم بني تغلب والماء، فبعث إليهما فسألهما، فأخبراه أنهما قالا ذلك على وجه المثل، وأنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب بذحل[3] في الجاهلية، فاستحلفهما، فحلفا ما أرادا بذلك إلا المثل، وإعزاز الإسلام، فصدقهم وردهما إلى المثنى.

ذكر ما هيج حرب القادسية على ما ذكره سيف:

قالوا: قال أهل فارس لرستم والفيزران، وهما عميدا أهل فارس: أين يذهب بكما لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس، وأطمعتما فيهم عدوهم وإنه لم يبلغ من خطركما أن تقركما[4] فارس على هذا الرأي، وأن تعرضاها للهلكة، ما تنتظرون، والله ما تنتظرون إلا أن ينزل بنا ونهلك، ما بعد ساباط وبغداد وتكريت إلا المدائن، والله ما جرأ علينا هذا غيركم، ولولا أن قتلكم هلاكنا لعجلنا لكم القتل الساعة، ولئن لم تنتهوا لنهلكنكم ثم نهلك وقد اشتفينا منكم.

فقال الفيرزان ورستم لبوران ابنة كسرى: اكتبي لنا نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى وسراريهم، ففعلت، وأخرجت ذلك إليهم في كتاب[5]، فأرسلوا في طلبهن وأحضرن وعذبن ليستدلوا [331/ب] على ذَكر من آل كسرى، فلم يوجد، فقالت واحدة: لم يبق إلا غلام يدعى يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى، وأمه من أهل داريا[6]، فأرسلوا إليها، فدلتهم عليه، وكانت دفعته إلى أخواله أيام شيرى حين جمعهن في القصر الأبيض، فقتل الذكور، واعدتهم فدلته إليهم في زبيل، فجاءوا به وهو ابن إحدى وعشرين سنة فملّكوه، واجتمعوا عليه، واطمأنت فارس واستوثقوا، وتبارى الرؤساء في طاعته ومناصحته ومعونته.

---

[1]() في (ن): "ما".

[2]() في (ن): "عيينة".

[3]() ذحل: الذَّحْلُ: طَلَب مكافأة بجناية [جُنِيَتْ عَلَيْك]، أو عَداوةٍ أتيت إليك. العين (3/200).

[4]() في (ن): "يقركما".

[5]() قوله: في كتاب" سقط من (ن).

[6]() دَارِيّا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة، والنسبة إليها داراني، وقال في المعالم الأثيرة: إنها من غوطة دمشق، وغوطة دمشق هي الأرض المنخفضة المحيطة بمدينة دمشق. معجم البلدان (2/431)، المعالم الأثيرة (1/211).

فسمى الجنود لكل مسلحة كانت لكسرى، أو موضع ثغر، وبلغ ذلك من أمرهم واجتماعهم على يزدجرد المثنى والمسلمين، فكتبوا بذلك إلى عمر، وبما ينتظرون ممن[1] بين ظهرانيهم، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد، من كان له منهم عهد ومن لم يكن.

فخرج المثنى على حاميته حتى نزل بذي قار[2]، وينزل الناس بذي الطف في عسكر واحد، فكتب إليهم عمر: أما بعد، فاخرجوا من بين ظهراني الأعاجم، وتفرقوا في المياه التي تليهم على حدود أرضكم وأرضهم، ولا تدعوا في ربيعة[3] ومضر[4] أحدًا من أهل النجدات، ولا فارسًا إلا أجلبتموه، فإن جاء طائعًا وإلا حشدتموه، احملوا العرب على الجد إذا جد العجم، لتلقوا جدهم بجدكم.

فنزل المثنى بذي قار، ونزل الناس بالجل[5] وشراف إلى غضي[6]، وغضى جبال البصرة، وكان جرير بن عبد الله بغضى وسبرة بن عمرو العنبري[7] ومن أخذ أخذهم فيمن معهم إلى سلمى، فكانوا في أمواه[8] العراق من أولها إلى آخرها مسالح ينظر بعضهم إلى بعض، ويغيث بعضهم بعضًا إن كان [332/أ]
كون، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة.

---

[1]() في (ن): "من".

[2]() ذو قَار: قال أبو حاتم عن الأصمعي: ذو قار: واد على ثلاث من منًى. وقال أبو عبيدة: ذو قار: متاخم لسواد العراق. قال: وأصابت بكر بن وائل سنة، فخرجت حتى نزلت بذي قار. وقال في المعالم الأثيرة: "وذو قار: ماء لبكر بن وائل، قريب من الكوفة، كانت به الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس، وكانت عند منصرف النبي صلّى الله عليه وسلّم من وقعة بدر الكبرى. وكان أول يوم انتصف فيه العرب من العجم، وبرسول الله صلّى الله عليه وسلّم انتصفوا". معجم ما استعجم (3/1042)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (1/221).

[3]() تقدم التعريف بها ص (216).

[4]() بنو مضر: قبيلة من العدنانية، وهم بنو مضر بن معد بن عدنان. قال أبو عبيد: وهم عيلان بن قيس عيلان، وقيل ابن مضر لصلبه، ويقال لمضر هؤلاء مضر الحمراء، وذلك أنه حصل له من المال آنية الذهب. قال في العبر: وكانت مضر أهل الكثرة والقلب بالحجاز من سائر بني عدنان، وكانت لهم الرياسة بمكة والحرم. نهاية الأرب (1/422).

[5]() في (ن): "الجبل".

[6]() غُضَيّ: تصغير الغضا، شجر تقدم ذكره: ماء لعامر بن ربيعة جميعا ما خلا بني البكّاء، قاله الأصمعي، وفي كتاب الفتوح: غضيّ جبال البصرة. معجم البلدان (4/207).

[7]() أَبُو سليط الأَنْصَارِيّ: اسمه أسيرة بْن عَمْرو بن قيس بن مالك بن عديّ بن النجار الأَنْصَارِيّ، النجاري. وقيل: اسمه أسير. هُوَ والد عَبْد اللَّهِ بْن أبي سليط. وقد قيل فِي اسمه سبرة بْن عَمْرو. أمه آمنة بنت عجرة أخت كعب بْن عجرة البلوي، وَكَانَ أبوه عَمْرو يكنى أبا خارجة، مشهور بكنيته أَيْضًا. شهد أَبُو سليط بدرا وما بعدها من المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه ابنه عَبْد اللَّهِ بْن أبي سليط عَنِ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم في النهي عن أكل لحوم الحمر الإنسية. يعد فِي أهل المدينة. الاستيعاب (4/1683).

[8]() أَمْوَاهٌ ومِياهٌ: جمع الماء. المحكم والمحيط الأعظم (4/445).

وعادت مسالح كسرى وثغوره وهم في ملك فارس هائبون مشفقون، والمسلمون يتدفقون قد ضروا بهم[1] كالأسد يثأر عن فريسته، ثم يعاود الكر وأمراؤهم يكفكفونهم؛ لأن عمر، كان أمرهم أن لا يقاتلوا إلا أن[2] يقاتلوا حتى يأتيهم أمره وتصلهم أمداد المسلمين.

[1]() في (ن): "بها".

[2]() في (ن): "حتى".

﴿ الخاتمة ﴾

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه حمد الشاكرين، حمدًا يليق بعظمته وجلاله على نعمة وإفضاله، فقد أعانني وأيدني وسددني على إكمال هذه الرسالة، وإتمام هذا المشروع العظيم؛ وفق الخطة المرسومة والإرشادات المطلوبة والتوجيهات المتبعة. وبعد:

فمن خلال دراستي وتحقيقي لشرح العلامة أبي البركات عبد البر بن الشحنة – رحمه الله – على منظومة جده، شيخ الإسلام أبي الوليد ابن الشحنة – رحمه الله، توصلت إلى عدة نتائج منها:

1-تناولت المنظومة مع شرحها السِّيرَةَ كَامِلَةً من مولده صلى الله عليه وسلم إلى وفاته، مرورًا برضاعه إلى مشاركته في بناء الكعبة، إلى بعثته صلى الله عليه وسلم، إلى دعوته إلى الله تعالى، وإلى هجرته إلى المدينة، وإلى غزواته وسراياه وبعوثه، إلى أن أكمل الله به الدين وأتم به النعمة.

2-اتبع الناظم في نظمه والشارح من بعده الأُسلوبَ "الْحَوْلِي" كمنهج في عرض الأحداث والوقائع، وذلك بذكر السَّنة ثم يبدأ بسرد الأحداث التي وقعت فيها تباعًا، وغالبًا ما يذكر الشهر واليوم إن تأتى له ذلك، وجاء صنيعه ذلك على أحسن صورة وأكملها.

3-برزت أهمية الكتاب وقيمته العلمية من خلال كونه جاء منظومًا، ونظم السيرة النبوية من أدق وأصعب الأعمال العلمية، ولا يستطيعه إلا من بلغ مبلغًا رفيعًا، كما أن صاحب النص أبا البركات ابن الشِّحنة يعتبر من الأئمة وأصحاب المكانة في العلم، وقد اعتمد أبو البركات بشرحه الموسع لمنظومة السيرة على أمهات الكتب، و لم يقتصر الكتاب على السيرة النبوية فحسب، بل اشتمل على شيء من سيرة الخلفاء.

4-اهتم أبو البركات في شرحه بأقوال الصحابة رضي الله عنهم جميعًا.

5-إن الكتاب زاخر بالأحاديث النبوية الشريفة، وبالآثار عن الصحابة الكرام.

6-إن الكتاب مليء بالقصص، فالمؤلف كثيرًا ما يسوق القصة بكاملها خلال شرحه.

7-اقتصر المؤلف في شرحه على ما هو مفيد ونافع.

8-إن المؤلف كتبه بأسلوب نثري مرسل لا تكلف فيه، مبتعدًا عن الزخارف اللفظية.

9-الكتاب مرتب على الأحداث.

10-مع كثرة الأحاديث في الكتاب إلا أنه يخلو من الأسانيد، ولكن يكتفي غالبًا بالصحابي راوي الحديث ويعزوه إلى من أخرجه.

11-تظهر شخصية المؤلف وعلو منزلته العلمية من خلال سعة اطلاعه في كتب السير والتاريخ، وتبرز جليًا ترجيحاته للأقوال عند ذكره للمسائل الخلافية.

12-صاحب المنظومة هو محب الدين أبو الوليد محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن الختلو غازي بن أيوب الحلبي الثقفي الحنفي.

13-توفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر سنة خمس وثمان مائة، -ويجعل اللكنوي الهندي: وفاته سنة سبع عشرة وثمان مائة -، بحلب.

14-شارح المنظومة هو عبد البر بن محمد بن محمد سري الدين، قاضي القضاة الحنفي، الحلبي ثم القاهري، سبط قاضى القضاة السفطي؛ قاضى الشافعية بالديار المصرية "في الدولة الجركسية".

15-ولد تاسع ذي القعدة بحلب سنة إحدى وخمسين وثمان مائة تولى قضاء حلب، ثم تولى قضاء القاهرة، وصار جليس السلطان الغوري وسميره. ولي الخطابة بجامع الحاكم عوضا عن الناصري الحنفي. قرر على قضاء الحنفية "في جمادى الثانية 906هـ".

16-أجيز بالإفتاء والتدريس وأفتى ودرس. وناب عن أبيه في القضاء، وحج مع والده، وله النظم والنثر.

17-توفي بالقاهرة سنة إحدى وعشرين وتسع مائة، ويذهب البغدادي إلى أن وفاته كانت بحلب.

18- لم نعثر في المصادر التي بين أيدينا على عنوان "محدد" لشرح عبد البر بن الشِّحنة، -لمنظومة جده في السيرة- إلا ما وجدناه عند الدكتور محمد يسرى سلامة؛ حيث عنونه بـ: "شرح المنظومة الحلبية في السيرة النبوية".

19-رجع المؤلف عبد البر بن الشِّحنة في شرحه هذا إلى العشرات من المراجع.

20-اهتم الشارح رحمه الله بالتنوع في شرحه، فقد جاءت استدلالاته بالقرآن طيبة ثرية، وكذا جاءت الأحاديث النبوية.

21-اهتم الشارح رحمه الله بالأدب واللغة اهتمامًا بالغًا، فلم يترك موطنًا يحتاج إلى تبيين إلا وضح وبين.

22-اهتم أيضًا رحمه الله في بعض المواطن بذكر الموقع الجغرافي لبعض البلدان، كما تعرض في أحيانٍ أخرى إلى شرح معنى البلد إن كان المعنى غامضًا.

23-تعرض الشارح رحمه الله – في مجال دراستي – إلى وقعة اليرموك واستند فيما ساقه على ما ذكره أصحاب فتوح الشام، ونقل عن بعض الأئمة المؤرخين كابن إسحاق وسيف والواقدي.

24-ثم تعرض لذكر قصة صلح إيلياء وقدوم عمر ﵁الشام.

25-وذكر فيها أن أبا عبيدة انتظر أهل إيلياء فأبوا أن يأتوه وأن يصالحوه، فأقبل إليهم خالد حتى نزل بهم، فحاصرهم حصارًا شديدًا، وضيق عليهم من كل جانب، فقاتلوهم ساعة، ثم انهزموا ودخلوا حصنهم، وكان الذي ولي قتالهم خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان.

26-ثم ذكر شيء من أخبار طاعون عمواس: واستند في نقله عن ابن إسحاق.

27-ثم ذكر فتح مصر: واستند في نقله عن ابن عبد الحكم وذكر أنه لما قدم عمر الجابية خلا به عمرو بن العاص، فاستأذنه في المسير إلى مصر، ثم ساق بقية الأحداث.

28-ثم ذكر فتح أنطابلس: واستند في نقله على ابن عبد الحكم.

29-ثم ذكر فتح أطرابلس : واستند في نقله على ابن عبد الحكم.

30-ثم ذكر نقض أهل الإسكندرية: وذكر عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر، وتولية عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

31-ثم ذكر غزو أفريقية وفتحها.

32-ثم ذكر صلح النوبة.

33-ثم تحدث عن المعارك التي كانت في البحر والغزو فيه، ونقل فيها عن الطبري عن سيف.

34-ثم ذكر غزو معاوية بن أبي سفيان قبرس ونقل فيها عن الواقدي.

35-ثم ذكر غزوة ذات الصواري ونقل فيها عن الواقدي

36-ثم ذكر فتح العراق وما والاه على ما أورده ابن جرير الطبري.

37-ثم ذكر أخبار الأيام في زمان خالد بن الوليد رضي الله عنه وكتاب أبي بكر إلى خالد بفتح العراق.

38-ثم ذكر حديث الثّني والمذار.

39-ثم حديث أليس، على صلب الفرات وما أصاب خالد يوم الولجة من نصارى بكر بن وائل.

40-ثم ذكر حديث أمغيشيد وكيف أفاءها الله بغير قتال.

41-ثم ذكر حديث يوم المقر وفم فرات بادقلي مع ما يتصل به من حديث الحيرة.

42-ثم ذكر حديث الأنبار وهي ذات العيون.

43-ثم ذكر حديث عين التمر.

44-ثم ذكر حديث دومة الجندل وما بعدها من الأيام بحصيد والخنافس ومصيخ والبشر والفراض.

45-ثم ذكر حديث المثنى بن حارثة بعد مسير خالد.

46-ثم تحدث عن خبر العراق في خلافة الفاروق رضي الله عنه وما كان من أمر المثنى بن حارثة معه، وذكر أبي عبيد بن مسعود، على ما في ذلك من الاختلاف. ونقل فيه عن سيف.

47-ثم ذكر حديث وقعة الجسر ويقال لها: وقعة القس، قس الناطف، والتي يقال لها: المروحة.

48-ثم ذكر حديث البويب ووقعة مهران: وذكر لما بلغ عمر، (أمر الجيش) استخلف على المدينة علي بن أبي طالب.

49-ثم حديث غارة المثنى على سوقي الخنافس وبغداد: من طريق سيف: وذكر أنها تسمى غزاة الأنبار الآخرة، وغزاة أليس الآخرة.

50-ثم ذكر حديث السرايا من الأنبار.

51-ثم ذكر ما هيج حرب القادسية على ما ذكره سيف.

52-رتبت فهارس البحث وفق الترتيب الهجائي.

وأخيرًا؛ بفضل الله وتوفيقه وتسديده قد انتهيت من هذا البحث، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان؛ فالنقص طبيعة الانسان والكمال لله تعالى وحده.

فأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفع به الأمة الإسلامية، وأن يكون لبنة في بناء المكتبة الإسلامية.

كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجه وأن يجعله في ميزان الحسنات يوم القيامة.

الفهارس

وتشتمل على ما يلي

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأشعار.
- فهرس المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة.
- فهرس البلدان والأماكن.
- فهرس القبائل.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.